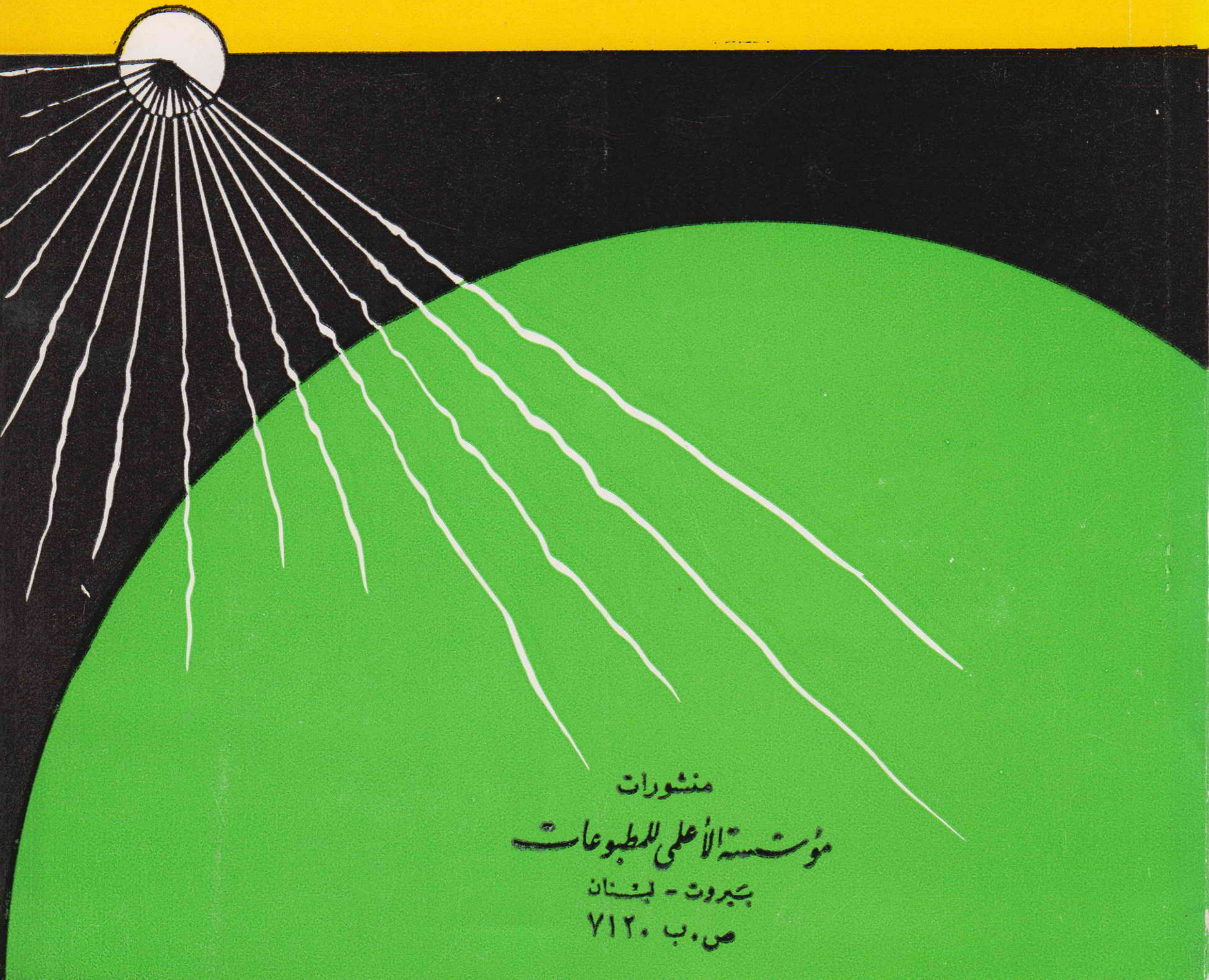
عبد الواحد الانصاري

مذاهب ابتدعتها السياسة في الإسلام



منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠



مذاهب
ابتدعتها السياسة
في الاسلام

عبد الواحد الأنصاري

مذاهب ابتدعتها السياسة في الإسلام

منشورات
مؤسسة الأعلى للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص . ب : ٧١٢٠

الطبعة الاولى

١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م

الـكيسانية وفرقهـا

بسم الله الرحمن الرحيم

المدخل :

إن الحديث عن الكيسانية هو الحديث عن السبأية التي وقى الله الشيعة شرها وشر اختلاقها ، وثبتت أنها من الموضوعات الكيدية كما يقول الدكتور طه حسين[1] ، والاستاذ العسكري ، في كتابه — عبد الله بن

---

١ — يقول الدكتور طه حسين في كتابه « علي وبنوه » ص ٩٨ و٩٩ في معرض الحديث عن صفين :

(اقل ما يدل عليه اعراض المؤرخين عن السبئية وعن ابن السوداء في حرب صفين ان امر السبئية وصاحبهم ابن السوداء انما كان متكلفا منحولا ، وقد اخترع اخيرا حين كان الجدال بين الشيعة وغيرهم من الفرق الاسلامية ، اراد خصوم الشيعة ان يدخلوا في اصول هذا المذهب عنصرا يهوديا امعانا في الكيد لهم ، والنيل منهم ، ولو قد كان امر ابن السوداء مستندا الى اساس من الحق والتاريخ الصحيح ، لكان من الطبيعي ان يظهر اثره وكيده في هذه الحرب المعقدة المعضلة التي كانت بصفين ، ولكان من الطبيعي ان يظهر اثره في تكوين هذا الحزب الجديد ، الذي كان يكره الصلح وينفر منه ، ويكفر من مال اليه او شارك فيه .

ولكننا لا نرى لابن السوداء ذكرا في امر الخوارج ، فكيف يمكن تعليل هذا الاهمال ؟ او كيف يمكن ان يغفل غياب ابن سبأ عن وقعة صفين ، وعن نشأة حزب المحكمة ؟ اما انا فلا اعلل الامرين الا بعلة واحدة ، وهي ان ابن السوداء لم يكن الا وهما ، وان وجد بالفعل فلم يكن ذا خطر كالذي صوره المؤرخون ، وصوروا نشاطه ايام عثمان ، وفي العام الاول =

سبأ –[1] .

والحديث عن السبئية – هو الحديث عن الوضع والوضاعين ، حديث الافتعال والمفتعلين ، الذين وضعوا الحديث كذباً وزوراً ونسبوه إلى رسول الله ﷺ ، وافتعلوا من السير والأخبار والحوادث ارضاء للحالكين ، ما شاءوا وشاءت مصالحهم ، والحديث عن الوضاعين هو الحديث عن الضمائر الميتة ، والأقلام المأجورة ، والنفوس الوضيعة التي امتلكها الحاكمون ، وشروها بدراهم معدودة ، أو بجاه زائل وامرة لا تدوم ، وان دامت على صفحات التاريخ سيئات ما اقترفه اصحابها من المآثر والمنكرات .

والحديث عن الأقلام المأجورة هو الحديث عن التاريخ الذي كان ولا يزال جريدة الملوك ، وسجل الخلفاء ، وديوان السلاطين ، انعكست على صفحاته صورة الظلم والطغيان ، والشر والفساد ، في صورة العدل والاستقامة والحكم الرشيد[2] .

من خلافة علي ، وانما هو شخص ادخره خصوم الشيعة للشيعة وحدهم، ولم يدخروه للخوارج ... الخ .

١ – لقد فند وجود ابن سبأ واثبت وضع حكايته من قبل سيف ابن عمر المتوفي سنة ١٧٠ ، الذي اتفق علماء الرجال على كذبه ووضعه للروايات ، راجع الكتاب المذكور .

٢ – يقول صاحب – كتاب ملامح المجتمع العربي – سلسلة اقرأ الذي يشرف عليه اساطين العلم والادب في القاهرة امثال طه حسين والعقاد – ص ١٠ – نريد ان نخالف نهج المؤرخين في كتابة التاريخ ، ونأتي على الطبقات الفقيرة التي اغفلها المؤرخون ، حتى كأنهم لم يكونوا غالبية الامة وكثرتها التي تموج بهم الممالك الاسلامية أو كأن اخبارها واوصافها لم تعن المؤرخ العربي بقدر ما تعنيه اخبار الطبقة التي كان يوجس منها خيفة او يلتمس الزلفى اليها ، او يبتغي الوسيلة عندها . الخ

حديث الذين سخروا أنفسهم وأقلامهم فمنحوا الحاكمين أكثر مما أرادوه منهم ، واكثر مما كانوا يريدون[1] حديث الذين أفاضوا على الظالمين والأشرار ، صفات الصالحين والأبرار ، وفضلوهم على الأنبياء والمرسلين[2] .

ولكي لا نكون ظالمين للتاريخ والأقلام التي سجلت الكثير من أخباره

---

١ ــ كان الرشيد يعجبه الحمام واللهو به فأهدي اليه حمام وعنده ابو البحتري القاضي فقال : (روى ابو هريرة عن النبي (ص) قال : لا سبق الا في خف او حافر او جناح) فزاد في الحديث ــ جناح ــ وهي لفظة وضعها للرشيد فأعطاه جائزة سنية ولما خرج قال الرشيد : والله لقد علمت انه كذاب !! وامر بالحمام ان يذبح فقيل وما ذنب الحمام ؟ قال من اجله كذب على رسول الله (ص) ــ اضواء على السنة المحمدية ص١١٩ .

مسكين انت يا حمام القاضي يكذب على رسول الله (ص) والرشيد يعطيه جائزة سنية على كذبه وينزل العقوبة بك ويأمر بذبحك وكأني بك تقولين : غيري جنى وانا اعذب .

٢ ــ في العقد الفريد ج٣ ص ٢٦٠ طبع سنة ١٩٣٥ قال الحجاج في كلام له : « ويحكم اخليفة احدكم على اهله اكرم ام رسوله اليهم ؟ » وفيه رأى الناس يطوفون بقبر رسول الله «ص» ومنبره قال « اتطوفون برمة بالية ؟ » وفيه ان الحجاج قال : « مثل عثمان عند الله كمثل عيسى ابن مريم قال الله فيه اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة » .

وفيه انه كتب الى عبد الملك بن مروان يعظم الخلافة ويزعم ان ما قامت السموات والارض الا بها وان الخليفة عن الله افضل من الملائكة المقربين والانبياء والمرسلين ، وذلك ان الله خلق آدم واسجد له الملائكة واسكنه جنته ثم اهبطه الى الارض وجعله خليفته وارسل الملائكة رسلا اليه ، فأعجب بذلك عبد الملك وقال : لوددت ان عندي بعض الخوارج فأخاصمه بهذا الكتاب . ويقول ابن الاثير في حوادث سنة ٨٩هـ « في هذه السنة ولي خالد بن عبد الله القسري مكة فخطب وقال : « ايها الناس ايهما اعظم ؟ خليفة الرجل على اهله ــ اي الوليد ــ ام رسوله اليهم ؟ » .

وحوادثه سواء أكانوا من العلماء والمحدثين ، أو من الأدباء والمؤرخين ، نجمل ما أورده — الشيخ محمود أبو ريه عن الامام الفقيه المرحوم الشيخ محمد عبده العالم المصري المعروف ، في كتابه (أضواء على السنة المحمدية) ص ١١٥ و ١١٩ .

يقول في صدد البحث عن الحديث الموضوع المنسوب إلى النبي ﷺ « ان لوضع الحديث والكذب على رسول الله ﷺ أسباباً كثيرة بينها العلماء نأتي هنا على أهمها .

أحدها — وهو أهمها ما وضعه الزنادقة اللابسون لباس الإسلام غشاً ونفاقاً وقصدهم بذلك افساد الدين وايقاع الخلاف والافتراق بين المسلمين .

ثانيها — الوضع لنصرة المذاهب في اصول الدين وفروعه ، فإن المسلمين لما تفرقوا شيعاً ومذاهب ، جعل كل فريق يستفرغ ما وسعه لاثبات مذهبه ، لا سيا بعد ما فتح عليهم باب المجادلة والمناظرة في المذاهب ، ولم يكن المقصود إلا اقحام مناظره والظهور عليه ، حتى أنهم جعلوا الخلاف علما صنفوا فيه المصنفات ، مع أن دينهم ما عادى شيئاً كما عادى الخلاف !! وليس الوضع لنصرة المذاهب محصوراً في المبتدعة وأهل المذاهب في الاصول ، بل أن من أهل السنة المختلفين في الفروع مَنْ وَضَعَ أحاديث كثيرة لنصرة مذهبه او تعظيم امامه ، وإليك حديثاً واحداً وهو « يكون في امتي رجل يقال له أبو حنيفة وهو سراج امتي » ولقد اضطرت الشافعية ازاء ذلك إلى ان يرووا في امامهم حديثاً يفضلونه ، وهذا نصه « قال رسول الله ﷺ أكرموا قريشاً فإن عالمها يملأ أطباق الأرض علماً » ولم يلبث أصحاب مالك ان وضعوا في إمامهم هذا الحديث « يخرج الناس من المشرق إلى المغرب فلا يجدون عالماً أعلم من أهل المدينة » .

ثالثها — الغفلة عن الحفظ اشتغالاً عنه بالزهد والانقطاع للعبادة ، وهؤلاء الناس من العباد ـ والصوفية : يحسنون الظن ويعدون الجرح من الغيبة المحرمة ،

ولذلك راجت عليهم الأكاذيب وحدثوا عن غير بصيرة ولا معرفة .

رابعها ـ قصد التقريب إلى الملوك والسلاطين والامراء ، كما نص على ذلك غير واحد من الحفاظ وكما كذب علماء السوء على رسول الله ﷺ لأجل السلاطين كذبوا كذلك في وضع الأحكام والفروع الفقهيـــة لأجلهم ، ومن الأحاديث في هذا الباب ما اشتمل على مدح السلاطين وتعظيم شأنهم ، وهو ما يتعلق به الجهال الملوك في هذا العصر كما تملقوا لهم فيما قبله .

خامسها ـ الخطأ والسهو ـ وقد وقع هذا لقوم ، ومنهم من ظهر له الصواب ولم يرجع إليه .

ثم راح الشيخ يعدد أسباب الوضع مفصلاً وذكر بالاضافة إلى ما تقدم من أسباب الوضع الظهور على الخصم في المناظرة ، إذا كانت في الملأ ، أو ارضاء للناس وابتغاء القبول عندهم أو استمالتهم لحضور مجالسه الوعظية ، وتوسيع دائرة حلقاته ، فقد ذكر أسباباً كثيرة وقال : هناك أسباب اخرى أغفلناها لأن الكلام قد طال .

هذا ما يحدثنا به ـ الشيخ أبو رية ـ عن الامام محمد بن عبدة في ما ابتلي به الاسلام والمسلمون على يد هؤلاء الطوائف الذين كانوا قد وضعوا أنفسهم أو وضعتهم السلطات الحاكمة موضع القــادة من رجال الفقــه ، وحفظة الحديث والناطقين باسم الدين ، وكان من أمرهم أن تلاعبوا بحديث النبي ﷺ ، فغيروا وبدلوا وحرفوا وانكروا ، وأضافوا عليه ما لم يتجرأ الشيطان على ارتكابه ، وحمل تلاعبهم هذا الغيارى من أئمة الحديث ورجال الفقه ، من العلماء والمجتهدين إلى اليوم جهداً كبيراً في سبيل البحث والتحرى عن الحديث النبوي الصحيح ، كان منهم إمام الأحناف أبو حنيفة وكان نتاج بحثه سنين وسنين سبعة عشر

حديثاً رواها وقال بصحتها[1] .

إذا كان أمر الحديث عن النبي ﷺ الذي يعتبر المصدر الثاني في اصول التشريع ، والسند الأول في تفسير القرآن ، كما يقول أبو رية[2] وهو لا شك

---

(١) ــ مقدمة ابن خلدون ص ٤٤٤ ــ اضواء على السنة المحمدية ــ ص ٣٣٠ .

(٢) ــ نضيف الى ما قاله ابو رية في كتابه ــ اضواء على السنة المحمدية ــ ما اورده في كتابه ــ شيخ المضيرة ــ ابو هريرة ــ ص ٢١١ وما رواه ابن ابي الحديد في شرح النهج ــ ج٣ ص ٣٠١ « ان معاوية حمل قوما من الصحابة والتابعين على رواية اخبار قبيحة على علي تقضي الطعن فيه والبراءة منه وجعل لهم على ذلك جعلا يرغب في مثله ، فاختلقوا ما ارضاه منهم ابو هريرة وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة، وعروة بن الزبير » ، ويقول ابو رية في كتابه المذكور ص ١١١ « ان ابا هريرة روى عن رسول الله «ص» ٥٣٧٤ حديثا روى منها البخاري ٤٤٦ حديثا على حين انه لم يصاحب النبي «ص» الا عاما وبضعة اشهر ، وبقي ان نعرف ما رواه الذين سبقوه بالايمان ، وكانوا ادنى منه الى رسول الله «ص» واعلم بالدين وابعد في الفضيلة والجهاد ، من المهاجرين والانصار وغيرهم ، لنعرف كم روى كبارهم من احاديث رسول الله «ص» فهذا ابو بكر اول الرجال اسلاما بعد علي وشيخ الصحابة جميعا ، قال النووي في تهذيبه ــ روى الصديق عن النبي «ص» ١٤٢ حديثا اورد منها السيوطي ١٠٤ حديثا، والبخاري ٢٢حديثا، والترمذي ٦ احاديث، ومسلم روى عنه حديثا واحدا وهكذا روى ابو داود عنه حديثا واحدا .

اما ما رواه عمر الخليفة الثاني الذي لازم رسول الله «ص» سبعة عشر عاما ، والذي كان يقول : كنت وجار لي من الانصار نتناوب النزول على رسول الله «ص» ينزل يوما وانزل يوما ، فاذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره ، واذا نزل فعل مثل ذلك ، وبرغم ذلك لم يصح عنه الا خمسون حديثا .

واما عثمان فقد اثبت له البخاري ٩ احاديث ومسلم خمسة احاديث واما علي «رض» وهو اول من اسلم وتربى في حجر النبي «ص» وشهد =

صادق فيما قاله ورواه عن أساطين العلم وكبار رجال الحديث لأنه لم يقل ذلك عن الهوى ولا حمله على ذلك التحيز لفئة معينة ولا جاء به دفاعاً عن مذهبه ولا تقاضى على قوله هذا ما كان يتقاضاه وعاظ السلاطين ، فما عساه يستطيع أن يقوله هو أو غيره ، عما لحق الأخبار والسير والحوادث ، من الخلق والوضع والابتداع في التاريخ .

التاريخ الذي كان ولا يزال ملكاً للدولة ـ أية دولة ـ خاضعاً لسياسة الحاكمين في كل زمان ومكان عليه بأمر السلطان ألف رقيب ورقيب ، ولكل رقيب ألف جاسوس وجاسوس لم يقرأ الناس على صفحاته إلا الاشادة بمجد الحاكمين ، والقائمين على رأس الدولة والسائرين بركابها من النبلاء والامراء والقادة والولاة وإلا الثناء على سيرتهم في إدارة الشؤون العامة حتى إذا ما حدث

=

المشاهد كلها وكان منه بمنزلة هارون من موسى ، فقد اسندوا له ٥٨٦ حديثا كما يقول السيوطي . وقال ابن حزم : لم يصح منها الا خمسون حديثـا .

فالخلفاء الاربعة الذين كانوا اكثر الناس تقربا الى النبي «ص» واول المسلمين ايمانا كانت احاديثهم عن النبـــي «ص» لا تتجـاوز العشرات والمئات ، وان ابا هريرة الذي عاش في عهد رسول الله سنة وبضعة اشهر وحده يروي عن رسول الله اكثر من ستة اضعاف ما رواه علي وابو بكر وعمر وعثمان ، يروي له البخاري منها ٤٤٦ حديثا ، اي ما يقارب خمسة عشر ضعفا عما رواه عن ابي بكر وعثمان . البخاري الذي يقول عنـه ابن خلدون انه اصح كتاب بعد القرآن عند اهل السنة ، والاجماع قائم على صحة ما تضمنه ولا يصح النظر في رجال رواته لانهم من الثقات ، مع اجماع المسلمين ان عمر وعائشة كانا غير واثقين من روايات ابي هريرة ويتهمانه بالكذب على رسول الله ، اخرجه الامام ابو حنيفة من الثقات واعتبره من الوضاعين ـ راجع تفصيل ذلك في كتاب « شيخ المضيرة ابو هريرة » وكتاب ـ اضواء على السنة المحمدية لابي رية الشيخ محمود من علمـاء الازهـــر البارعين ، وكتاب ـ ابو هريرة ـ لشرف الدين السيد عبد الحسين .

انقلاب في الحكم وتغيير في الدولة عرف الناس حقيقة ما سجله التاريخ كما حدث في الانقلاب العباسي ضد الحكم الأموي ، الذي نشر فيه الانقلابيون حكومة وشعباً سيئات الأمويين ، وما اقترفوه من الآثام والظلم مدة حكمهم وبقائهم على رأس الخلافة الإسلامية ، وساعدهم في ذلك الخطباء والشعراء والمعارضون ، لا سيما الشيعة العلوية التي انصبت عليها النكبات ، وجرعتهم امية أنواع الظلم والعذاب بسبب تشيعهم وموالاتهم لآل البيت ، وعلى رأسهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، فخرج الشيعة من الحبوس والطوامير ومن الخفاء الذي عاشوا فيه متسترين بإيمانهم ، يعلنون تشيعهم في فترة الانتقال[1] ويقيمون الدليل تلو الدليل على اغتصاب امية الخلافة من صاحبها الشرعي الإمام علي بن طالب عليه السلام لأنه كان أولى الناس بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ،

---

(١) ـ كانت فترة انتقال الحكم قد مكنت علماء الشريعة من البحث والتحقيق في احكام الدين وتعاليم الاسلام بعد ان سادها الركود والجمود في العهد الاموي ، لا سيما البحث عن الحديث الذي لم يدون كما دون القرآن الا من قبل التابعين لال البيت، للخلاف الذي حدث في جمعه في صدر الاسلام فقد منع الخليفة الثاني جمع الحديث وتدوينه وظل الحديث في الصدور، وذهب الكثير من حفظته شهداء المعارك الاسلامية لا سيما الصحابة الكرام الذين كانوا يرون في الجهاد الوسيلة والطريق الى الجنة الى ان تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز المتوفى سنة ١٠١ فبعد ان رأى الحديث المكذوب على رسول الله «ص» قد فشي في الناس الزم حفظة الحديث في الافاق على جمعه وتدوينه وكان قد خالطه الكثير من الحديث الموضوع والمكذوب على رسول الله «ص» فأقبل الناس على تدوينه وساعدهم على التأكد منه واستخلاص الصحيح من المكذوب ذهاب الرقابة عن البحث والنقاش وتمتع العلماء بحرية الراي والاجهار بعقائدهم في تلك الفترة ، وكان للامام الباقر والامام الصادق عليهما السلام ولمدرستيهما في الكوفة والمدينة الاثر الكبير في نشر احكام الدين وبعث السنة المحمدية التي كاد ان يقضي عليها الامويون كما سيأتي .

الذي نص على امامته وخلافته من بعده ، وينشرون مظالم الأمويين وما قام به الحاكمون من الجور والباطل والطغيان ، والإنحراف بالدين إلى الجاهلية ، وراحوا يطالبون بإقامة حكم شرعي .

إذا كان للثورات والانقلابات أثر ملموس فهو في كشف الحقائق التي طمرت وتجاهلها التاريخ خشية الرقيب في عهود الارهاب والاعتصاب فقد دلتنا التجارب والحوادث المتشابهة على أثر قيام الثورات والانقلابات أن في التنازع على الملك والسلطان بين الغاصبين أنفسهم الأثر الكبير في تغيير وجه التاريخ وكشف الحقائق التي سترت عن الناس حتى كادت تنسى وتحتل الأباطيل مكانتها من التاريخ فجزى الله الثورات خيراً إذ لولاها لما عرف الناس مساوىء الحاكمين وظلم الطغاة من الملوك والسلاطين والخلفاء ولظل التاريخ يحدثنا عن حمدهم والتسبيح بمجدهم والاشادة بذكرهم والثناء على البطولات الفارغة والخدمات الموهومة والعهد الرشيد ، ولظل الناس يجهلون أن معاوية كان يؤذيه تردد ذكر النبي ﷺ على المآذن كل يوم خمس مرات[1] وأن النبي ﷺ لعنه

---

١ ــ في الدعوة الاسلامية للشيخ الخنيزي وابن ابي الحديد في شرح النهج ج١ ص٤٦٣ عن زبير بن بكار عن ابن المغيرة بن شعبة قال : « جاء ابي ذات ليلة من عند معاوية فامسك عن العشاء ورايته مغتمـا فانتظرته ساعة ظننت لامر حدث فينا فقلت مالي اراك مغتما هذه الليلة ؟ فقال جئت من اكفر الناس واخبثهم . قلت من هو ؟ قال معاوية . قلت: وما ذاك ؟ قال خلوت به فقلت له انك بلغت سنا يا امير المؤمنين فلو اظهرت عدلا وبسطت خيرا ونظرت الى اخوتك من بني هاشم ووصلت ارحامهم فوالله ما عندهم اليوم ما تخافه ذلك مما يبقي لك ذكرا ؟ فقال: هيهات اي ذكر ارجو بقاءه ، قام اخو تيم وفعل ما فعل ومضى لشانه نسيا منسيا ثم قام بعده اخو عدي وفعل ما فعل ومضى لشانه كصاحبه وهذا ابن ابي كبشة ينادى باسمه في كل يوم خمس مرت « ويل لمن كفره نمرود » .

ولعن أباه ودعى عليه بالجوع[1] وأن رسول الله ﷺ لعن مروان وأباه وكل من يخرج من صلبه إلا القليل[2] وأن النبي ﷺ قد أمر بقتل معاوية إذا وجدوه على منبره[3] وأن يزيد بن معاوية جاهر بالكفر وأظهر سروره بقتل الحسين عليه السلام لأنه أدرك ثأر قتلاه ببدر[4] وأن عبد الملك بن مروان كان من

---

١ ـ في الشيعة والحاكمون ص ٤٠ رأى النبي «ص» معاوية يقود اخـاه يزيد فلعن الراكب والقائد .

وفيه عن عبد الله بن عمر قال : سمعت النبي «ص» يقـول : يطلع عليكم رجل يموت على غير سنتي فطلع معاوية . وينقل ابو رية عن احمد ومسلم عن ابن عباس ان رسول الله «ص» قال لي يوما اذهب فـادع معاوية ، فذهبت فدعوته فقيل : انه يأكل فأتيت رسول الله «ص» فقلت انه يأكل فقال اذهب فادعه، فأتيته الثانية فقيل انه يأكل فأخبرته «ص» فقال «ص» في الثالثة « لا اشبع الله بطنه ، فما شبع بعدها » شيـخ المضيرة ص ١٧٠ .

٢ ـ في حياة الحيوان ـ مادة الوزغ ـ عـن الحاكم في المستدرك عن عبد الرحمن بن عوف قا ل: كان لا يولد لاحد مولود في المدينة الا اتي به النبي «ص» فيدعو ، فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال : هو الـوزغ ابن الوزغ الملعون بن الملعون ثم قال : صحيح الاسناد وفيه ايضا عـن عبد الرحمن قال : استأذن الحكم بن العاص على النبي «ص» فعـرف صوته فقال : اذنوا له عليه وعلى من يخرج من صلبه لعنه الله الا المؤمنون وقليلا ما هم يشرفون في الدنيا ويضيعون في الاخرة وما لهم في الاخرة مـن خلاق .

٣ ـ الذهبي في الميزان ج٢ ص ١٢٨ قال النبي «ص» اذا وجدتـم معاوية على منبري فاقتلوه .

٤ ـ لقد كفر معظم الفقهاء من غير الشيعة يزيد بن معاوية لقوله :

لعبـت هاشـم بالملك فـلا ... خبـر جـاء ولا وحي نـزل
لسـت من خندف ان لم انتقـم ... مـن بنـي احمـد مـا كان فعل

وقوله لما اطل من علياء « جيرون » على رؤوس الشهداء مـن ال الرسو ل يقدمهم رأس الحسين «ع» : =

أشهر الناس غدراً وأعطشهم لشرب دماء الأبرياء استعمل على رقاب المسلمين أشد الولاة كفراً وفجوراً وقسوة وأحبهم لسفك الدماء كالحجاج بن يوسف الثقفي وخالد بن عبد الله القسري[1] وأمثالهما .

=

لما بدت تلـك الرؤوس واشرقت	تلك الشموس على ربـى جيرون
نعب الغراب فقلت نح او لا تنح	انـي قضيت مـن النبي ديونـي

راجع نثر اللئاليء على نظم الدراري للالوسي وعقد الفريد الجـزء الثالث ترجمة يزيد بن معاوية .

١ ــ قصة قتل عبد الملك غدرا عمر بن سعيـد الاشدق بعد اعطائه الامان وتولي قتله بنفسه من اشهر حكايات الغدر . وقد تقدم اقـوال الحجاج في عبد الملك وانه اشرف الانبياء والمرسلين . يقول ابن الاثير في الجزء الرابع من تاريخه الكامل ص ٢٦ و٨٦ « لما قدم الحجاج الى المدينة بعد قتله عبد الله بن الزبير ختم على ايدي جماعة من الصحابة استخفافا بهم وقيل ختم على اعناقهم ، وانه انزل الجند في بيوت النـاس واصبح ذلك سنة من بعده ، ويقول المسعودي في مروج الذهب ج٣ ص ١٧٥ ــ وصاحب عقد الفريد ج٣ في اقوال الناس في الحجاج وغيرها : احصي من قتلهم الحجاج صبرا سواء من قتل في حروبه فكانوا ١٢٠ الفـا وكان في حبسه ٥٠ الف رجلا وثلاثين الف امراة ستة عشر الف منهن عاريات ، وكان يطعم المساجين كما يقول ابن الجوزي في تاريخه ، الخبـز ممزوجا بالرماد ، وكان عبد الملك كما اجمع المؤرخون قد اوصى ابناءه باكـرام الحجاج لانه وطد لهم الملك ودوخ البلاد واذل الاعداء ــ يقول ابن ابـي الحديد في شرح النهج ج١ ص٢٦ : قال الامام ابي جعفر الباقر ــ ٤ ــ « قتلت شيعتنا بكل بلد وقطعت الايدي والارجل منهم علـى الظنة ، وكل من كان يذكر بحبنا والانقطاع الينا حبس ونهب ماله وهدمت داره ، ثـم لم يزل البلاء يشتد ويزداد الى زمن عبيد الله بن زياد قاتل الحسين ، ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة واخذهم بكل ظنة وتهمة حتى ان الرجـل يقال له زنديق احب اليه من ان يقال له شيعة علي » وفي عقـد الفريد ج٣ كان عمر بن عبد العزيز يقول : لو جاء الناس يوم القيامة بفسـاقهـم وجئنا بالحجاج لزدنا عليهم .

وأن الوليد بن عبد الملك كان جباراً عنيداً غشوماً نفذ وصية أبيه في تكريم الحجاج والعمـــل بمشورته حتى انه عزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة وولاها افتك الناس واكفرهم خالد بن عبد الله القسري[1] ارضاء للحجاج وإن احسن من وصف عهد الوليـد كان عمر بن عبد العزيز لما ذكر عنده ظلم الحجاج : فقـــال الحجاج في العراق وقرة في مصر وعثمان في المدينة وخالد بمكة اللهم قد امتلأت الدنيا ظلما وجورا فارح الناس من هذا الظلم كما يقول ابن الاثير في حوادث سنة ٨٧ .

وان سليمان بن عبد الملك فتك بقائدين عظيمين كان لهما الفضل في الفتوحات الاسلامية وهمـــا موسى النصير فـــاتح بلاد المغرب والاندلس وقتيبة بن مسلم صاحب الفتوحـــات من ارض فارس الى بلاد الصين وكان سبب قتل الاول انه لم يحتفظ بالغنائم ويؤخرها عنده الى أن يتولى الخلافة وقتل الثاني لأنه كان ممن ايد الوليد على خلعه في ولاية العهد واسنادها الى ولده .

وأن عمر بن عبد العزيز لو لم تدركه الهـــداية على يد معلمه وابيه لاستمر في

---

١ ــ لم يكن خالد القسري بأقل بطشا وكفرا من الحجاج . يقول ابن الاثير في حوادث ٨٩ : « كان خالد بن عبد الله القسري يقول : لامـــير المؤمنين اكرم على الله من انبيائه وكان يستخف بأنبياء الله ، وذلـــك ان الوليد حفر بئرا في مكة ، وكان خالد يأتي بالماء منها ويضعه فـــي جنب زمزم ويقول : « ان ابراهيم استسقى الله فسقاه ملحا اجاجا واستسقى الخليفة ــ يريد الوليد ــ فسقا عذبا فراتا ، وكـــان يردد مقالة الحجاج فيقول : ايها الناس خليفة الرجل على اهله افضل ام رسوله اليهم ؟!!

وعلى من يريد الزيادة من اخبار الحجاج وخالد يرجع الى كتـــاب العقد الفريد وغيره كالطبري والكامل لابن الاثير .

لعن الامام علي وسبه[1] وان يزيد بن عبد الملك لم يختلف في الفسق والفجور عن سميه يزيد بن معاوية وكان قد عكف على الشراب والغناء وله ألف حكاية وحكاية مع معشوقاته ، لاسيا — سلامة وحبابة[2] — .

وان هشام بن عبد الملك لم يختلف عمن تقدمه من الخلفاء في الظلم والجور والطغيان وقد صنع بحفيد الامام الحسين زيد بن علي ما لم يفعله يزيد بالحسين واصحابه[3] .

---

١ — يقول ابن الاثير في حوادث سنة ٨٩ وابن ابي الحديد في ج١ ص ٣٥٦ : قال عمر بن العزيز : كنت احضر تحت منبر المدينة وابي يخطب يوم الجمعة ، فكنت اراه يهدر في خطبته حتى يأتي الى لعن علي فيجمجم ويتلعثم ويفهفه ويحصر ، فكنت اعجب من ذلك !! فقلت له يوما: انت اخطب الناس وافصحهم ، ولكنك اذا مررت بلعن الرجل صرت الكنا عييا ، فقال : افطنت الى ذلك ؟ قلت نعم . قال : يا بني لو علم اهل الشام وغيرهم من فضل علي ما نعلمه لم يتبعنا منهم واحدا ولتفرقوا عنا الى اولاد علي — فبقيت كلمته في صدري مع ما كان قاله لي معلمي ايام صغري فأعطيت الله عهدا لان كان هذا الامر لي لاغيرنه .

٢ — اخبار هذا القزم مدونة في كتب الادب والتاريخ لا سيما — الاغاني — وشهرتها تكفي عن الاستدلال على سيرة هذا الخليفة المشؤوم الذي لم يترك موبقة الا ارتكبها .

٣ — بعد ان تمكنت زبانية هشام من قتل زيد بن علي امر هشام بنبش قبره واحراق جثمانه فاستخرجوه من القبر واحرقوه وبعثوا برأسه الى هشام فأمر بتعليقه في مسجد الرسول — ص — بالمدينة فضجت المدينة بالبكاء عليه وبعد اسبوع امر بأن يسير بالرأس الى مصر فصلب في الجامع فسرقه أهل مصر ودفنوه بالقرب من جامع ابن طولون — الكنى والالقاب — ج١ ص ٢٢٢ — ومقاتل الطالبيين في ترجمته يقول الشيخ ابو زهرة في كتابه — الامام زيد — ص ١١٥ — في وصف حركة زيد ومناقب زيد والعهد الذي حمل زيد على الجهاد « استشهد زيد في المعركة ، ومات في الميدان في مشتجر السيوف ومرمى السهام ، فمات شجاعا حرا ابيا لا يرضى بالدنية في دينه ، ولم يرض بأن يرى باطلا يرتفع وحقا ينخفض ، وسنة تموت وبدعة تحيا ، وشرعا يهدم وظلما يقوم، لم يرض بأن يرى استبدادا يرهق النفوس ويرمض القلوب الخ » .

وان الوليد بن يزيد كان غارقـــا الى اذنيه في الرذائل لم يترك بابا للفسق والفجور الا ولجها ولا عرف لهوا الا اتخذه ولا علم بموبقة الا عكف عليها — اخباره في التاريخ تزكم الانوف وتقزز الاسماع أعلن عن كفره بالله جهرة بعد ان جعل القرآن الكريم غرضا لسهامه ونباله ومزقه لأنه يهـدد الجبارين والمعاندين وقوله وهو يخاطب القرآن مشهور :

تهـــددني بجبـــار عنيـــد فهـــا أنا ذاك جبـــار عنيد
اذا ما جئت ربك يوم حشر فقـــل يا رب مزقني الوليـــد

فلولا الثورات والانقلابات لما عرف الناس ان يزيد بن معاوية كان مدمنا على الشراب وان عبد الملك كان يشرب في الشهر مرة حتى لا يعقل في السماء هو أم في الارض — وان الوليد كان يشرب يوما ويدع يوما — وان سليمان بن عبد الملك كان يشرب في كل ثلاث ليالي ليلة — وان هشام كان يسكر في كل جمعة مرة — وان يزيد بن عبد الملك والوليدين بن يزيد كانا عـاكفين على الشراب وان مروان ابن محمد آخر خلفاء الأمويين كان يشرب يوم الثلاثاء وليلة السبت[1].

ولولا تسلط الاتراك وآل بويه والسلاجقة ومجاهرة خلفاء بني العباس في ارتكاب الموبقات والمآثم والجرائم واقبالهم علنـا على مجالس اللهـو والشراب واستهتارهم بالدين وابتعادهم عن الشريعة الاسلامية لما عرف الناس سيرتهم كما ذكرنا مقتطفات منها في خاتمة هذا الكتاب .

ولو لم تمنح فترات الانقلاب وانتقال الحكم من يد الحكومات المبادة الى الحكومات المبيدة الفرصة الكافية للمعارضين والمظلومين لأن يثبتوا للناس

---

١ ــ التاج في اخلاق الملوك ص ١٥١ ــ ١٥٤ للجاحظ .

الأسباب التي حملتهم على معارضة الحكومات المنهارة والكشف عن ظلمهم للعباد والبلاد لظل الناس لا يعرفون حقائق الامور .

رو لم تكن فترات الحكم في العهود المظلمة طويلة تستغرق أجيالاً وأجيالاً كالعهد الأموي والعهد العباسي لما وسع الحاكمون أن يربوا نفراً على تمجيدهم واتباع نهجهم في الظلم والانحراف عن الدين ولما خفي عن الناس دقائق أعمالهم ولكان الناس كل الناس أكثر إيماناً بالله وأكثر تمسكاً بالدين وارتباطاً بالاسلام، ولعرف الناس كيف أن أدعياء الإسلام اغتصبوا الخلافة وارتكبوا في سبيل القضاء على دولة الإسلام الوسائل غير المشروعة ، وغير العادلة ، وغير الشريفة[1] ولكان الدين على الأرض كما هو عند الله الإسلام ، ولكان الإسلام على جانب عظيم من المنعة والقوة والشوكة والعظمة[2] ولما كان هنـــاك فرق وأديان وطوائف

---

١ ـ يروي صاحب عقد الفريد ج٣ ص ١١٧ عن سفيـان بـن عيينة عن ابي موسى الاشعري عن الحسن قال : علم معاوية والله ان لم بايعه عمرو بن العاص لم يتم له امر . فقال له : يا عمرو اتبعني، قال : لماذا؟ للاخرة فوالله ما معك اخرة، ام للدنيا؟ فوالله لا كان، حتى اشاركك فيها ، قال : فانت شريكي فيها ، قال : اكتب لي مصـر وكورها فكتب له مصر وكورها .

وروى ابن الاثير في الكامل في مقتل حجر بن عدي عن الحسن البصري كان يقول : اربع خصال كن في معاوية ولو لم تكن فيه الا واحدة لكانـت موبقة ـ ابتزازه على هذه الامة بالسفهاء حتى ابتزها امرها بغير مشـورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذوي الفضيلة ـ واستخلافه ابنه يزيد سكيرا خميرا يلبس الحرير ويضرب بالطنابير ـ وادعاءه زياد وقد قال رسول الله الولد للفراش وللعاهر الحجر ـ وقتله حجر واصحاب حجر ، ويلـه من حجر ومن اصحاب حجر ويله من حجر واصحاب حجر .

٢ ـ في الوحي المحمدي ص ٢٣٢ ، وكتاب شيخ المضيرة ص ١٦٨ « قال احد كبار علماء الالمان في الاستانة لبعض المسلمين ـ وفيهم احـد شرفاء مكة : انه ينبغي لنا ان نقيم تمثالا من الذهب لمعاويه بن ابي سفيان

ومذاهب تتصارع فيما بينها على طريقة عبادة الله .

كانت فترة التنازع على الخلافة بين الأمويين أنفسهم في السنوات الأخيرة من حكمهم وبين الأمويين والعباسيين فرصة غالية اغتنمها امناء الله على دينه في نشر أحكام الدين وتعاليم القرآن سواء ما يتعلق منها بالعقيدة والايمـــان أو بالعبادات والمعاملات .

وكان للشيعة العلوية النصيب الأكبر من ذلك بفضل جهاد الامامين العظيمين أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين الباقر عليه السلام وولده أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وكان لمدرستيهما في المدينة والكوفه الشهرة الواسعـــة في الأوساط العلمية وللمترددين عليها من أئمة الحديث والفقه الأثر الفعال في نشر المعارف الاسلامية عن طريق مذهب آل البيت التشيع الذي كان قد انتشر في البلاد الاسلامية بعد أن علم المسلمون أنه الطريق المستقيم إلى دين الله الاسلام ، وأنه المذهب الثابت الذي لم يتأثر بالحكم في عهد علي عليه السلام ولم يساوم أحداً بشيء في عقيدته بالمغريات من المال والجاه والسلطة ، فرأى المنصور في دعوة التشيع لعلي عليه السلام ما يخل بسلامة ملكه واستقرار الخلافة لبني العباس ، لاسيما والدعوة إلى آل البيت استفحلت في الأوساط العلمية وتبناها الفقهاء والمحدثون وحملة الآثار[1] وفطن السواد الأعظم إلى أن العباسيين لم يكونوا من آل البيت

=

في عاصمتنا ــ برلين ــ فقيل لماذا ؟ قال : لانه هو الذي حول نظام الحكم الاسلامي عن قاعدته الديمقراطية الى العصبية ، ولولا ذلك لعم الاســلام العالم ولكنا نحن الالمان وسائر شعوب أوروبا عربا مسلمين .

١ ــ كا ن من الذين عارضوا خلافـــة العباسيين وقالوا بعـــدم مشروعيتها وافتوا الناس بالخروج عليها الامامان ابو حنيفة ومالك بـــن انس، وجل فقهاء المدينة والكوفة والبصرة، منهم سفيان الثوري وعبدالله ابن عمر بن ابي ذؤيب وعبد الحميد بن جعفر ومحمد بن عجلان وعبـــد الله بن المطلب المخزومي وعبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المســـود

=

المنصوص عليهم بالإمامة، وأن الشعارات التي رفعوها وطالبوا بها الخلافة في مطلع ثورتهم ايدت مظلومية آل الرسول واغتصاب الخلافة منهم قهراً وانهم اولى الناس بالخلافة ، وان الخلافة يجب أن تعود إليهم فتصدى المنصور لدعوة التشيع وسخر كافة قواه وامكانياته لازاحة العلويين من آل البيت عن طريق الخلافة لا سيما الذين كانوا قد أعدوا أنفسهم لها ولم يكن شبح مؤتمر الأبواء الذي انعقد في سنة ١٢٦ بين العباسيين والعلويين ليغيب عن نظره لأنه كان خطيب الحفل والمحرض الأول لعقد البيعة لمحمد بن عبد الله بن الحسن الذي كان المنصور يؤمن ويعتقد بأنه أولى الناس بالخلافة وكان أول من بايعه في المؤتمر وجدد له البيعة في مكة وكان يأمل أن ينـــال الخير على يده وفي عهده[1] .

جد المنصور في مطاردة العلويين لا سيما أبناء الحسن منهم فقبض على عبد الله بن الحسن وجماعة من اخوته وبني عمومته فحبسهم وضيق عليهم في الحبس غاية الضيق حتى مات أكثرهم وقتل الباقين بالسيف والسم ودفن الكثير من العلويين وهم أحياء في اسطوانات قصوره وعماراته ببغداد ولم يسلم من القتل على يده الامام أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام لأنه وجد في تقوى

=

ابن مخربة ، وابو بكر بن ابي سبرة وواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وعثمان ابن محمد بن خالد بن الزبير وعبد الله بن عمر العمري واخرون ممن لـم يسـع ذكرهم وقد عقد ابو الفرج الاصفهاني فصلا خاصا في كتابه مقاتـل الطالبيين ذكر فيه من خرج على المنصور مع محمد بن عبد الله بن الحسن واخيه ابراهيم من الفقهاء والعلماء وحملة الاثار . وكان ابو حنيفة يـرى القتال مع ابراهيم كالقتال مع رسول الله يوم بدر وكان ممن جهز جيش محمد بن عبد الله بن الحسن بالمال وكان مالك بن انس يفتي النـــاس بنقض بيعة المنصور لانها بيعة اكراه وليس على المكره يمـين ــ مقاتـل الطالبيين ــ ترجمة محمد وابراهيم ولدي عبد الله بن الحسن . وسيأتي بقية ذلك في الاسباب التي حملت المنصور على قتل ابي حنيفة وجلد مالك

١ ــ راجع مؤتمر الابواء في هذا الكتاب .

الامام وزهده وعلمه واتجاه الأنظار إليه ما يحط بمنزلته وقدره في أعين الناس وهو الخليفة والحاكم بأمره[1] .

وسار على نهج المنصور أولاده وأحفاده كالمهدي والهادي والرشيد، وكان الرشيد والمتوكل من أقساهم وأشدهم بطشا وقتلا وتعذيباً للعلويين والشيعة واتباعهم ومواليهم ، وكان ما نزل من البـــلاء بالعلويين والشيعة في عهد العباسيين أعم مما نزل بهم في عهد بني امية وآل مروان ، حتى آل الأمر ببني علي وفاطمة أن يختفوا عن الأنظار ويعيشوا في الخفـــاء ويغيروا اسماءهم ويتنكروا على الناس أحسابهم وانسابهم ، ويقيموا في الريف والأحياء البعيدة عن الأنظار ، يمتهنون السقاية والاحتطاب ويبتعدوا عن أهاليهم ومساكنهم ويضيعوا أنفسهم حتى جهلهم أقرب الناس إليهم[2] .

---

١ ــ في كتاب ــ شرح شافية ابي فراس الحمداني ــ فـي مناقب ال الرسول ومثالب بني العباس ص ١٧١ نقلا عن الشيعة والحاكمون : قال محمد الاسقنطوري : دخلت على الدوانيقي « وهو لقب المنصور » فوجدته في فكر عميق فقلت له ما هذا الفكر ؟ قال قتلت من ذرية فاطمة بنت محمد الفا او يزيدون وتركت سيدهم ومولاهم فقلت ومن ذاك ؟ قال قد عرفت بأنك تقول بامامته وانه امامي وامامك وامام جميع هذا الخلق ولكن الان افرغ له . وفي تاريخ الشيعة للشيخ المظفر نقلا عن كتـــاب الصواعق المحرقة لابن حجر ونور الابصار للشبلنجي واسعاف الراغبـين للصبان كتب المنصور الى عامله على المدينة ان يحرق دار الامام الصادق ثم دس له السم فمات مسموما ــ الشيعة والحاكمون ص ١٤٥ .

٢ ــ منهم عيسى بن زيد بن علي بن الحسين وكـان افضل من بقي من اهله دينا وعلما وورعا وزهدا وتقشفا واشدهم بصيرة مع علم كثيـر ورواية للحديث فانه اختفى عن اهله وصار ينقل الماء ليكسب به قوتـــه وقصة اختفائه واشتياق اهله اليه يرويها ابو الفرج الاصفهاني فيترجمته في مقاتل الطالبيين ومنهم القاسم بن الامام موسى بن جعفر صاحب المقام المشهور في لواء الحلة ــ العراق في الناحية المعروفة باسمه ناحيةالقاسم وله خبر طويل يصور لنا اختفاءه وتكتمه لحسبه ونسبه حتى علـــى زوجته وابنته منها الى ان نزل به الموت وايقن انه مائت اظهر ذلك لابـي =

كان نصيب العباسيين من قتل الأئمة المعصومين أكثر من نصيب الأمويين ، فقد ساهم الأمويون في قتل أمير المؤمنين علي ، وقتلوا الحسن سـراً ، وقتـلوا الحسين علناً ، وأماتوا بالسم علي بن الحسين والباقر ، أما العباسيون فقد قتلوا بالسم الامام الصادق ، والكاظم ،والرضا ،والجواد ، والهادي ، والعسكري . وقتلوا ما لا يحصى من العلويين جهراً ودفنوا معظمهم احياء في الاسطوانات .

سلك العباسيون سبيل الأمويين في القضاء على آثار العلويين في التشيع الذي كان يرى الامامة منحصرة في المنصوص عليهم من آل الرسول ﷺ فاحتضنوا العلماء والخطباء والمحدثين المناوئين للشيعـة والتشيع ، لا سيما الذين لم يهمهم مشروعية الحكم وشرعية الخلافة ، ونهج القائمين على رأس الامة ، بقـدر ما كان يهمهم أن يكونوا في ركاب الخلفاء تفتح أمامهم أبواب البلاط ، وتكون لهم الصدارة في مجالس الامراء والنبلاء والقواد والولاة ، شأنهم شأن علمـاء السوء في عهد الاحتلال البريطاني في العراق ومصر[1] وشأن علماء السوء في عهد الاحتلال الفرنسي للشام والمغرب[2] وشأن علماء السوء في كل زمان ومكان .

= زوجته في جملة ما اوصاه وقصته مشهورة ومدونة في اغلب الكتـب والمجاميـع .

١ ــ راجع حياة الشرق لمحمود جمعـة ففيه فصول وحكايات عـن المآسي التي لحقت بالعالم الاسلامي قبل الحرب العالمية الاولى وبعدها في عهد احتلال الممالك الاسلامية من قبل البريطانيين والافرنسيين وموقفهم من الحكومة التركية المسلمة وما عملوه من المنكرات في عهد الاحتـلال الاسود وتملقهم للمحتلين .

٢ ــ حدثني في تونس سنة ١٩٥٩ السيد كاتب الدولـة لشؤون رئيس الوزراء الباهي الادغم على اثر محاضرة كنت قد القيتهـا في جامع قيروان وعنوانها ــ الثورة العراقية ومساهمة رجال الدين في الثـورة ــ كنت قد تناولت فيها بحث الثورة العراقية ضد الاحتلال البريطاني وموقف علماء الشيعة منها في كربلاء والنجف بزعامة الامام المغفور له الشيـخ محمد تقي الشيرازي «رض» .

أسس العباسيون من هذه الزمرة دار الافتاء وديوان القضـــاء ، وبطشوا بكل من لم يتجاوب معهم من الفقهاء والعلماء والمحدثين[1] فأصبحت هذه الزمرة

=

قال السيد الباهي الادغم في سياق حديثه عن مساهمة رجـــال الدين في طرد المحتلين « ان ما سمعته في محاضرتك جعلني اكبـر فـي علماء الشيعة في العراق روح الاسلام الصحيح والوطنية الدينية الصادقة وقد كانت محاضرتك اليوم اقوى رد لعلماء السوء في المغرب العربي لان موقفهم من طلب الاستقلال كان سلبيا وبعضهم افتى بجواز البقاء علـى الجنسية الفرنسية حتى بعد الاستقلال ـ نشرت المحاضرة في جريـدة الاخبار العراقية وامتنعت بقية الصحف عن نشرها في عهـد قاسـم ، ونشرت جريدة العمل التونسية مقتطفات منها في اعداد متسلسلة كمـا اذاعت فقرات منها اذاعة تونس وامتنعت الاذاعة العراقية من اذاعتها .

١ ـ ذكر الاصفهاني في مقاتل الطالبيين في ترجمة محمد وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن من اسباب قتل المنصور لابي حنفية انه عثـر على الكتاب الذي كان قد بعثه ابو حنيفة لابراهيم بن عبد الله لما توجـه الى حرب عيسى بن موسى العباسي الذي كـان يقود حملة المنصور على ابراهيم في الكوفة والذي يقول فيه « اذا اظفرك الله عليه وعلى اصحابه فلا تسر فيهم سيرة ابيك في اهل الجمل فانه لم يقتل المنهزم ولم يأخذ الاموال ولم يتبع مدبرا ولم يدنف على جريح لان القوم لم يكن لهم فئـة ولكن سر فيهم بسيرته يوم صفين فانه سبى الذرية ودنف على الجريـح وقسم الغنيمة ، لان اهل الشام كانت لهم فئة وكانـوا في بلادهم فظفـر المنصور بهذا الكتاب وبعث اليه وسقاه شربة فمات منها ودفن في بغداد وهناك روايات اخرى كلها ترى ان المنصور قتل ابا حنيفة بالسم . امـا مالك بن انس فقد امر المنصور عامله على المدينة بجلده فجلده حتـــى انخلعت كتفاه وقيل ضرب سبعين سوطا وقـد لاقى الكثير من الفقهاء والمحدثين واساطين العلم والحديث بسبب خروجهم مع محمد وابراهيم كثيرا من المحن والاذى وهدمت دور جماعة منهم « راجع تاريـخ بغـداد وطبقات ابن سعد ج٣ ـ ص١٧٣ وخلاصة الكلام في امراء البيت الحرام لابن دحلان ومقاتل الطالبيين ـ والطبري ج٩ ـ ص ٢٣٥ لتطلع على اسماء من خرج مع محمد وابراهيم ضد المنصور وقالوا بوجوب خلعه ووجوب
=

تتكلم باسم الدين وإليها مرجع السنة ، كما كانت في العهـــد الأموي ، فراح المحررون والمؤرخون يتلقفون منهم تعاليم الدين والحديث والرواية كالمحررين والمخبرين ووكالات الأنباء في هذا اليوم ودارت عقربة الساعة وصار التاريخ ملكاً للخلافة العباسية وسجلا خاصاً يدون فيه أخبارهم وحوادثهم ، وبعد أن كان الانتهازيون من المحدثين يحدثون النـــاس في عهد امية ـ أن الله اصطفى محمد وجبرائيل ومعاوية[1] وأن علياً من محمـد بمنزلة قارون من موسى ـ وأن العباس وعليا ماتا على غير قبلة محمد وانهما كانا من أصحاب النـــار[2] راحوا يعددون ركعات صلاة الرشيد وأنه كان يصلي في كل ليلة ألف ركعة[3] وأن المتوكل قد أحيى السنة التي أماتها عمر بن عبد العزيز[4] دون أن يعرفوا أن للباطل مدى وللكذب نهاية وأن الأيام التي كشفت زيف أخبـــارهم بعد

=

قتاله على ذلك وكان معظمهم من غير الشيعة الامامية فيهم المعتزلـــة والمرجئة وغيرهم من المذاهب المختلفة .

١ ـ روى صاحب البداية والنهاية ج٨ ص ١٢٠ عـن ابـي هريرة قال سمعت رسول الله «ص» يقول « ان الله ائتمن على وحيه ثلاثة انـا وجبرائيل ومعاوية » .

٢ ـ روى الزهري عن عروة بن الزبير عن السيدة عائشة قالت كنت عند النبي «ص» اذ اقبل العباس وعلي فقال « ان سرك ان تنظري الـى رجلين من اهل النار فانظري الى هذين الرجلين قد طلعا » فنظرت فاذا العباس وعلي فقال : « يا عائشة ان هذان يموتان على غير قبلتي » شيخ المضيرة ص ١٧٧ وابن ابي الحديد في شرح النهج .

٣ ـ لا ادري من كان لمحظيات الرشيد التي يتجاوز عددهـن عـن الف محظية .

٤ ـ لما عزم عمر بن عبد العزيز على رفع السب عن علي مـن خطبة الجمعة ضج من في المسجد صارخين في وجهه : السنة .. السنة يـا امير المؤمنين ، واجمع المؤرخون ان المتوكل كان اشد الناس عداوة لعلـي ولا ينفك عن سبه والانتقاص منه على مجونه واستهتاره بالقيم الدينيـة والاخلاقية ومع ذلك كان من اشهر القابه « محيي السنة » .

الانقلاب العباسي سيكشف أباطيلهم إذا حدث بالدولة العباسية ما حدث بالدولة الأموية .

لم يكتف المنصور ومن خلفه على الحكم بكل ما أنزلوه من العذاب بأبناء عمهم العلويين بل عمدوا إلى تفضيل أنفسهم عليهم وراحوا ينازعونهم القربى من رسول الله ﷺ وأخذوا ينكرون عليهم أنهم من أبناء رسول الله ﷺ فتبنوا يتامى عهد الأموي من ورثة أبي هريرة الذين ورثوا عنه تركة مثقلة بالحديث الموضوع والروايات المفتعلة لاسيما التي لم يحدث عنها أبو هريرة في عهد معاوية[1]

---

١ ـ كان ابو هريرة اول راوية اتهم في الاسلام بالكذب على رسول الله ـ ص ـ اتهمه بذلك الخليفة الثاني عمر والثالث عثمان والامام علي وعائشة وهو اول والي فضحه عمر على اخذ الرشوة لما ولاه على البحرين. وهو كما تقول الرواية كان بلا نعلين ، فجمع من المال والكراع عن طريق الرشوة ما يعجز عن جمعه ابرع المرتشين ، ولما استفحل امر معاوية وراح ينازع عليا الخلافة انحاز ابو هريرة اليه ووقف بجانبه وساومه على وضع الحديث ليعزز مقامه ودولته في انظار الناس فاشغل ابو هريرة منصب مدير الدعاية في عهد معاوية ، ولكي يرفع من مقام نفسه فيما بين الصحابة والتابعين بدأ بوضع الحديث عن نفسه ، فزعم ان النبي ـ ص ـ قد خصه دون غيره بالحديث والحكم والاحكام ، ودعا له بحفظ كل ما يسمع ، وان النبي ـ ص ـ قد ملأ ـ تمره ـ بمختلف الاحاديث وكان حصيلة ذلك ان ملأ خمسة اجربة من حديث رسول الله ـ ص ـ حدث من جراب واحد ما يقارب خمسة الاف حديث . وقال: لو حدثت الناس بما في بقية الاجربة لرماني الناس بالبعر وقطعوا مني الحلقوم .

لا عجب من امر ابي هريرة وقد رأى الناس في عهد معاوية لا يفرقون بين الحصى والجوهر ولا يميزون الخبيث من الطيب ، ان يغتنمها فرصة وهو الكذاب المرتشي فيجعل من نفسه قيما على حديث النبي ـ ص ـ وحافظا لكل ما نطق به من بدء دعوته الى يوم وفاته فيضع لكل مقام حديثا ولكل امر رواية بعد ان ضمن له معاوية البطش بكل من يرد عليه او ينكر حديثه وهيأ له جماعة من اتباعه ينشرون حديثه ويذيعونه =

=
في الافاق ، بل العجب كل العجب ممن اتخذ من هذا الشيخ الضال راوية صدق عن النبي ـ ص ـ واعتمد على حديثه وروايته مع العلم ان الكثير من زملائه يرى كفر الكاذب على رسول الله ـ ص ـ ولا يقبل منه الرواية بعد توبته واسقط من الاعتبار كل ما حدث به من قبل !!

العجب ممن اعتبر اصدق كتاب بعد كتاب الله الكتاب الذي يروى عن ابي هريرة ٥٣٧٤ حديثا، ولا يروى عن طريق الامام ابي عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام رواية واحدة وهو كما يعلم اعلم وازهد واتقى وافقه اهل زمانه باجماع الفقهاء والعلماء والمحدثين ، ولما سئل عن سبب ذلك اجاب انه لا يثق بأصحابه ، كأن الثقة عنده منحصرة في من اتبع سنة الامويين وتزكية الثقات عنده البراءة من ال البيت .

اليك ايها القارىء الكريم بعض ما رواه البخاري من هذه الاحاديث :

روى البخاري كما في ـ فتح الباري ـ ج٤ ص ٢٣١ وغيره عن ابي هريرة قال: « انكم تقولون ان ابا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ـ ص ـ وتقولون : ما بال المهاجرين والانصار لا يحدثون عن رسول الله ـ ص ـ بمثل حديث ابي هريرة ، وان اخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالاسواق ، وكنت الزم رسول الله على ملء بطني، فأشهد اذا غابوا واحفظ اذا نسوا وكان يشغل اخوتي الانصار على اموالهم ، وكنت امرءا مسكينا من مساكين الصفة اعي حين ينسون ، وقد قال رسول الله ـ ص ـ في حديث يحدثه : انه لن يبسط احد ثوبه حتى اقضي مقالتي هذه ثم يجمع اليه ثوبه الا وعى ما اقول، فبسطت تمرة ـ اي ـ شملة ـ علي حتى اذا قضى رسول الله ـ ص ـ مقالته جمعتها الى صدري فما نسيت من مقالة رسول الله ـ ص ـ تلك من شيء .

اخرج البخاري عن ابي هريرة قال : حفظت عن رسول الله ـ ص ـ وعائين فأما احدهما فبثثته واما الاخرى فلو بثثته لقطع هذا البلعوم .

وفيه كان ابو هريرة يقول : رب كيس عند ابي هريرة لم يفتحه .

وهناك رواية اخرى تروى عن ابي هريرة انه حفظ خمسة اجربة فأخرج منها جرابين وقال : لو اخرجت الثالث لرماني الناس بالحجارة ، وعنه لو انبأتكم بكل ما اعلم لرماني الناس بالخرف وقالوا ابا هريرة مجنون،

ويرفع من شأن دولتهم فراحوا يحدثون الناس بفضائل العباس وأنه كان من

=

وفي رواية مماثلة : لو حدثتكم بكل ما في جوفي لرميتموني باللغو .

ارأيت ايها القارىء كيف تمكن ابا هريرة بهذه الاحاديث أن يخلق من نفسه شخصية عظيمة له من المقام والكرامة عند رسول الله ـ ص ـ بحيث خصه دون غيره بحديثه وسنته وتعاليمه ؟ ارايت كيف ان ابـــا هريرة وقد ساوم معاوية على وضع الحديث كيف سد الطريق على غيره في رواية الحديث وطعن في الصحابة من المهاجرين والانصار الذين سبقوه بالاسلام كعلي وابي بكر وعمر والمقداد وعمار وسلمان وابيذر وغيرهم من عيو نالصحابة واعتبرهم من الذين الهتهم التجارة وكسب المال عـــن استماع حديث النبي ـ ص ـ وحفظه وانهم كانوا يتغيبون عـــن مجلس رسول الله ـ ص ـ واذا حضروا وحدثهم نسوا ذلك وحفظ حديثه ابـو هريرة فحسب ؟!! ارايت كيف ان السياسة الاموية جعلت من ابي هريرة راوية الاسلام دون سواه ؟ ولا اظنك تبحث عن السبب وانت تشاهـــد بنفسك في دنيـــا اليوم فعل الدعايـــة وعمل الدعـــاة في ظل الاحكـــام العرفية والرقابة على ما ينشر ويذاع في الجرائد والمجلات ودور الاذاعة والنشر من الامور التي تقتضيها مصلحة الحاكمين فحسب وان خالفت الحقيقة والواقع فلكل حاكم الف ابا هريرة في هذا اليوم وعند كـــل ابي هريرة منهم الف جراب وجراب « من اراد التعرف على ابي هريـــرة عليه بمطالعة كتاب « شيخ المضيرة » لابي رية وكتاب ـ ابو هريـــرة ـ لشرف الديـــن .

كان المسلمون في عهد النبي ـ ص ـ وما بعده لا يشكون في اسلام ابي طالب وايمانه بالنبي ـ ص ـ لا سيما المعاصرون له في مكة ، ولـــم يكن امر اسلامه ليخفى على احد لان موقفـــه العظيم مـــن النبي ـ ص ـ ودفاعه عنه ونصرته لدينه كان قد اعجب الناس جميعا ، وقد عادى مـــن اجل محمد وفي سبيل دعوة محمد ـ ص ـ صناديد العرب من قريش وتحمل كل ما دبروه له من المؤامرات والكيد برسول الله ـ ص ـ ومـــن جملتها مقاطعة قريش لبني هاشم وحصارهم في الشعب ، فتحمـــــل ابو طالب وحمل الهاشميين ان يتقبلوا الام المقاطعة من اجل محمد وفـــي سبيل الحفاظ عليه واعلان دعوته المباركة ، وكان النـــــاس يعلمون بأن ابا طالب يولي محمد من الحب والرعاية والعناية ما لم يولي بعض ذلـــك

=

اولاده وكان يؤثره عليهم في كل شيء ، ويوم شاهد جعفرا يقف من النبي – ص – موقف اخيه علي في الصلوات سر سرورا عظيما وقال لجعفر : صل جناحك بجناح ابن عمك .

وقد بلغ حبه لمحمد واخلاصه لمحمد وايمانه بشريعة محمد ودين محمد ان مدحه بأروع ابيات من الشعر منها قوله :

ودعوتني وعلمت انك صادق ولقد صدقت وكنت قبل امينا
ولقد علمت بأن دين محمد من خير اديان البرية دينا

ومنها قوله :

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للرامل

وقوله :

فشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

هكذا عاش محمد في قلب ابي طالب وعاش ابو طالب مسلما مؤمنا مجاهدا في قلب النبي – ص – وقلوب اصحابه في حياته وبعد مماته وقد سمى النبي – ص – عام موته بعام الحزن وكان حزنه عليه وعلى زوجته ام المؤمنين خديجة بالغ الاثر في نفسه الى ان حل بالمسلمين عهد المآسي والمنكرات وفقدت مقاييس الفضيلة واحتلت السلطة الاموية الغاشمة دولة الاسلام وصار على رأس الخلافة معاوية بن ابي سفيان ، وساد في الناس الناكرون للوجدان والفاقدون للضمير فراحوا يتقربون الى معاوية بالانتقاص من خصمه الامام علي – ع – وشتم ال البيت والتمجيد بمجد الامويين وكان مما تقربوا به الى معاوية اختلاق الحديث في كفر ابي طالب وصحة اسلام ابي سفيان وعده من الصحابة فاصبح ابو طالب حبيب رسول الله – ص – وكفيله وحارسه وناصره والمجاهد دونه وفي سبيل دعوته – كافرا مشركا عنيدا مصرا على الباطل على الرغم من اعتقاده بأن دين محمد من خير الاديان !! واصبح ابو سفيان بن حرب ابن امية رأس الكفر وزعيم الشر والشرك والفساد صاحب اول راية خرجت لقتال النبي – ص – وصاحب اخر حرب اقامه على رسول الله – ص – مسلما مؤمنا موحدا مخلصا في دينه وفي اسلامه ، الامر الذي انكره العباسيون في عهد امية وامنوا به لما صارت اليهم الخلافة وعدلوا عن مذهب ال البيت الى مذهب المناوئين له واتخذوا من مفتريات الامويين

لأنهم من ذوي القربى لقوله تعالى : « قل لا أسئلكم عليه اجراً إلا المودة في القربى » وإن قرابة العلويين بالنبي ﷺ دون قرابة العباسيين لأن أبا طالب مات كافراً ولا قرابة بين المسلم والكافر وأن انتساب العلويين إلى النبي ﷺ وادعائهم بأنهم ذريته وأولاده إدعاء باطل يخالف التقاليد العربية الموروثة لأن أبناء بنات الرجل لا ينتسبون إليه ، وانهم بمنزلة الأجانب والغرباء الأباعد عنه واستشهدوا بشعر نسبوه إلى الخليفة عمر وهو :

بنونا بنـو أبنائنـا وبناتنـا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

كما استشهدوا في ذلك بشعر مروان بن أبي حفصة :

=

حرابا طعنوا بها صدور العلويين !!

ولكي يبقوا على وفاء النبي ـ ص ـ لعمه ابي طالب ـ حدثوا عنـه انه في ضحضاح من النار واسندوا روايته الى العباس بن عبد المطلب ، دون ان يفطن الواضعون لهذا الحديث السخيف ان الضحضاح مـن الاواني الخاصة لوضع الماء فيها وراح العباسيون يفاخرون العلويين بأنهم من اولاد عمه المسلم وانهم اي العلويون بنو ابنته وهم دونهم في القربى وقال عبد الله بن المعتز العباسي يخاطب الفاطميين :

وانتـم بنـو بنتـه دوننـا ونحـن بنـو عمـه المسلم

ولو تأمل الباحث في الروايات التي وردت في كفر ابي طالـب وجدها كلها تستند على روايات المناوئين لالالبيت، يؤيد ذلكان المناوئين لال البيت التابعين لسنة امية وهم يروون الروايات الدالة على اسلامه ، يحاولـون ان يضعفون سندها لانها وردت عـن الروافض والشيعة وفي مقدمتهم الامام الصادق وهذا ما يدل الى ما اشرنا اليه من ان الثقـة محصورة عندهم في من يروى عن التابعين لال امية وان اتباع الـراوي لعلي دليل ضعفه وعد مالثقة في روايته ، وللتأكد من ذلك نحيل القارىء الـى ما يحدثنا عنه صاحب الاصابة في ترجمة ابي طالب لانـه جمـع الروايات الواردة في اسلامه وكفره وصحيح الأخيرة منها لانها لم تـرو عـن طريق الروافض والشيعة .

اني يكون ولا يكون ولم يكن لبني البنات وراثة الأعمـــام

لقد كثر الكلام والنقاش بين الناس في انتساب أبناء بنات الرجل اليه حتى ان الخلفـــاء انفسهم راحوا يستدلون بأقوال الشعراء وامثال الجاهلية في ذلك ويخاصمون أبناء علي في انتسابهم الى النبي ﷺ وهم بنو بنته الزهراء نذكر على سبيل المثال ما دار بين الرشيد والامام الكاظم موسي بن جعفر[1].

الرشيد : كيف تزعمون أنتم أبناء رسول الله ﷺ والنبي لم يعقب وانما العقب للذكر لا للانثى ؟

الامام : لو ان النبي ﷺ نشر وخطب اليك كريمتك هل كنت تجيبه ؟

الرشيد : ولم لا اجيبه ! بـــل افتخر على العرب والعجم وقريش بذلك ،

الامام : لكنه لا يخطب الي ولا أزوجه ،

الرشيد : لم ؟

الامام : لأنه ولدني ولم يولدك

---

١ ـ طرح العباسيون بين الناس روايات وحكايات تجعل قرابتهم من النبي ـ ص ـ اقوى من قرابة العلويين ، فحكاية مطالبة العبـــاس الخليفة بميراثه من النبي ـ ص ـ هي من وضع العباسيين لتاكيد قرابتهم من النبي ـ ص ـ بعد ان طعنوا في قرابة العلويين اليه من جهة ابي‌طالب كما تقدم ، اذ لا يعقل من العباس ان يطالب بميراثه من النبي ـ ص ـ على فرض ان له ميراثا وهو يرى بنت النبي ـ ص ـ الزهراء قد حرمت من الميراث ورد الخليفة طلبها لرواية رواها عن النبي ـ ص ـ « نحـــن معاشر الانبياء لا نورث وما تركناه فهو صدقة » .

الرشيد : صدقت

الامام ازيدك على ذلك

الرشيد : قل

الامام : بسم الله الرحمن الرحيم « ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين ، وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين » .

الامام : للرشيد ليس لعيسى أب وانما صار من الذرية من جهة امه .

الامام : ازيدك « ومن حاجك فيه بعد ما جائك به من العلم فقل تعالوا ندعوا أبنائنا وأبنائكم ونسائنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين [1] » .

الامام : للرشيد ، ان الذين باهل بهم النبي ﷺ كانوا عليا وفاطمة والحسن والحسين .

عادت الاحاديث المكذوبة والروايات المفتعلة تحتل كتب الحديث والتاريخ والأدب وتضاعف عددها بعد أن اعتبر الوضاعون الكذب على الله ورسوله في الدفاع عن المذهب امراً مستحسناً ، سهلت مجالس البحث والحلقات العلمية انتشارها بين الناس وعادت الرقابة من جديد على ما ينشر ويذاع عن طريق مذهب آل البيت والتشيع .

---

١ ــ اية الباهلة من الايات التي دلت على مقام اهل البيت عند النبي ــ ص ــ وحصرهم في علي وفاطمة والحسن والحسين دون سواهم فقد اعتبر الله في كتابه المجيد عليا نفس محمد والحسن والحسين ابناءه ارضي بذلك العباسيون ام غضبوا ؟

ففي هذا الجو المحموم وخلال فترة الحكم العباسي سيطرت الاكاذيب على الحقائق وسادت الاباطيل على الوقائع ومن بين علماء العباسيين والفئات الضالة التي كانت قد سخرت نفسها للدفاع عن سنة امية برع سيف بن عمر التميمي[1] وابو حيان التوحيدي[2] ومن على شاكلتهما في حبك القصص ونسج الحكايات والمساجلات وابتداع المذاهب واختلاق الروايات عن أشخاص لم يكن لهم وجود بين رجال الحديث والرواية فملؤا التاريخ بها وسودوا معظم صفحاتها فأصبح التاريخ في سنده ومستنده يحكي ما تنشرها الصحف في هذا اليوم من الحوادث والاخبار .

كان من تلك القصص الخيالية التي ابتدعت ووضعت للكيد بالشيعة قصة السبئية وما تفرع عنها ، فتناقلها المؤرخون والمؤلفون بصورة عامة اكسبتها استمرارية النقل والحكاية والترديد صفة الحقيقة حتى راح الشيعة أنفسهم يتحدثون عنها دون أن يفطن الى وضعها واختلاقها احد منهم حتى السنوات الاخيرة التي قيض الله لها من رجال العلم والادب من فند حكايتها ومزق نسيج

---

١ ـ اليك ترجمته في كتب الرجال ـ الفهرست لابن النديم ـ ص ١٣٧ ـ ميزا نالاعتدال للذهبي ص ٤٣٨ ج١ ، رقم ٣٥٨١ ، تهذيب التهذيب ج٤ ص٢٩٧ نقلا عن جماعة من علماء الرجال كابن معين والدارقطني ـ وابي حاتم ـ وابي داود النسائي ـ وابن عدي وابن حيان ـ وعباس بن يحيى وصاحب الاصابة وغيرهم يقول هؤلاء :

ان سيف كان يروي عن خلق كثير من المجهولين ، ضعيف الحديث ليس بشيء ، متروك ، يضع الحديث ، ساقط في الرواية . يروي الموضوعات عن الثقات . عامة احاديثه منكرة . متهم بالوضع والزندقة ـ نقلا عن كتاب ـ ابن سبأ ـ .

٢ ـ اقرأ موضوعاته في الجزء ٧ ـ من مجلد ٢ ص ٩١٤ ـ ٩١٩ من شرح النهج طبع دار الفكر ـ بيروت .

رواياتها واثبت وضعها واختلاقها [1] .

هل اكتفى المناوئون للشيعة بفرية السبئية ؟ يقول التاريخ لا : هناك فرية اخرى أعمق كيداً وأمضى طعناً وأمعن تشهيراً بالشيعة والتشيع ! ! هنـــاك قصة ـ الكيسانية ـ وهي لا تختلف في الوضع والاخراج والقصد عن ـ السبئية ! هناك المذاهب التي تفرعت عنها واعتبرت من الشيعة زوراً وكذباً وافتراء هناك المقالات الضالة التي نسبت اليها لاثبات كفر الشيعة وخروجهم عن الدين ! هناك إباحة المحرمات والقول بالحلول والتناسخ والوهية الاشخاص . وكلها تنسب الى ـ الكيسانية ـ هناك الفرق الكيسانية التي تقارب عددها عن ربع الفرق التي أشار اليها النبي ﷺ بقوله « ستفترق امتي الى ثلاث وسبعين فرقة واحدة منها ناجية والباقية هالكة » وقد تناقل أخبارها ومقالاتها بعد شهرتها المؤرخون من الشيعة أنفسهم دون أن يلتفت الى زيفها وابتداعها احد منهم ، مع العلم ان قليلا من البحث والتتبع والتنقيب عن اصلها ومصدرها يكشف للباحث وضعها واختلاقها لا لفقدان سندها ومجهولية رواتها والمتحدثين عنها فحسب بل للتناقض البين الصريح الواضح في سرد حكاياتها ومقـالاتهـا ورجالهـــا والمنتسبين اليها .

أما لو أن الباحث ذهب بعيداً في التفكير وحلق في الأجـواء التي اخرجت للناس ـ الكيسانية ـ مذهباً للمس بيده الأسباب التي حملت الوضاعين ومن ورائهم السياسات الغاشمـة والمهرجين على وضعها وابتداعها وكيف صيروا منها مذهباً سياسياً لا يختلف عن ـ السبئية ـ في الوضع والابتداع وان اختلفت عنها في التطور والنمو والتدرج فصارت مذهباً ثم تعددت حسب ما اريد منها الى مذاهب شتى ، وهذا ما حملني على البحث عن ـ الكيسانية ـ بعد ان وجدت

---

1 ـ اقرأ كتاب عبد الله بن سبأ للسيد مرتضى العسكري .

السكوت عنها جناية في حق الشيعة والتشيع الذي تكفل بحماية الاسلام وحفظ المسلمين مبادئه وأحكامه ولاقى في سبيل ذلك على يد أعدائه ضروب المحن والأذى ألوان بعضها أصابت مذهباً من المذاهب والحقت بدين من الأديان لجعلته في خبر كان لا سيا وان المزمرون والمطبلون لسيرة امية ونهج بني العباس اتخذوا من الكيسانية ومقالاتها حراباً يطعنون بها الشيعة والتشيع والله من وراء القصد .

بيروت في ١ / ٨ / ١٩٧١

عبد الواحد الانصاري

الكيسانية

يقول أصحاب الملل والنحل والباحثون عن المذاهب والأديان ـ الكيسانية ـ إحدى المذاهب الاسلامية التي ظهرت بعد مقتل الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام أو بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام وهي في عداد مذاهب الشيعة ، تقول بامامة محمد بن علي بن ابي طالب المعروف بابن الحنفية رضى الله عنه ، تفرقت إلى مذاهب وتعددت فرقها ومقالات أصحابها إلى أكثر من خمسة عشر فرقة ، ومقالة . ثم تلاشت جميعها وانقرض المنتسبون إليها كما يقول المؤرخون منهم شيخنا المفيد رضى الله عنه المتوفى سنة ٤١٣ في كتابه ـ العيون والمحاسن ـ والشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ في كتابه ـ الملل والنحل ـ بهامش ـ الفصل ـ ومنهم ابن حزم الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ ـ في كتابه ـ الفصل .

ويقول النوبختي الحسن بن موسى في كتابه ـ فرق الشيعة ـ وهو من علماء القرن الثالث الهجري ، وأول من كتب وألف في الفرق والأديان : ـ إن المنتسبين إلى الكيسانية قد انقرضوا ولم يبق إلا القليل من أبنائهم ، دون أن يذكر لنا عن هذا القليل هل كان يدين بالكيسانية أم لا ؟ .

يكاد الباحثون عن الكيسانية يحصرون المنتسبين إليها في أشخاص لم يتجاوز عددهم الاثنى عشر رجلاً كما توصلنا إلى معرفتهم ـ وهم ـ المختار بن ابي عبيدة

الثقفي ـ السيد اسماعيل بن محمد المشهور ـ بالسيد الحميري ـ كثير عزة الشاعر المعروف ـ أبو خالد الكابلي أحد أصحاب الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام الحمزة بن عمارة أو عمارة بن الحمزة ـ وعبد الله بن الحارث ـ وبيان وصائد النهديان ـ وأبو كرب أو ابن كرب الضرير ـ وأبو مسلم الخراساني ـ وأبو هريرة المجهول اسم أبيه ـ وعبد الله الراوندي فإذا استثنينا المختار ـ والكابلي ـ والخراساني وكثير ـ الذين لهم أثر وخبر في التاريخ، وجدنا الباقين أناساً مجهولين، وان أثرهم في التاريخ أنهم — كما يقول المؤرخون في الملل والنحل — كانوا أصحاب الفرق ورؤساء المذاهب التي قيل إنها تفرقت عن ـ الكيسانية ـ وهم بين مجهول ينسب إليه الكفر، وبين موهوم ومزعوم يسند إليه الضلال، كما تقول مقالاتها.

ومما تجدر الاشارة إليه ان من ألف وكتب عن ـ الكيسانية ـ وعن مقالاتها لم يذكر لنا عمن أخذ روايتها وعمن نقل حديثها؟!! كما لم يسند احد منهم بحثه عنها إلى راوٍ أو محدث سواء أكان ذلك الراوي والمحدث مجهولاً، أو كان له اسم في دفاتر علماء الرجال، لا سيما ان من ألف وكتب عنها ألف وكتب بعد انقراضها، وزوال المنتسبين إليها كما تقدم، فالنوبختي وهو أول من كتب وألف في الأديان والفرق، لم يحدثنا في كتابه ـ فرق الشيعة ـ عمن روى أخبارها، وعمن أخذ مقالاتها، ومثله فعل الشيخ المفيد، والشهرستاني، وابن حزم، فلقد اكتفى الجميع بالنقل المجرد عن ذكر الراوي، في الوقت الذي كانوا جميعاً يعلمون بأمر الوضع والوضاعين، وانتشار الكذب والكذابين، واختلاق الحديث والروايات عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم واستفحال ذلك في الفترة التي قيل ان الكيسانية ظهرت فيها. فإذا كان في اهمال سند الرواية عنها مآخذ، فالمؤرخون من الشيعة هم أول من يؤاخذون بها لأن أثره السيء لم يتعد إلى غيرهم إلا أن يكون المؤرخون من الشيعة قد وجدوا في شخص ـ النوبختي محمد بن الحسن ابن موسى صاحب كتاب ـ فرق الشيعة ـ ما حملهم على الثقة برواياته لأنه كان

من علماء الشيعة في القرن الثالث الهجري ، أو أنهم لم يجدوا أثراً كبيراً في البحث عنها بدقة بعد أن زالت وتلاشت وانقرض المنتسبون إليها ، فدونوا اخبارها كما دونوا المراسيل من الأخبار والروايات ، على أي حـــال احتلت مؤلفات الشيعة وغـــيرهم مقالات الكيسانية واصبحت مذهباً من المذاهب الاسلامية التي تبحث عنها مواد التاريخ وكتب الأديان كالسبئيه ـ التي تناقلتها أقلام المؤرخين من الشيعة وغيرهم قديماً وحديثاً دون أن يكلف أحدهم نفسه بالبحث عن مصدرها والتنقيب عن صحـــة وجودها حتى قيض الله في الأيام الأخيرة رجالاً أثبتوا للناس اختلافها ووضعها منهم البحاثة الدكتور طه حسين عميد الأدب العربي في كتابه ـ علي وبنوه ص ٩٩ ، والسيد العسكري في كتابه ـ عبد الله بن سبأ كما تقدم .

فالكيسانية ، وإن شابهت في الوضع والقصد ـ السبئية ـ إلا أنهـــا في صيرورتها مذهباً ثم مذاهب مرت في ادوار ثلاثة كان وراء كل دور رجـــال وغاية تختلف عن الاخرى .

الدور الأول

كان رجال الدور الاولى من الكيسانية الأمويون ، والزبيريون ، وأنصار الفريقين وكانت الغاية منها ، الاطاحة بثورة المختار بن ابي عبيدة الثقفي ، وتفريق الشيعة من حول وتمزيق الشعار الذي رفعه وهو المطالبة بعـــودة الخلافة إلى آل البيت [1] .

بدأت هذه المرحلة في ثورة مضادة لثورة المختار الذي ثار في الكوفة يطلب ثار الامام الحسين عليه السلام ممن قتله أو اشترك في الخروج عليه ويدعو باسناد الخلافة إلى آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم تولى قيادتها الفريقان المتعاديتان آل امية وآل الزبير

---

(١) ابن الأثير في حوادث سنة ٦٧ هـ - اليعقوبي - ج - ٣ - ص ٦٦ - كان المختـــار يدعو الى خلافة الرضا من آل الرسول .

وعملاء الفريقين لأنهم جميعاً تأثروا بقيام المختار في الكوفة ، تأثر الأمويون من ثورة المختار لأنه راح يقتل صنائعهم وعملائهم في الكوفة لا سيا من أسهم منهم في قتال الامام الحسين والخروج عليه ، وتأثر الزبيريون من المختـــار لأنه احتل الكوفة التي كان أهلها قد بايعوا لعبد الله بن الزبير بالخلافة وطرد عامله وحمل الناس على بيعة الرضا من آل البيت ، وكان شعار العودة إلى خلافة آل البيت من الشعارات التي جمعت بين الفريقين آل امية وآل الزبير على محاربتها على الرغم مما بينهما من التنازع على الخلافة .

ضرب الفريقان نطاقاً من المفتريات حول المختار ونسبوا إليه من الدعاوي الباطلة والأعمال القبيحة بقصد التشهير به والتشكيك في عقيدته ، ولكي يفرقوا من حوله الشيعة ويمزقوا وحدة نضالهم فنسبوا إلى المختار أنه يدعو إلى إمامة محمد بن الحنفية ويزعم أنه رسوله إلى الكوفة والمأمور من قبله بقتل من اشترك في قتل الامام الحسين عليه السلام وأشاعوا عنه أنه يقول بنزول الوحي عليه ويقول بالرجعة ـ والبداء ـ وأنه اتخذ من كرسي الامام علي بن أبي طالب مثلاً لتابوت بني اسرائيل يحمله أمام جيشه وقالوا : إنه لم يطلب بدم الحســين إلا ليتزلف عند الشيعة ، وإنه كان يتظاهر بحب الآخرة ويسرّ في نفسه طلب الدنيا ، فتم لهم ما أرادوا ، قتلوا المختار وأطاحوا بشعار الدعوة إلى أهل البيت وراح الحاقدون عليه يرددون تلك المفتريات ، ويتناقلون تلك الاشاعات لكي لا ينهض في الشيعة مختار آخر .

كان من أثر ترديد تلك الاشاعات أو الاتهامات أن لازم الكثير من المؤلفين والكتاب شك في عقيدة المختار ، وسرى هذا الشك إلى نفوس المؤرخين من الشيعة ، فمن لم يتجاهر بتفسيق المختار وقف من ثورته موقف المتردد ، وكان من تلك المفتريات كما تقدم ما نسب إليه من الدعوة إلى إمامة محمد بن الحنفية هذا القول الذي اخذ يتلاشى من بعد قتل المختار ويدخل في مطاوي النسيان ، ولو لم يجدده العباسيون لكان اليوم في خبر كان .

الدور الثاني :

كان رجال هذا الدور العباسيون ودعاتهم والغاية منها ايهام البسطاء في ما وراء النهر من مقاطعة خراسان وغيرهم انهم خلفاء النبي ﷺ وأن الامامة أتتهم عن الامام المنصوص عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بواسطة حفيده أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية بوصية من الامام علي عليه السلام .

بدأ هذا الدور من الكيسانية ، في اليوم الذي بدأ العباسيون يخططون منهاج دعوتهم للخلافة في مطلع القرن الثاني من الهجرة ، وذلك أن العبـاسيين لم يغفلوا وهم يمهدون للدعوة إلى أنفسهم ما أخذه المسلمون على الأمويين ، من أن خلافتهم لم تكن مشروعة لأنها لم تستند على مبدأ الشورى الذي قال به بعض المسلمين ، ولا على مبدأ النص الذي قال به الاخرون وفي مقدمتهم الهاشميون ، فكان من أهم ما يشغل بالهم هو ارتكاز خلافتهم على أحد هذين المبدأين ، ولما كان مبدأ النص هو مبدأ الهاشميين راحوا يفكرون فيما يحقق لهم ذلك ، وبعد فكر وجهد وجدوا الحل في وفاة أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية الذى توفى في دارهم ـ بالحمية ـ من أرض الشام ،فجددوا القول بإمامة محمد بن الحنفية وزعموا أن أبا هاشم كان الامام بعد أبيه محمد وأن أبا هاشم قد أوصى إلى عميد العباسيين يومذاك محمد بن علي بن عبد الله بن العباس فنشروا بين الخلص من دعاتهم اشاعة الكيسانية ـ أي القول بامامة محمد بن الحنفية ، واستخرجوا وصية نسبوها إلى الامام علي تنقل الامامة من بعد أبي هاشم إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، ومن بعده إلى ولده ابراهيم الذي لقب بالامام ، ثم إلى أخيه عبد الله المكنى بأبي العباس ثم إلى أخيه المنصور كما سيـأتي :

لقن العباسيون دعاتهم ونقباءهم بهـذه المقالة وامروهم ان ينشروها في بلاد ما وراء النهر حيث سكنى الترك والديلم والمغول الذين لا يعرف معظمهم الاسلام

ديناً ويكاد الجميع لا يفهمون اللغـة العربية ، وكان أهـالي تلك المنطقة يأنون من وطأة الحكم الأموي الذي كان آخذاً بخناقهم الامر الذي دفع أبناء تلك الجزء من العالم أن تستجيب لدعوة العباسيين ، وتستميت في سبيل نصرتها ، لا سيما وقد إختار العباسيون الكثير من دعاتهم من ابناء تلك المنطقة وعلى رأسهم ابو مسلم الخراساني الذي أصبح من قادة العالم المشهورين وخالد بن برمك الزعيم المعروف وغيرهما ، كما ركزوا دعوتهم على انصاف المظلومين واحقاق الحق ، والحكم بالعدل والمساواة بين أفراد الامة ، وادخلوا في أذهان العامة انهم القدر الماحق لآل امية والمختارون للخلافة فقد اختارهم النبي ﷺ خلفاء من بعده، فهم آل الرحمة وآل العدل وآل بيت النبي ﷺ وقد اكثروا من هذه المقالات وهذه المواعيد التي تطمئن بهـا النفوس ، ويسترخص في سبيل نصرتها الارواح لأن كل دعوة حق خيرة تأتي في أعقاب الظلم تلاقي تجاوبا من قبل المظلومين.

الدور الثالث

كانت رجال هذا الدور المسخرين والعملاء والمشعوذين والغاية منها :

١ - معارضة العباسيين في الامامة التي ادعوها عن أبي هاشم .

٢ - ايقاف الشيعة على امامة امام غائب وابطال دعوة الامامة من بعده .

٣ - التشكيك في عقيدة الشيعة وتشويه سمعة التشيع وحشر الأباطيل في تعاليمه وادخال المنتسبين اليه في عداد الفرق الضالة .

بدأ هذا الدور يوم جدد العباسيون دعوى - الكيسانية - واستخرجوا من امامها الثالث او الخامس عبد الله بن محمد بن الحنفية - الوصية - المزعومة التي نسبوها الى امير المؤمنين علي بن ابي طالب وقالوا بأن الامام بهذه الوصية أمر حفيده ان ينقل الامامة اليهم ، فسهلوا بذلك الطريق للمسخرين والمأجورين الى

ادعاء الامامة لأنفسهم عن ابي هاشم بعد أن صرف العباسيون الامامة عن أولاد علي من نسل الصديقة الزهراء الى اولاد علي من غيرها ، فراحت الغايات تستخرج من الكيسانية الحنفية – إمامة عن ابي هاشم . اركانهـــا الضلال وتعاليمها الكفر والفسوق . ولما كثر الخارجون على المنصور الخليفة العباسي الثاني وراح يقتل الخارجين عليه ويأخذ المعارضين لدولته بالشدة والبطش ، خشى من الاستمرار في استعمال القوة ، والامعان في القتل ، راح يبحث عن وسيلة اخرى يأخذ بها الخارجين عليه والمعارضين لدولته دون ان يثير من حوله ضجة لا سيما الكثير من الذين عارضوه وخرجوا عليه كانوا ممن اسهموا في اقامة الدولة العباسية ، فقاده البحث الى تأسيس دائرة – الزندقة – التي كانت تشابه في عملها اليوم دوائر الأمن – والمباحث . والاستخبارات .

هل كان القصد من تأسيس هـــذه الدائرة في الظاهر معاقبة الزنادقة والملحدين ؟ وهل كانت الزندقة منتشرة في عهد المنصور بحيث بات خطراً على الدين والدولة التي تحكم باسم الدين ؟ فالذي بأيدينا يقول لم تكن الغاية في الحقيقة من تشكيل هذه المؤسسة معاقبة الكافرين والملحدين والزنادقة ، بقدر ما كان القصد من اقامتها اخذ المعارضين والخارجين على دولة المنصور ، بتهمة الزندقة الموجبة للقتل دون ان يثير قتل المتهم بها ضجة ، فمن يا ترى من المسلمين لا يرضى من قطع دابر الكافرين والملحدين والزنادقة ؟

لم تكن دائرة – زندقة – المنصور ليختلف عملها عن أعمال دوائر أمن الدولة وقسم المباحث او الاستخبارات وهي الحفاظ على كراسي الحاكمين وحماية رجال الدولة من المعتدين ، وهذا القصد بالذات كان رائد المنصور في تأسيس هذه الدائرة ، التي كان من أهم واجباتها حياكة التهم ونسج المفتريات للايقاع بمن يشم منه رائحة الخطر على الدولة .

يحدثنا التاريخ ان معظم الذين اتهموا بالزندقة لم يكونوا زنادقة ولاملحدين ،

وبقدر ما يتعلق الموضوع بالكيسانية والفرق التي تفرعت منهـا نرى الكثير من تلك الفرق وما نسبت اليها من المقالات كانت فرقاً وهمية ومن نسج خيال رجال دائرة الزندقة وان من ابتدع الكيسانية في مرحلتهـا الثانية من نسج الخيـال لتحقيق أغراضه هو الذي ابتدع فرقها وصاغ مقالاتها لأغراض اخـرى كما سيأتي .

بدأت هذه المرحلة بعد أن تعددت الفرق الكيسانية وما نسب الى مقالاتها من الضلال والكفر والفسوق والقول بتناسخ الأرواح وإباحـة المحارم وتعطيل الأحكام وابطـال الفرائض والواجبات والوهية الاشخاص ، وبعد ان استقر الأمر للعباسيين وحققت الكيسانية هدفهم جمع المهدي أتباعه وحملهم على انكار الكيسانية من أساسها وزعم ان الامامة بعد النبي ﷺ كانت لعمه العباس ومن بعده لولده عبد الله بن العباس وإن عبد الله أوصى بها إلى ولده علي وإنعلياً هذا اوصى بها إلى ولده محمد وأن محمد بن علي عقدها من بعده إلى ولده ابراهيم ومن بعده إلى أخيه أبي العباس ثم إلى أخيـه أبي جعفر المنصور وأن المنصور عهد بها إلى ولده محمد المهدي ، وإن كل من تولى الامامة بعد النبي ﷺ كان غاصباً لحق العباس وولده ، واعتبر المهدي — الكيسانية — التي خلقت في دار جده محمد بن علي تحمل اليه وصية أبي هاشم عن جده أمير المؤمنين مذهباً هداماً منحرفاً عن الدين والصواب ، وزعم أن أبا بكر وعمر وعلى وعثمان وكل من تولى الخلافة غاصب لحقهم متوثب عليهم ورد أتباعه عن امامة محمد بن الحنفية .

هذه هي مسئلة الكيسانية وهذا هو موضوعها ، ظهرت إشاعة مغرضة وبعد أن حققت الغرض وسارت في طريق الزوال بعثها العباسيون من جديد واتخذوها مذهباً لدولتهم وحجة على خلافتهم لايهـام البسطاء والسواد من الناس من أنهم أئمة حتى انتقلت اليهم الامامة عن علي بن أبي طالب خليفة النبي ﷺ والامام بالنص عليه ، ثم تلاقفتها الغايات وصيرت منها مذاهب ومذاهب وبعد أن شوهت الأغراض مـا نسب إلى مقالتها من الضلال والانحـلال خرجت عن

مفهوم الأديان إلى الاباحية وعبادة الأشخاص ، وبعد أن استقرت الخلافة العباسية وتركزت إمامتها وأصبحت لا تحتاج إلى حجـــة في شرعية إمامتها وبات خلفائها لا يخشون الناس وأقوال الناس وما سيقولون عن إمامتهم أنكرها الخليفة المهدي وأعتبرها مذهباً منحرفاً عن الدين .

هذه هي الكيسانية التي لها في كتب التاريخ حديث وحكاية ، ولها في مؤلفات الفرق والأديان مقالات ومقالات ، تعددت حسب ادوارها إلى فرق ومذاهب ، اعتبر المؤرخون وأهل الملل والأديان من الشيعة وغير الشيعة فرقها ومذاهبها من فرق الشيعة ، وأصبح كل من يريد الاساءة إلى الشيعة والطعن في التشيع يستشهد بتلك المقالات ويستدل بتلك الانحرافات اللادينية واللا اخلاقية على تشويه سمعة الشيعة والتشهير بتعاليمها .

وللكشف عن حقيقة ما ذهبنا اليه ولإثبات ما اجملناه في أدوارها الثلاثة ، يلزمنا البحث بصورة مفصلة لا تترك مجالاً للشك في ذلك، والجدير بالبحث عنها قبل كل شيء البحث عن مؤسس الكيسانية، لنرى هل كان له وجود فعلي في ما نسب إليه ؟ أم أنه كان زميل لعبـد الله بن سبـأ مؤسس – السبئية – وأن وجودهما كان يسرح في مخيلة المفتعلين والوضاعين فحسب ؟!

من هـــو كيسان

اختلف الباحثون في الملل والأديان عن مؤسس الكيســانية ـ والواضع لفكرتها كما اختلفوا في مؤسس ـ السبئية ـ الذي ثبت أخيراً على وجـه لا يقبل الشك أنه كان رجلاً موهوماً ، ولا سند لمسرحيته ـ السبئية ـ وان وجوده كان مجرد خيال دار في مخيلة بطل الكذب والاختلاف عمر بن سيف التميمي المتوفي سنة ١٧٠ هـ[1] فاستخرج منه روايتها وحكايتها كما تقدم ، وأن كيسان مؤسس الكيسانية لا يختلف عن مؤسس السبئية ، فهو كما سيـــأتي كان شخصاً موهوباً وأن مسرحيته ـ الكيسانية ـ من اخراج عدد من الأشخاص كان وراء كل واحد منهم قصد وغاية ودافع إلى الوضع والاخراج كما تقدم في مراحل الكيسانية الثـــلاثة .

قال بعض المؤرخين والمؤلفين : في الأديان والفرق أن ـ كيسان ـ هو لقب المختار بن أبي عبيدة الثقفي وأن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب كان قد لقبـه بذلك لما جاء به إليه أبوه بعد ولادته ووضعه في حجر الامام فقال : له الامام ،

---

(١) عبد الله بن سبأ ـ للعسكرى .

كيس تيس[1] فلقب بذلك ، ومنهم من قال : أن محمد بن الحنفية لما أرسله إلى العراق لطلب ثأر الامام الحسين عليه السلام وكان قد عرف قيامه ومذهبه سماه كيسان لكيسه .

وقال بعضهم : إن كيسان اسم أبي عمرة مولى أمير المؤمنين عليه السلام وهو مؤسس الكيسانية ـ وقال بعض آخر انه كان مولى محمد بن الحنفية ، ومنهم من قال : أنه كان تلميذ محمد بن الحنفية عنه أخذ علم التأويل والباطن ومنه اقتبس علم الأسرار والآفاق[2] ومنهم من زعم أنه كان حارس المختار بن أبي عبيدة وان المختار لقب باسمه ، ومنهم من قال : أنه كان رجل من أهل الكوفة دل المختار على قتلة الامام الحسين وكان من أشد المتحمسين للأخذ بثار الامام الشهيد ، وقيل أنه كان أمين سر المختار وكان المختار لا يقطع أمراً دون مشورته ، وكان صاحب سره ومؤتمراته والغالب على أمره .

ان هذا الشخص الموهوم المختلف في شخصيته وهويته وصلته بالامام علي وولده محمد وبالمختار بن أبي عبيدة يحكي لنا شخصيته ـ شخصية عبد الله بن سبأ الذي قيل انه كان مؤسساً للسبئية ـ حيث قال بعض من المؤلفين والكتاب أنه كان يهودياً من أهل صنعاء باليمن أسلم في عهد الخليفة عثمان ، وكان يقول : لكل نبيّ وصيّ وعلي وصي أمير المؤمنين فتبعه جماعة من الصحابة منهم عمار ابن ياسر وأبو ذر ، ومحمد بن حذيفة ، ومحمد بن أبي بكر ، وصعصعة بن صوحان ، وعبد الرحمن بن عدميس ، وأنه حمل أبا ذر على معارضة معاوية والخليفة عثمان بن عفان ورفع لواء معارضتها في الشام وفي المدينة[3] ، وأخذ

---

(١) البحار – ج – ٩ – ص ١٧١ .

(٢) الملل والنحل بهامش الفصل – ج – ٣ – ص ١٥٢ .

(٣) فرق الشيعة ص ٣٨ .

(٤) الصلة بين التصوف والتشيع .

ينشر دين اليهودية في الاسلام ، وقيل إنه كان رجلاً متأثراً بالمزدكية الفارسية حمل أبا ذر على الدعوة إلى الاشتراكية .

وقيل : والقائل الدكتور علي الوردي إنه ابن السوداء عمار بن ياسر الذي كان يعرف بابن السوداء ونسبه يتصل بسبأ ، نقل هذا الرأى الدكتور الشيبي عنه في كتابه ـ الصلة بين التصوف والتشيع ـ كما نقل آراء غيره .

أما الدكتور طه حسين فقد قال : في كتابه ـ علي وبنوه ـ ص ٩٨ ـ ٩٩ أنه رجل موهوم خرافي لا حقيقة له كما تقدم .

إن هذا الشخص الموهوم يقال انه كان مؤسس – السبئية – كما يقال لزميله في الجهالة والاختلاق – كيسان – انه كان مؤسس – الكيسانية –

أما متى ظهرت الكيسانية وبرزت للوجود ؟ فهو موضوع خلاف بين المؤرخين ، فقد قيل أنها ظهرت بعد اغتيال الامام علي عليه السلام والقائل به النوبختي في احدى رواياته ، والشهرستاني في أحد قوليه ، وقال : غيرهما انها ظهرت بعد شهادة الامام الحسين ويكاد يكون هذا الرأي مدار اجماع المؤرخين – فعلى الرأى الأول يكون محمد بن الحنفية الامام الثاني من أئمتها وعلى الرأي الثاني يكون محمد بن الحنفية الامام الرابع .

والذي عليه بحثنا هو أن الكيسانية ظهرت مجرد اشاعة في عهد المختار ، وقبل ان تختفي جددها العباسيون واتخذوها مذهباً لدولتهم ، ثم تلقفتها الغايات والمصالح ثم تلاشت بعد أن أنكرها المهدي وأخذ يعاقب المنتسبين إليها وهي في كل ادوارها لم يكن لها واقع ووجود فعليّ .

وحيث عرفت أيها القارىء الكريم من هو – كيسان ؟ – وما هي –

الكيسانية ؟ – ومتى ظهرت ؟ هلم بنا نبحث عنه وعنها أولاً بعد اغتيال الامام علي عليه السلام ، ثم بعد شهادة الامام الحسين لنرى هل كان لكيسان أثر ؟ وللكيسانية وجود ؟؟ أم كان وكانت اشاعة وراءها قصد وغاية ومشيع حاذق لاكتها الألسن كما تلوك الاشاعات ، وبعد أن حققت ما أريد منها تلاشت من على الأفواه واستقرت مفترياتها في بطون الكتب التي سودتها المنقولات من على الأفواه الأجيرة والوضاعين .

البحث عن الكيسانية

بعد اغتيال امير المؤمنين علي بن ابي طالب

الذين كتبوا عن الملل والنحل كثيرون وأقدمهم وأول من كتب منهم في الفرق والأديان ، كان النوبختي الحسن بن موسى أحد علماء القرن الثالث الهجري ، وهو كما يقول عنه المؤرخون كان أسبق من ألف في هذا الموضوع ، وان كتابه ـ فرق الشيعة ـ أقدم كتاب يبحث عن الفرق والملل لا سيما فرق الشيعة منهم ، والظاهر أن المؤرخين عنه أخذوا والرواة عنه تحدثوا ولما كان النوبختي هو أول من كتب وألف ، وأقدم المؤرخين في البحث عن الفرق ، عولنا على ما جاء في كتابه ـ فرق الشيعة ـ في بحثنا عن الكيسانية دون أن نستغنى عن المؤلفات المشابهة له كالملل والنحل للشهرستاني ، والعيون والمحاسن للشيخ المفيد والفصل لابن حزم الأندلسي وغيرها .

يقول النوبختي : في كتابه ـ فرق الشيعة ـ ص ٢٧ ـ « لما قتل الامام علي عليه‌السلام افترقت التي ثبتت على امامته وانها فرض من الله عز وجل ورسوله عليه‌السلام وصاروا ثلاثاً ، فرقة قالت :

الفرقة الاولى : إن علياً لم يقتل ولم يمت ، ولا يقتل ولا يموت حتى يسوق

العرب بعصاه ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، وهي أول فرقة قالت في الاسلام بالوقف ، بعد النبي ﷺ من هذه الامة ، وأول من قالت بالغلو ، وهذه الفرقة تسمى ـ السبئية ـ أصحاب عبد الله بن سبأ ، وكان ممن أظهر الطعن على ابي بكر وعمر وعثمان والصحابة ، وتبرأ منهم وقال أن علياً عليه السلام أمره بذلك ، فأخذه علي فسأله عن قوله هذا فأقر به فأمر بقتله ، فصاح الناس إليه يا أمير المؤمنين اتقتل رجلا يدعو إلى حبكم أهل البيت ، وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك ، فصيّره إلى المدائن ، وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي عليه السلام أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى علياً عليه السلام ، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة ، فقال : في اسلامه بعد وفاة النبي ﷺ في علي عليه السلام بمثل ذلك وهو أول من شهر القول بفرض امامة علي عليه السلام وأظهر البراءة من أعدائه ، وكاشف مخالفيه ، فمن هناك قال من خالف الشيعة ، إن أصل الرفض مأخوذة من اليهودية ، ولما بلغ عبد الله بن سبأ نعي علي بالمدائن قال : للذي نعاه : كذبت لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة واقمت على قتله سبعين عدلاً لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل !! ولا يموت ولا يقتل حتى يملك الأرض ! .

الفرقة الثانية ـ « وقالت » فرقة : بامامة محمد بن الحنفية لأنه كان صاحب راية أبيه في البصرة دون أخويه الحسن والحسين : فسموا بالكيسانية : وإنما سموا بذلك لأن المختار بن أبي عبيدة الثقفي كان رئيسهم . وكان يلقب بكيسان وهو الذي طلب بدم الحسين بن علي صلوات الله عليهما وثأره حتى قتل من قتله وغيرهم من قتل ، وأدعى أن محمد بن الحنفية أمره بذلك ، وأنه الامام بعد أبيه ، وانما لقب المختار كيسان ، لأن صاحب شرطته المكنى بأبي عمرة كان يسمى ـ كيسان ـ وكان افرط في القول والفعل والقتل من المختار جداً ، وكان يقول : ان محمد بن الحنفية وصي علي أمير المؤمنين ، وأنه الامام ، وان المختار قيمه وعامله ، ويكفر من تقدم علياً ، ويكفر أهل صفين والجمل ،

وكان يزعم أن جبرئيل عليه السلام يأتي المختار بالوحي من عند الله عز وجل فيخبره ولا يراه ، وروى بعضهم أنه سمى بكيسان مولى علي بن ابي طالب عليه السلام وهو الذي حمله على الطلب بدم الحسين بن علي عليه السلام ودله على قتلته ، وكان صاحب سره ومؤامراته والغالب على أمره .

الفرقة الثالثة : فرقة لزمت القول بامامة الحسن بن علي بعد أبيه إلا شرذمة منهم ، لما وادع الحسن معاوية وأخذ منه المال الذي بعث به إليه ، وصالح معاوية الحسن طعنوا فيه ، وخالفوه ورجعوا عن امامته ، فدخلوا في مقالة الجمهور من الناس ، وبقي سائر أصحابه على امامته إلى أن قتل ، قالت بامامة أخيه الحسين » .

ها كذا زعم النوبختي أن الشيعة بعد أمير المؤمنين تفرقت دون أن يذكر لنا سنداً لزعمه ، ودليلاً لما أورده ، ولم يكن النوبختي وحده الذي يروى عن هذه الفرق وغيرها بدون سند ، فالمؤلفون جميعاً اتبعوه في اهمال السند في الرواية عنها واكتفوا بكلمة قيل ، ويقال ، وذكر ، ويذكر ، فنقلوا الحوادث كأنهم من شهودها ورووا الأخبار كأنهم أصحـــابها ، وكان عليهم يدور ماجرياتها .

إن ما أورده النوبختي ، ومن أخذ عنه هذه الرواية فباطل جملةً وتفصيلاً ، أما بطلانه جملة فلا يحتاج إلى دليل أكثر مما أورده في ص ٥٨ من نفس الكتاب الذي يروى لنا فيه هذه التفرقة وهو كتاب ــ فرق الشيعة يقول :

« وأما الشيعة العلوية الذين قالوا بفرض الامامة لعلي بن ابي طالب عليه السلام من الله عز وجل ومن رسوله صلى الله عليه وآله ، فانهم ثبتوا على امامته ثم امامة الحسن من بعده ، ثم امامة الحسين بعد الحسن ، ثم افترقوا بعد قتل الحســـين فرقاً ، فنزلت فرقة إلى القول بامامة علي بن الحسين وكان يكنى بابي محمد .

وقالت فرقة : انقطعت الامامة بعد الحسين . انما كانوا ثلاثة أئمة مسمين باسمائهم استخلفهم رسول الله ﷺ وأوصى إليهم وجعلهم حججاً على الناس وقواماً من بعده واحداً بعد واحد ، فلم يثبتوا امامة لأحد بعدهم .

وفرقة قالت : ان الامامة صارت بعد الحسين في ولد الحسن والحسين فهي فيهم خاصة دون سائر ولد علي بن ابي طالب ، وهم كلهم ســــواء من قام منهم ودعا إلى نفسه فهو الامام المفروض الطــــاعة بمنزلة علي بن أبي طالب واجبة امامته من الله عز وجل على أهل بيته وسائر الناس كلهم ، فمن تخلف عنه في قيامه ودعائه الى نفسه من جميع الخلق فهو كافرهالك ،ومن ادعى منهم الامامة وهو قاعد في بيته مرخى عليه ستره فهو كافر هالك وكل من اتبعه على ذلك الخ » .

ان هذه الرواية ترد الرواية الاولى رداً لا يترك مجالاً للشك والتأمل ويثبت واقع الشيعة بعد شهادة الامام الحسين ، وكيف ان الشيعة العلوية هم الشيعة حتى هذا اليوم فريقين امامية — وزيدية ـ فالامامية منهم والزيدية ومن تفرع من هاذين الفريقين قد حصروا الامامة في ولد علي من الحسن والحسين دون غيرهما من أولاد علي ، فلا كيسانية هناك ولا سبئية .

أما بطلان ما ذكره النوبختي في روايته الاولى تفصيلاً فلا يحتاج إلى شرح طويل وتعمق في البحث بعد ان أثبت عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين اختلاق السبئية وانها من المذاهب الوهمية التي ابتدعت للكيد بالشيعة من قبل خصومهم فقد ذكر في كتابه ـ علي وبنوه ص ٩٨ ـ ٩٩ ماهذا نصه :

السبئية :

« أقل ما يدل عليه اعراض المؤرخين عن ـ السبئية ـ وعن ابن السوداء في حرب صفين ـ ان امر السبئية وصاحبهم ابن السوداء انما كان متكلفاً منحولاً وقد

اخترع أخيراً حين كان الجدل بين الشيعة وغيرهم من الفرق الاسلامية ،أراد خصوم الشيعة ان يدخلوا في اصول المذهب عنصراً يهودياً امعاناً في الكيد لهم والنيل منهم ، ولو كان أمر ابن السوداء مستنداً إلى أساس من الحق والتاريخ الصحيح لكان من الطبيعي أن يظهر أثره في تكوين هذه الحرب المعقدة المعضلة ، التي كانت بصفين ، ولكان من الطبيعى ان يظهر أثره في تكوين هذا الحزب الجديد الذي كان يكره الصلح وينفر منه ، ويكفر من مال إليه أو شارك فيه ، لكننا لا نرى لابن السوداء ذكر في الخوارج فكيف يمكن تعليل هذا الاهمال » انتهى كلام الدكتور .

ان التعليل الذي رواه الدكتور طه حسين قد اثبته السيد العسكري في كتابه ـ عبد الله بن سبأ عن طريق سند الرواية عن السبئية وصاحب السبئية ، واثبت افتعاله وانتحاله ، وان عبد الله بن سبأ كان مجرد وهم وخيال واختلاق وابتداع ابتدع شخصه عدو الشيعة المحدث الكذاب عند رجال الحديث وكتب الرجال عمــــر بن سيف التميمي المتوفى سنة ١٧٠ هـ للكيد بالشيعة فلا أصل لمؤسس السبئية ولا حقيقة لمسرحيته ، هذه هي الفرقة الاولى من الشيعة الذين قال عنهم النوبختي تفرقوا بعد شهادة الامام عــــلي عليه السلام ، أما الفرقة الثانية فهي الكيسانية .

هذه الفرقة هي مدار بحثنا وموضوع كتابنا ، والكلام عنها يجب أن يكون مسهباً وعميقاً يشمل كافة جوانبها وما تفرع عنها .

يقول النوبختي : ظهرت هذه الفرقة بعد مقتل الامام علي عليه السلام تقول بامامة محمد بن الحنفية ، دليلهم على ذلك أنه كان يحمل راية أبيه يوم البصرة وزعيم هذه الفرقة هو المختار بن ابي عبيدة الثقفي وهو القائل بامامة ابن الحنفية إلى آخر ما تقدم ذكره .

ان ما يبطل هذه الرواية مضافاً إلى ما تقدم من تفرق الشيعة كما ذكره النوبختي نفسه امور كثيرة تشتمل على الكثير منها ترجمـــة المختار قبل ثورته وبعدها كما سيأتي تفصيل ذلك في مكان من هذا الكتاب نذكر منها ـ ان المختار لم يتصل بابن الحنفية بعد مقتل الامام الحسين عليه السلام الذي قيل ان ابن الحنفية كان قد أمره بذلك . كما لم يتصل به بعد ثورته مباشرة وسيأتي بطلان ما نسب اليه من مراسلة ابن الحنفية أثناء قيامه بطلب ثار الامام الحسين عليه السلام .

ومن تلك الامور اجماع الشيعة بعد اغتيال الامام علي على بيعة الامام الحسن عليه السلام إذ لم يتخلف منهم أحد ، كما بايعه كثير ممن انحرف عن الامام علي بعد أمر التحكيم ، وان ما رواه النوبختي من ان جماعة ممن بايعه خرج عن بيعته بعد مصالحته لمعاوية لا سند له ، ولا يبعد أن يكون الأمر توهمـاً أو تصوراً مستنداً إلى ما قاله بعض الشيعة للامام الحسن نتيجة الألم الذي كضه من جراء تنازل الامام الحسن عليه السلام لمعاوية ، الأمر الذي لم يطق احتماله بعض الشيعة ، وحمله ذلك ان يقول للامام « السلام عليك يا مذل المؤمنين » ويعلم الامام بما يجيش به صدر القائل ، فيجيبه برقة ورحمـــة وحنان ويشرح له أسباب نزوله لمعاوية ، فيخرج هذا القائل من عند الامام وقد انكشف له السر وازداد حباً وتعلقاً بالامام .

ومن تلك الامور بل من أعظمها دليلاً وأثبتها برهاناً على بطلان ما أورده النوبختي من تفرق الشيعة ، هو ان النوبختي بعد ان ذكر مذهب الفريقين ـ السبئية ـ والكيسانية . ادخل الفريق الثالث الذي قال بامامة الحسن بعد مقتل أبيه أمير المؤمنين عليه السلام في الكيسانية فقال في ص ٣٠ :

« فنزلت هذه الفرقة القائلة بامامة الحسن بن علي بعد أبيه ، إلى القول بامامة أخيه الحسين عليهما السلام . فلم تزل على ذلك حتى قتل في أيام يزيد بن معاوية لعنه الله » وبعد ان يذكر خبر مقتل الامام الحسين يقول في ص ٣١ :

« فلما قتل الحسين حارت فرقة من أصحابه وقالت : قد اختلف علينا فعل الحسن والحسين لأنه ان كان ما فعله الحسن حقـــاً واجباً من موادعته معاوية وتسليمه له عند عجزه عن القيام بمحاربته مع كثرة انصاره . فما فعله الحسين من محاربة يزيد مع قلة أنصاره وكثرة أصحاب يزيد باطل غير واجب ، لأن الحسين كان اعذر في القعود عن محاربة يزيد ، وإن كان ما فعله الحسين حقاً ، فقعود الحسن وتركه مجاهدة معاوية كان باطلا ، فشككّوا في امامتها ودخلوا في مقالة العوام ، وبقى سائر أصحاب الحسين على امامته حتى مضى . ثم افترقوا ثلاث فرق . فرقة قالت : بامامة محمد بن الحنفية ، وزعمت أنه لم يبق من أولاد أمير المؤمنين بعد الحسن والحسين أقرب منه فهو أولى الناس بالإمامة كما كان الحسين أولى بها بعد الحسن . وقالت فرقة : ان محمد بن الحنفية هو الامام المهدي وهو وصي أمير المؤمنين ليس لأحد من أهل بيته ان يخالفه . ولا يخرج عن إمامته ولا يشهر السيف إلا بإذنه ، وإنما خرج الحسن بإذنه وصالح معاوية بإذنه وهكذا خرج الحسين بإذنه ، ولو خرجا بغير إذنه هلكا ، وانه استعمل المختار بن أبي عبيدة على العراقين بعد قتل الحسين ، وأمره بطلب دمه وثأره ، وكان سماه كيسان لكيسه . ولمـــا عرف من قيامه ومذهبه ، فهم يسمون — المختارية - ويدعون بالكيسانية » .

هكذا حصر النوبختي فرق الشيعة في — السبئية — والكيسانية — بعد شهادة الامام الحسين عليه السلام . وعلى هذا الحصر يكون النوبختي قد أباد الشيعة إلا البقايا من زرار يهم في القرن الثالث من الهجرة الذي قال: بأن الكيسانية قد انقرضت في أيامه ولم يبق منهم إلا — السبئية — وحيث قد ثبت كما تقـــدم انتحال — السبئية - وعدم وجودها وعلى فرض وجودها فقد أبيد أتباعها بعد حرب الجمل إذ لا ذكر لهم في حرب — صفين — عام ٤٠ كما يقول الدكتور طه حسين . فالشيعة على هذا الحصر لا وجود لهم في عهد شيخنا المفيد المتوفى سنة ٤١٤ ولا في عهد ابن حزم الاندلسي لأنهما ذكـــرا انقراض الكيسانية

في عهدهما . وهذا الافتراض يضحك المجانين فضلاً عن من له ذره من الادراك إن مآت الملايين من الشيعة الامامية والزيدية – والاسماعيلية التي تملأ الدنيا من شرقها إلى غربها من جنوبها إلى شمالها تصرخ في وجه رواة تفرق الشيعة بعد أمير المؤمنين كما ذكره النوبختي في روايته الاولى التى تزعم أن الشيعة تفرقت بعده إلى سبئية – وكيسانية .

اثبتنا في ما تقدم انتحال – السبئية – وانها كانت من مبتدعات سيف ابن عمر التمنمي المتوفى ١٧٠ هـ – للكيد بالشيعة ، وان من كتب عنها اخذ عنه روايتها او نقل عمن اخذ عنه حكايتها ، وقلنا ان عدم وجود من كان يقول بامامة محمد بن الحنفية سواء بعد اغتيال أبيه ، وقتل أخيه الحسن أو بعد شهادة الحسين عليهم السلام ينفي وجود الكيسانية ، إلا ما نسب من القول الى المختار بن أبي عبيدة الثقفي ، من أنه كان يقول بامامة ابن الحنفية ويدعو إليه ، وانه كان رسوله إلى الكوفة ، وظهر أن واقع الشيعة هو ما ذكره النوبختي : في روايته الثانية من أن الشيعة تفرقت بعد الامام الحسين عليه السلام إلى فريقين قال : فريق منها بامامة علي بن الحسين – وقال الثاني : ان الامامة هي من حق أولاد الحسن والحسين دون سائر أولاد علي فأي واحد منهم خرج ثائراً على الظلم داعياً إلى نفسه وجبت امامته ولزم الناس جميعاً طاعته ، ومن فريق الأول تفرقت الاسماعيلية ، ومن الثاني تفرقت – الزيدية – التي قالت بامامة زيد بن علي بن الحسين الذي خرج على هشام ، ومن بعده قالت بامامة كل ثائر من ولد الامامين الحسن والحسين ، والشيعة العلويه اليوم وبالأمس يشكلون هذه الفرق الثلاثة وعددهم يربو على مآة الملائين منتشرون في أقطار الدنيا ، فلا كيسانية اليوم ولا كيسانية كانت بالأمس ، وأن ما نسب إلى المختار بن أبي عبيدة كان مجرد اشاعة اريد بها تفريق الشيعة من حوله ، كما سيأتي في دور – الكيسانية – الأول ، ومن هذه الاشاعة التى كانت على وشك الزوال بعد القضاء على

المختار وثورته ، خرجت الكيسانية من دار محمد بن علي بن عبد الله بن العباس على متن السياسة العباسية تحمل مذهب دولتها وصك خلافتها . ثم تنازعتها المصالح والأغراض فراحت تلعب على مسرح الغايات في ضحى الاسلام دوريها الثاني والثالث .

الدور الأول من الكيسانية

يكاد المؤرخون يتفقون على أن الكيسانية ظهرت بعد شهادة الامام الحسين عليه السلام، وأن مؤسسها كان المختار بن أبي عبيدة ، اوصاحبه كيسان المكنى بأبي عمرة ، وأنها برزت في الفترة التي قام فيها المختار يطالب بثأر الامام الحسين عليه السلام ورفع فيها شعار العودة بالخلافة الى آل الرسول عام ٦٦ هـ .

في هذه الفترة نسب الى المختار امور كثيرة ، منها أنه كان يقول بالبداء – والرجعة – ويزعم أن الملائكة تحارب معه – وانه اتخذ من كرسي الامام علي عليه السلام تمثل تابوت بني اسرائيل يخرجه أمام جيشه ، وأنه كان زبيرياً ثم صار كيسانياً ثم رافضياً ، وأنه كان يتزين بطلب ثأر الحسين ، ليتزلف بذلك عند الشيعة وأنه كان يطلب الدنيا سراً ويتظاهر بحب الآخـرة – ويزعم أن الوحي ينزل عليه وأن محمد بن الحنفية هو المهدي وقد أرسله إلى الكوفة لطلب ثأر الحسين وأنه كان يدعو إلى ابن الحنفية ويقول بامامته كما تقدم ، وغير ذلك من الامور التي تشوه سمعته ويفرق الشيعة من حوله .

وقبل أن نضع النقاط على هذه الحروف ونثبت أن الكيسانية أي دعوة المختار الى القول بامامة محمد لم تكن إلا مجرد اشاعة وأن كلما نسب اليه من الضلال كان من ابتداع أعداءه ، أرادوا بما تقوّلوه عليه إفساد عقيدته والتشهير بسمعته للاطاحة به والقضاء على ثورته وتمزيق شعاره – العودة بالخلافة إلى آل الرسول – وايقاع التنازع والخصام بين الملتفين من حوله .

فقبل البحث عن ذلك كله يلزمنا أن نذكر شيئاً من ترجمة المختار ونبحث عن سيرته قبل قيامه بطلب ثأر الامام الحسين وبعد قيامه بذلك ، لأن ترجمة حياته وبيان سيرته كما ذكرنا تكفل الاجابة عن بطلان كثير ما نسب اليه ، وتكشف كثيراً من الامور التي تبطـــل كيسانيته ، وترد على كلما افترى عليه ونسب اليه من الأباطيل .

وقبل البدأ بذكر سيرة المختار وللعلاقة التي تربط الكيسانية بامامة محمد ابن الحنفية يجدر بنا أن نذكر شيئاً من سيرة محمد بن الحنفية لنرى مدى علاقته بالمختار الذي قيل انه كان يدعو إلى إمامته .

محمد بن الحنفية

يقول المؤرخون عن سيرة محمد بن علي بن أبي طالب ، المشهور بابن الحنفية أنه كان في مقدمة أولاد علي عليه‌السلام بعد الحسن والحسين ، وأنه كان عالماً روحانياً وورعاً مخلصاً في إيمانه ، شجاعاً باسلاً ، يضرب ببطولته وفروسيته الأمثال ولد سنة ١٧ هـ وتوفى سنة ٨٢ هـ عاش مع أبيه ثلاثة وعشرون سنة ، واشترك في جميع حروبه ، وكان يحمل راية أبيه علي في البصرة ، ويلقي بنفسه في لهيب المعارك والحروب اسوة بأبيه أمير المؤمنين دون أن يعتريه خوف أو شك في موقفه منها .

لقد حير محمد بن الحنفية العقول بشجاعته واقدامه وحير الفرسان بثباته وبسالته يقول الشهرستاني : في كتابه الملل والنحل الجزء الأول ص ١٥٤ بهامش الفصل عن علم ابن الحنفية وورعه :

« كان محمد بن الحنفية غزير العلم كثير المعرفة ، وقاد الفكر ، قد أخبره أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن أحوال الملاحم ، قد اخذ العزلة وآثر الخمول وكان مستودعا علم الامامة ، حتى سلم الامامة إلى أهلها وما فارق الدنيا حتى أقرها في مستودعها » ويقول: في ص ١٥٢ -ج-١- في معرض الكلام عن الفرقة الكيسانية المختارية - «المختارية أصحاب المختار بن أبي عبيدة الثقفي كان خارجياً

ثم صار زبيرياً ثم صار شيعياً كيسانياً ، ثم قال بامامة محمد بن الحنفية بعد أمير المؤمنين علي رضي الله عنهما ، وقيل بعد الحسن والحسين ، وكان يدعو الناس إليه ، ويظهر أنه من رجاله ودعاته ، ويذكر علوماً مزخرفة ، ولما وقف محمد بن الحنفية على ذلك تبرأ منه خاصة ، وأظهر لأصحابه عند العامة براءه منه ليصرف الناس عنه ويجمع أمر زين العابدين على أعداء أهل الدين ، وراح يذكر ما نسب إلى المختار من الافتراآت » .

إن ما أورده الشهرستاني يؤكد ما يحدثنا به بعض المؤرخين من الشيعة من أن الامام الحسين عليه السلام يوم غادر المدينة متوجهاً إلى مكة بعد هلاك معاوية ومطالبة عامل المدينة له بالبيعة ليزيد ، أوصى إلى محمد وترك مواريث الامامة عنده وأمره بأن يدفع ذلك إلى ولده علي بن الحسين إذا حدث له القتل لأنه الامام من بعده ، وان محمد بن الحنفية حرص على ذلك حتى دفعها إلى علي بن الحسين وراح يجمع الناس على القول بامامة ابن أخيه السجاد ويعظم منزلته عند الناس لا سيا الخاصة من أصحاب أبيه .

يقول ابن أبي الحديد في مجلد الأول من شرح النهج ص ٩٤ طبع بيروت : « لما رأى الأنصار مواقف محمد بن الحنفية البطولي في حرب البصرة : قالوا : لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب لولا ما جعل الله للحسن والحسين لما قدمنا على محمد أحداً من العرب ، فقال : أين النجم من الشمس والقمر ؟ إما انه قد اغنى وأبلى وله فضله لا ينقص فضل صاحبيه عليه ، وحسب صاحبكم ما انتهى إليه من نعمة الله ، فقالوا : يا أمير المؤمنين انا والله لا نجعله كالحسن والحسين ، ولا نظلمه لفضلها عليه حقه ، فقال علي : أين يقع ابني من ابني رسول الله ص ؟ فقال خزيمة بن ثابت ذي الشهادتين : يمدحه في ابيات من الشعر :

محمد ما في عودك اليوم وصمة ولا كنت في الحرب الضروس معربدا

أبوك الذي لم يركب الخيل مثـــله　　علـيّ وسمـــاك النبي محمـــدا[1]

فلو كان حقـــاً من أبيك خليفة　　لكنت ولكن ذاك مالا يرى بدا[2]

وانت بحمـــد الله أطول غـاية　　لسانا وأمداها بمـــا ملكت يدا

واقربهم من كل خــير تريده　　قريش وأوفاها بمـــا قال موعدا

واطعنهم صــدر الكمي برمحه　　واكساهم للهـــام عضباً مهندا

سوى أخـــويك السيدين كلاهما　　امام الورى والداعيان إلى الهدى

كان الامام علي عليه‌السلام يعتبر محمد بن الحنفية يده وساعده والحسنان بمنزلة عينيه ، فقد صح أنه قال : محمد يدي والحسن والحسين عيناي ، أدفع بيدي عن عيني .

كان الامام علي يحب ابن الحنفية ويقدمه على سائر أولاده بعد الحسن والحسين كما يظهر في وصيته التي أوصى بها الحسن والحسين في آخر ساعات حياته : يقول ابن الاثير في حوادث سنة ٤٠ من الهجرة في ذكر مقتل الامام علي .

« أنه دعا الحسن والحسين فقال لهما اوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ، ولا تبكيا على شيء زوى عنكما ، وقولا الحق . وارحما اليتيم ، وأعينا الضائع ، واصنعا للإخوة ، وكونا للظـــالم خصما وللمظلوم ناصراً ، وأعملا في كتاب الله ، ولا تأخذكما في الله لومة لائم ، ثم نظر إلى محمـــد بن الحنفية فقال : هل حفظت ما أوصيت به أخويك ؟ قال : نعم فأني اوصيك بمثله ،

---

(١) في الأعيان ترجمة محمد بن الحنفية ، ان النبي (ص) بعث علياً الى اليمن وأصاب خوله أم محمد في بني زبيد مع عمر بن معدي كرب ، وكانت زبيد قد سبتها من بني حنيفة في غـــارة لهم عليهم ، فصارت في سهم علي ، فقـــال : له رسول الله (ص) ان ولدت منك غلاما فسمه باسمي وكنه بكنيتي فولدت له محمد بعد موت الزهراء فسماه محمد وكناه أبا القاسم .

(٢) يريد بهذا البيت ان الامامة منصوصة في الحسن ثم الحسين من قبل النبي (ص) .

واوصيك بتوقير أخويك العظيم حقهما عليك ، وتزين أمرهما ولا تقطع أمراً دونهما ، ثم قال للحسن والحسين اوصيكما به فانه شقيقكما وابن أبيكما ، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه ، ثم راح يذكر بقية ما أوصى به أمير المؤمنين .

يقول اليعقوبي : في تاريخه ، ج - ٣ - ص ٩ - وغيره « لما اغتيل الامام الحسن وقف عليه محمد بن الحنفية متألماً ، ولما افّ في اكفانه قال : رحمك الله أبا محمد فوالله لإن عزت حياتك فقد هدّ وفاتك ، ونعم الروح روح عمّر به بدنك ، ونعم البدن بدن ضمته أكفانك ، ولم لا تكن كذلك ؟ وأنت سليل الهدى ، وحليف أهل التقوى ، وخامس أصحاب الكساء ، غذتك كف الحق ، وربيت في حجر الاسلام ، وارضعتك ثدي الايمان ، فطب حياً وميتاً فعليك السلام ورحمة الله وبركاته » .

ويذكر ابن الاثير في تاريخه في حوادث سنة ٦٠ هـ ، في ذكر بيعة يزيد بن معاوية وخروج الامام الحسين من المدينة بعد ان امتنع من البيعة ليزيد على يد عامله في المدينة يقول : « وأخذ الحسين معه بنيه واخوته وبني أخيه وجل أهل بيته إلا محمد بن الحنفية ، فانه قال له يا أخي والقول هنا لمحمد يخاطب الحسين « أنت أحب الناس إليّ واعزهم عليّ . ولست أدخر النصيحة لأحد من الخلق أحق بها منك ، تنح عن بيعتك ليزيد ، وابعث رسلك إلى الناس وادعهم الى نفسك فان بايعوا لك حمدت الله على ذلك ، وان اجمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ، ولا تذهب مروءتك ولا فضلك ، اني أخاف ان تأتي مصراً أو جماعة من الناس فيختلفون عليك ، فمنهم طائفة معك واخرى عليك فيقتتلون ، فتكون لأول الأسنة ، فاذا خير هذه الامة كلها نفساً وأباً واماً أضيعها دماً وأذلها أهــلا ، فقال الحسين : فأين اذهب يا أخي ؟ قال : انزل مكة فإن اطمأنت بك الدار فبسبيل ذلك ، وان نأت عنــك لحقت بالرمال وشغف الجبال ، وخرجت من بلد إلى بلد حتى تنظر ما يصير اليه أمر الناس ، ويفرق لك الرأي فإنك أصوب ما يكون رأياً وأحزمه عملاً حين تستقبل الامور استقبالاً

ولا تكون الامور أبداً اشكل منها حين تستدبرها ، قال الحسين : يا أخي قد نصحت ، واشفقت ، وأرجو ان يكون رأيك سديداً وموفقاً إنشاء الله ».

كان محمد جليل القدر عظيم الشأن محبوباً من كافة الناس إلا من آل الزبير لا سيا عبد الله بن الزبير الذي كان يتجاهر أيام دعوته الخلافة بعداوته لآل البيت جميعاً ويتحامل على بني هاشم تحاملاً شديداً ويظهر لهم البغضاء ، وقد بلغ به الحقد عليهم ان ترك الصلاة على النبي ﷺ في خطبة الجمعة !! فقيل له لم تركت الصلاة على النبي ﷺ ؟ قال : « له أهل سوء يشرأبون لذكره ، ويرفعون رؤسهم إذا سمعوا به !! » راجع في ذلك - تاريخ اليعقوبي - ج ٣ - ص ٨ .

يقول ابن أبي الحديد في شرح النهج - ج ٣ - ص - ٨ - ٩ « بلغ محمد ابن علي بن أبي طالب عليه السلام أن ابن الزبير قام خطيباً فنال من علي بن أبي طالب، فدخل محمد المسجد الحرام ، فوضع رحلاً ثم قام خطيباً عليه، فحمد الله واثنى عليه ، وصلى على محمد ثم قال : شاهت الوجوه « يا معشر قريش أيقال هذا بين أظهركم وأنتم تسمعون ؟! ويذكر علياً فلا تغضبون ؟! ألا ان علياً كان سهماً صائباً من مرامي الله ، أعدائه ، يضرب وجوهم ويأخذ بخناقهم ،ألا انا على سنن ونهج من حاله ، وليس علينا في مقادير الامور حيلة، وسيعلم الله الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، فبلغ ذلك عبد الله بن الزبير ، فقال : عذرت الفواطم : فما بال ابن امة بني حنيفة ؟ فبلغ قوله محمداً فقال : يا معشر قريش ، ما ميزتي من بني الفواطم ، أليست فاطمة ابنة رسول الله ﷺ حليلة أبي وام اخوتي ؟ أو ليست فاطمة بنت أسد بن هاشم جدتي وام أبي ؟ أو ليست فاطمة بنت عمر بن عائذ بن مخزوم جدة أبي وام جدتي ؟ أما والله لولا خديجة بنت خويلد لما تركت في بني أسد عظماً إلا هشمته - فاني بتلك التي فيها المعاب خبير - » .

يقول صاحب الأعيان : في ترجمة محمد بن الحنفية لما خرج الامام الحسين عليه السلام إلى العراق أوصى إلى أخيه محمد بهذه الوصية .

« هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية أن الحسين يشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله جاء بالحق من عند الحق ، وان الجنة حق والنار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور ، واني لم أخرج أشراً ولا بطراً ، ولا مفسداً ولا ظالماً ، وانما خرجت بطلب الاصلاح في امة جدي ، أريد ان آمر بالمعروف وانهى عن المنكر ، وأسير بسيرة جدي وابي علي بن أبي طالب ، من قبلني بقبول الحق والله أولى بالحق ومن رد علي هذا اصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين وهذه وصيتي وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب » .

أما علاقة ابن الحنفية بالمختار بن أبي عبيدة لا تتعدى إلتجاء ابن الحنفية إليه يوم حبسه ابن الزبير وجماعة من بني هاشم في حجرة زمرم أو في سجن عارم وعزم على حرقهم ان لم يبايعوه ، فكتب ابن الحنفية إلى المختار وإلى الشيعة في الكوفة يطلب انقاذهم كما سيأتي في ترجمة المختار وفيها نذكر المراسلات التي قيل جرت بينهما .

هناك قصة النزاع الذي قيل انها حدثت بين الامام السجاد علي بن الحسين وبين عمه محمد بن الحنفية ، على الامامة فتحاكما إلى الحجر الأسود تلك القصة التي لم يوفق واضعها فكذبت نفسها بنفسها ولما كانت تلك القصة تنسب إلى محمد أنه كان يدعى الامامة خلافاً للواقع والحقيقة يلزمنا ذكرها وبيان التناقضات التي يحملها في عداد القصص الموضوعة وما أكثرها في السير والتواريخ.

قصة تحكيم الحجر الأسود

ننقل ما عثرنا عليه من الروايات التي جاءت تخبرنا عن قصة تحكيم الامام السجاد علي بن الحسين وعمه محمد بن الحنفية الحجر الأسود لحسم التنازع فيما بينهما على الامامة وقد جمعنا من كتب السير والتاريخ الروايات الآتية :

الرواية الاولى

روى الطبرسي في أعلام الورى ص ١٥٢ عن أبي جعفر الطبري قال : ان محمد بن الحنفية أرسل إلى الامام علي بن الحسين عليه‌السلام فخلابه فقال : يا بن أخي قد علمت أن رسول الله (ص) دفع الوصية والامامة من بعده إلى أمير المؤمنين ثم إلى الحسن ثم إلى الحسين ، وقد قتل أبوك رضي الله عنه ولم يوصي وأنا عمك وصنو أبيك وولادتي من علي في سني وقدمي أحق بهـــا منك ، فقال : له علي يا عم اتق الله ولا تنازعني في الامامة والوصية ولا تدع ما ليس لك بحق إني أعظك أن تكون من الجاهلين ، إن أبي أوصى إلي قبل أن يخرج إلى العراق ، وعهد إلي بذلك قبل أن يقتل بساعة ، وهذا سلاح جدي رسول الله (ص) عندي ، فلا تتعرض لذلك . وإن أردت أن تعلم ذلك فانطلق بنا إلى الحجر الاسود حتى نتحــاكم اليه ونسـأله ، وكان الكلام بينهما في مكة ، فانطلقا الى الحجر الأسود ، فقال الامام : لمحمد تقدم يا عم ابدأ أنت وابتهل الى الله تعـالى وأسأله أن ينطق لك الحجر ، فابتهل محمد إلى الله ودعا الحجر فلم يجبه ، فقال :

الامام لو كنت وصياً وإماماً لأجابك . قال محمـد : فأدع الله أنت يابن أخي ، فدعا الامام بما أراد وقال : أسألك بالله الذي جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الناس جميعاً إلا مـا اخبرتنا من الوصي والامام ؟ قال : فتحرك الحجر حتى كاد يزول من مكانه ، فأنطقه الله بلسان عربي مبين « ان الوصية والامامة بعد الحسين ابن علي بن فاطمة بنت رسول الله (ص) هي لك » فانصرف محمدا وهو يقول : امامة علي بن الحسين .

الرواية الثانية

يقول محمد بن جرير الطبري في كتابه — الامامة - « جاء محمد بن علي بن أبي طـــالب إلى علي بن الحسين ، فقال : يا علي ألست تقر بأني امام عليك ؟ فقال علي بن الحسين : لو علمت ذلك لما خالفتك ! وإن طاعتي عليك وعلى جميع الخلق مفروضة ، ألم تعلم بأني وصي وابن وصي ؟ فتشاجرا ساعة فقال علي بن الحسين : بمن ترضى يكون حكماً بيننا ؟ فقال محمد : من شئت ، قال : أترضى أن يكون الحجر الأسود ؟ قال محمد : سبحان الله أدعوك إلى الناس وتدعوني إلى حجر لا يتكلم ؛ فقال علي : إنه يتكلم أما علمت أنه يأتي يوم القيامة وله عينان ولسان وشفتان يشهد لمن وافاه ، فادنوا أنا وأنت منه وندعو الله تعالى أن ينطقه أينا حجة الله على خلقه ، فانطلقا وصليا عند المقام ودنيا من الحجر فقال محمد : لئن أجابك إلى ما تدعوني إليه إني إذاً لمن الظالمين ، ثم بدأ محمد وطلب منه أن يتكلم فلم يجبه ، فقال لعلي : تقدم فأساله ، فقال الامام : أسئلك بحرمة الله ورسوله وحرمة أمير المؤمنين والحسن والحسين وفاطمة إن كنت تعلم إني حجة الله على عمي إلا نطقت وبينته له حتى يرجع عن رأيه ، فقال الحجر بلسان عربي مبين لعلي بن الحسين انك حجة الله على خلقه ، فقال محمد : بعد ذلك سمعت .

الرواية الثالثة

— عن محمد بن جرير الطبري أيضاً عن أبي خـالد الكابلي قال : كنت أقول

بامامة محمد بن الحنفية فلقيني يحيى بن ام الطويل فدعاني إلى علي بن الحسين فامتنعت عليه ، فقال : لي ما ضرك أن تقضي حقي بأن تلقاه لقية واحدة ، فصرت معه فوجدته جالساً في بيت مفروش بالعصفر ملبس بالحيطان وعليه ثياب مصبّغة ، فلم آكل عنده ، فلما نهضت قـال : لي مر علينا في غد انشاء الله فخرجت من عنده وقلت : ليحيى أدخلتني إلى رجـل يلبس المصبغات ؟ ، وعزمت أن لا أرجـع اليه ، ثم ذكرت أن رجوعي غير ضائر ، فصرت اليه في الوقت ووجدت الباب مفتوحاً ولم أره ، فهممت أن أرجع فناداني من داخل الدار ادخل ثلاث مرات ، فظننت أنه يريد غيري ، فصاح يا ـ كنكر ـ ادخل وهذا اسم كانت امي سمتني به ولم يسمعه منها أحد غيري فدخلت عليه ووجدته جالساً في بيت من طين على حصير من البردي وعليه قميص والكرابيس ، فقال يا أبا خالد اني قريب العرس وان الذي رأيت بالأمس من آلة المرأة ولم أجـد خلافها فقلت بامامته فهداني الله اليه وعلى يده .

الرواية الرابعة

وروى ابن جرير الطبري أيضاً ـ بحذف الاسناد ، قال : إن أول ما استدل به ابو خالد الكابلي عليه من علامات علي بن الحسين ، أنه دق عليه فخرج الغلام اليه ، فقال : من أنت ؟ قال ابو خالد الكابلي ، فقال علي بن الحسين : ادخـل يا كنكر ، قال ابو خالد : ارتعدت فرائصي ودخلت وسلمت ،قال : يا ابا خالد أتريد أن اريك الجنـة وهي مسكني الذي إن شئت دخلت فيـه ؟ فقلت : نعم . أرنيه فمسح بيده على عيني فصرت إلى الجنة فنظرت إلى قصورها وأنهارها ، وما شاء الله أن أنظر ، فمكثت ما شاء الله ثم بعده وإذا أنا بين يدي الامام .

وقبل أن نناقش التناقض الصريح في هـذه الروايات الأربعة نذكر ما رواه غير الطبري من المؤرخين .

الرواية الخامسة

نقل الراوندي في كتاب الخراج ، قال : روي عن أبي خالد الكابلي قال : دعاني محمد بن الحنفية بعد مقتل الحسين ورجوع علي بن الحسين إلى المدينة وكنا بمكة ، فقال سر إلى علي بن الحسين وقل له أنا أكبر ولد أمير المؤمنين بعد أخوي الحسن والحسين ، وأنا أحق بهذا الأمر منك فينبغي أن تسلمه لي وإن شئت اختر حكماً نتحاكم اليه ، فصرت وأديت الرسالة . فقال : ارجع اليه وقل له يا عم اتق الله ولا تدع ما لم يجعل الله لك ، فان أبيت فبيني وبينك الحجر الأسود ، فأينا يشهد له الحجر فهو الإمام . ورجعت اليه فأخبرته ولما تحاكما إلى الحجر قال الحجر « يا محمد بن علي إن علي بن الحسين عليه السلام حجة الله عليك وعلى جميع من في الارض ومن في السماء ».

الرواية السادسة

في النبذة ـ المختارة ـ للمرزباني « قال : ان شخصاً قال : للسيد أبي السيد الحميري ما معنى قولك :

عجبت لكر صروف الزمان	وأمر أبي خالد ذي البيان
ومن رده الأمر لا ينثني	إلى الطيب الطهر نور الجنان
علي وما كان من عمه	برد الأمانة عطف العنان
وتحكيمه حجراً اسوداً	وما كان من نطقه والبيان
بتسليم عم بلا مرية	إلى ابن أخ منطقاً باللسان
شهدت بذلك حقاً كما	شهدت بتصديق آي البيان
علي امامي لا امتري	وخليت قولي بكان وكان

قال السيد : ما حدثته ان أبا خالد الكابلي كان يقول بامامة محمد بن الحنفية فلما قدم المدينة رأى محمداً عند علي بن الحسين عليه السلام ومحمد إذا خاطب علياً

قال يا سيدي ، فقال أبو خالد لمحمد المخاطب ابن أخيك بما لا يخاطبك بمثله !!
فقال : حاكمني إلى الحجر الأسود وزعم أنه ينطق فصرت معه إليه فسمعت
الحجر يقول يا محمد سلم الأمر إلى ابن أخيك علي بن الحسين فهو أجدر به منك
فصار أبو خالد امامياً فقلت شعري هذا .

الرواية السابعة :

روى الكشي قال : كان أبو خالد الكابلي يخدم محمد بن الحنفية عليه السلام
فقال له : جعلت فداك ان لي خدمة ومودة وانقطاعاً فأسئلك بحرمة رسول الله
صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين إلا ما أخبرتني ، أنت الامام الذي فرض الله طاعته على
خلقه ؟ قال : لا ، الامام علي بن الحسين عليّ وعلى كل مسلم ، فجاء إلى الامام
علي بن الحسين عليه السلام فدخـــل عليه ، وقال : مرحبا مرحبا يا ـ كنكر ـ
ما كنت لنا بزائر ما بدالك ؟ فخر ساجداً شاكراً لله وقال : الحمد لله الذي لم
يمتني حتى عرفت امامي ، فقال له الامام : وكيف عرفت ذلك ؟ فقص عليه
حديث ابن الحنفية ، ونقل المبرد في الكامل هذه الرواية عن المرزباني .

الرواية الثامنة :

في عيون المعجزات عن السيد المرتضى قال : من دلائل علي بن الحسين ما
رواه أصحاب الحديث عن الرشيد الهجري وعن ابن ام الطويل،قالا : لما أدعى
محمد بن الحنفية الامامة بعد الحسين وقال اني احق بالامامة من ولد علي عليه السلام
وقد اجتمع عليه خلق كثيرا قبل زين العابدين يعظه ويذكره ما كان من رسول
الله صلى الله عليه وآله في الاشارة إلى ولد الحسين ، وأن الوصية وصلت إليه من أبيه ، فلم
يقبل ابن الحنفية وانتهى الأمر إلى أن أخذ علي بن الحسين بيده وقال: نتحاكم إلى
الحجر فتحاكما إلى الحجر الأسود ، فأنطق الله الحجر الأسود وشهد لعلي بن
الحسين ، ورجع محمد » .

نقلنا هذه الروايات عن اعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ـ ومدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني ـ ومحمد بن الحنفية ـ للسيد علي الهاشمي ـ نقــلا عن ـ كتاب الامامة ـ لأبي جعفر محمد بن جرير الطــبري ـ والخراج للراوندي ـ والاحتجاج ـ وأعلام الورى ـ للطبرسي ـ والنبذة المختــارة ـ للمرزباني ـ وعيون المعجزات للسيد المرتضى .

لا أظن أن هناك من يقرأ هذه الروايات ثم يحتاج إلى من يضع له النقاط على ما فيها من التناقضات التي تجعل هذه القصة في عــداد القصص الموضوعة والحكايات المبتدعة ، وسواء أكان المبتدع لها رجلا من الشيعة وضعهــا ليرد على الحكايات التي جعلت من محمد بن الحنفية اماماً ومهدياً غائباً في جبل رضوى أم كان من خصوم الشيعة أراد بوضعهــا الضحك على معتقدات الشيعة ، فعلى أي حال لم يوفق واضعها ومبتدعها في ما كان يهدف إليه وإليك المـآخذ الصريحة الدالة على افتعالها وانتحالها .

أولاً ـ ان الروايات الأربعة التي ذكرها أبو جعفر الطــبري يناقض بعضها بعضا بصورة واضحة وذلك أن الرواية الاولى ، والثــانية تخالف ما جاء في الرواية الثــالثة والرابعـة ، اللتان تنفيان نفيــاً قاطعاً موضوع التحكيم والخلاف بين محمد بن الحنفية والامام السجاد على الامامة ، كما في الرواية الاولى والثانية .

ثانياً ـ ان ما جاء في الرواية الثالثة يختلف عما جاء في الرواية الرابعة ففي الرواية الثالثة يدخل الكابلي على الامام السجاد على بن الحسين باصرار من ابن ام الطويل ، ويستنكر ما يشــاهده من وضع الامام فيخرج من عند الامام ويعزم على أن لا يدخل على الامام ثانية ، ثم لا يرى ضرراً في الدخول على الامام ثانية فيدخل عليه دون استئذان فلم يره فيناديه الامام من داخل الدار ادخل ادخل ثلاث مرات ويسميه باسمه الذي لا يعرفه أحد غير امه ـ كنكر ـ

وتقول الرواية الرابعة ـ ان الكابلي دق الباب على الامام ودخل عليه بدون أن يكون هناك من يطلب منه الدخول على الامام ، فيخرج إليه غلام الامام ويسئله عن اسمه فيجيبه عن اسمه ـ ثم يناديه الامام ادخل يا كنكر ـ فيدخل على الامام وقد ارتعدت فرائصه ويريه الامام الجنة فيدخلها ويشاهد قصورها وأنهارها إلى آخر الحكاية .

ثالثاً ـ ان الرواية الخامسة التي يرويها الراوندي في الخراج ، والرواية السادسة التي يرويها المرزباني في النبذة المختارة ، وان تشابها في السبب الذي حمل الكابلي على القول بامامة زين العابدين إلا أنهما اختلفتا في جوانب اخرى ـ فالرواية الخامسة تجعل الكابلي رسول محمد بن الحنفية إلى السجاد وانه كان ممن حضر التحكيم بينهما عند الحجر الأسود ، والرواية السادسة تنفي علم الكابلي بقصة التحكيم وانه لم يكن رسولاً من قبل محمد بن الحنفية إلى الامام ، ولا حضر وقت التحكيم معهما عند الحجر الأسود . وأن محمداً هو الذي أخبره بقصة التحكيم .

اما ان السيد الحميري نظم حكاية التحكيم شعراً ان صح ذلك فلا دليل في نظم السيد هذه القصة على صحتها لأن السيد كان يعمد الى كلما يسمعه من الكرامات والمعجزات التي تنسب إلى آل البيت فيحولها من النثر إلى الشعر وكان عمله هذا من أهم الأسباب التي حملت خصومه على أن ينسبوا إليه كثيراً من الامور التي تشين بسمعته وتحط من قدره .

رابعاً ـ أن ما جاء في الرواية السابعة وان شابه ما جاء في الروايتين الثالثة ـ والرابعة واتفقت الروايات الثلاثة على أن الامام نادى الكابلي باسمه المخفي ـ كنكر ـ إلا انها تختلف عنهما في كيفية معرفة الكابلي للامام ، ففي الروايتين ـ الثالثة والرابعة ـ يدخل الكابلي على السجاد ويعترف بامامته على الكيفية المذكورة فيها بينما نرى الكابلي في الرواية السابعة يسأل محمداً عن

الامام المفترض الطاعة فيجيبه انه الامام علي بن الحسين الذي فرض الله امامته عليه وعلى الناس كافة .

خامساً ـ ان ما ذكره المرتضى او ما نسب روايته إلى السيد المرتضى لا يحتاج ابطاله إلى كثير من الكلام لأن السيد اسند رواية ما ذكره أو ما نسب إليه ذكره إلى الرشيد الهجري الذى قتله زياد بن أبيه قبل أن يأخذ معاوية البيعة لولده يزيد !! .

هذه هي قصة التحكيم والنزاع الذي نسب حدوثه بين الامام زين العابدين وبين عمه محمد بن الحنفية على الامامة .

المختار بن أبي عبيدة الثقفي

إذا كان كيسان من الشخصيات الموهومة المنتحلة كأخيه ـ ابن سبأ ـ فإن المختار لم يكن من الموهومين أو المجهولين في التاريخ ، إذا لم يكن من أعلام التاريخ البارزين ، والشخصيات التي لها ذكر وشهرة ، ولها ثورة ونضال ، لا يمكن أن تغيب عن الأذهان ، ولا في وسع التاريخ أن يتجاهلها .

ولد المختار المكنى بأبي اسحاق بن أبي عبيدة في عام الهجرة ، ويوم ولد جاء به أبوه إلى الإمام علي فباركه وقال له ـ كيس كيس ـ استشهد أبوه في معركة الجسر في عهد الخليفة الثاني سنة ١٣ هـ . وكان والياً على الكوفة ، انقطع المختار بعد استشهاد أبيه إلى بني هاشم ، ولما خرج الإمام علي إلى العراق صحبه معه .

لم أعثر على شيء من أخباره حتى وفاة معاوية واستخلاف يزيد بن معاوية وامتناع الإمام الحسين عليه السلام عن بيعته وإرسال الإمام الحسين مسلماً إلى الكوفة لأخذ البيعة له بعد أن طلب منه الكوفيون ذلك ، فجاء مسلم إلى الكوفة ونزل على المختار وكان المختار من أشد المحرضين على بيعة الإمام الحسين . ولما عهد يزيد إلى عبيد الله بن زياد ولاية الكوفة وجاء الكوفة ابن زياد وأعلن سياسة البطش والارهاب خرج مسلم من دار المختار إلى دار هاني بن عروة زعيم قبيلة

مذحج ، ولما خرج مسلم لقتال ابن زياد كان المختار يقاتل معه في رواية وفي اخرى كان خارج الكوفة يوم خرج مسلم ولما بلغه أمر خروجه جاء إلى الكوفة ومن معه لنصرة مسلم، ولما دخل الكوفة وقف تحت راية عمرو بن حريث متحيراً من أمره ولا يعرف شيئاً من أمر مسلم ، حتى إذا قتل مسلم قبض عليه وأراد ابن زياد قتله فشفع فيه عمرو بن حريث فحبسه ابن زياد بعد أن خبط عينه بالقضيب .

كتب المختار إلى زوج اخته عبد الله بن عمر في أمر حبسه فشفع ابن عمر له عند يزيد بن معاوية فأمر يزيد باطلاق سراحه .

لم يذكر لنا التاريخ ما يشين بسمعة المختار في هذه الفترة من حياته إلا حادثتين رواهما بعض المؤرخين ، الاولى ـ ما رواه صاحب الاصابة في ترجمته عن ثابت بن هرمز . « ان المختار حمل مالاً من عند عمه سعد بن مسعود إلى الإمام علي وكان سعد والياً من قبل الإمام على المدائن ، فأخرج كيسا فيه خمسة عشر درهماً فقال : للامام هذه اجور الموسات ، فقال الإمام : ويلك مالي وللموسات ؟ ثم قام وقال : ما له لو شق قلبه لوجد ملآن بحب اللات والعزى » .

ان افتعال هذه الحادثة لا يحتاج إلى كثير من النقاش لأن روايتها جاءت عن ثابت بن هرمز الذي يقول عنه الذهبي في ـ ميزان الاعتدال ـ أنه من المجهولين ويقول ابن حجر صاحب الاصابة نفسه في ـ تهذيب التهذيب ـ أنه من المتروكين ، فسواء أكان ثابت بن هرمز من المتروكين أو من المجهولين لقد خانه الحظ في انتحال هذه الرواية ، ولم يوفق في صياغتها . لقد صاغ مخترع هذه الحكاية كلام الإمام لرسول عامله مخالفاً لمقتضى الحال والمقال ومنافياً لخلق الإمام السامي ، فجعل الإمام يتحامل على الرسول لجريمة المرسل ويوجه اللوم إلى حامل الجباية وناقلها ويكيل له السب ويرميه بالكفر وبحب الأصنام لا لشيء

إلا لأنه نقل مالاً جمعها عامله على المدائن ، ان من أبسط قواعد العدل أن يوجه اللوم والتوبيخ إلى من جبى هذه الضريبة ، إن صح جباية مثل هذه الضريبة من قبل عامل الإمام ، فالعامل هو المسئول ، واليه وحده يوجـه اللوم والتوبيخ .

ان من يروي هذه الحكاية هو الذي يروي أن المختار ولد في عام الهجرة مسلماً من أب مسلم وام مسلمة ، انقطع بعد موت أبيه إلى بني هاشم وصحبه الإمام علي معه إلى العراق ، فهل يعقل أن يتهم الإمام مسلماً تربى ونشأ بين آله بحب اللات والعزى ؟!.

الحادثة الثانية ـ روى ابن الأثير في الكامل في حوادث سنة ٤١ هـ « أن الحسن بن علي لما طعن في ساباط المدائن حمل إلى دار سعد بن مسعود الثقفي عم المختار ، فقال المختار : لعمه هل لك في الغنى والشرف ؟ قال : له وما ذاك ؟ قال : نستوثق الحسن ونستأمن به معاوية ، فقال : له عمه عليك لعنة الله أثب إلى ابن بنت رسول الله ﷺ وأوثقه بئس الرجل أنت ؟!! »

لم يكشف لنا ابن الأثير عن الراوي لهذه الحادثة التي لم تختلف عن سابقتها في الكذب والافتراء ولا شك من أن هـذه الرواية من الروايات التي وضعت لتشويه سمعة المختار والحط من شأنه في مجتمع الشيعة وإبعاد الملتفين منهم من حوله ، يوم ثار يطلب دم الإمام الحسين ممن اشترك في قتله وقتل آله في كربلاء ، ورفع شعار إمامة آل الرسول ، وما أكثر ما نسب للمختار من الامور المشينة في تلك الفترة .

ان المختار لو كان يطلب الغنى لعمه ويريد له الشرف عن طريق خيانة سيد شباب أهـل الجنة الحسن بن علي ، كان بوسعه أن يطلبها لنفسه يوم وضع ابن زياد جائزة كبيرة لمن يدله على مكان مسلم والمختار يوم ذاك كان عالماً بمكانه .

ولو كان المختار ممن يريد الشرف والجاه ويطلب المال من أي جهة حصلت وبأي طريقة جاءت لقبض على مسلم بن عقيل قبل أن يغادر داره إلى دار هاني وسلمه إلى ابن زياد وحصل على المال والجاه والشرف ولكان المختار في أمن من بطش ابن زياد ، ولما خرج يقاتل مع مسلم بن عقيل ويقبض عليه ويشفع فيه عمرو بن حريث ويبدل أمر قتله بالحبس !!

كان المختار بن أبي عبيدة كما يقول صاحب الإصابة في ترجمته ويؤكده صاحب الاستيعاب يعد من الفضلاء والأخيار حتى فارق ابن الزبير انقلب فصار من الفساق والأشرار فأدع النبوة ، ونزول الوحي عليه وغير ذلك كما سيأتي .

لم يحدثنا صاحبي الاصابة والاستيعاب عن السبب الذي حمل المختار ان يبايع لابن الزبير مع انقطاعه لآل البيت الذي كان ابن الزبير لا يرتاح إليهم ، كما لم يذكر لنا سبب انفصاله عنه . ولمعرفة ذلك نرجع إلى التاريخ نبحث فيه عن السبب الذي حمل المختار على مبايعة ابن الزبير ثم انفصل عنه بعد ان مات يزيد وبايعه أهل الحجاز والعراق ومعظم أهل الشام والأسباب التي أخرجته من عداد الفضلاء بعد أن فارق ابن الزبير .

يقول ابن الأثير : في الكامل في حوادث سنة ٦٤ هـ « بعد ان اطلق ابن زياد سراح المختار من سجن الكوفة قصد الحجاز ، فلقيه وراء ـ الواقصة ـ ابن العرق فسأله عن عينه فقال : خبطها ابن الزانيـــة يريد بذلك ابن زياد ، فصارت كما ترى ثم قال : قتلني الله ان لم اقطع انامله واعضاءه ارباً ارباً ، ثم سأل المختار ابن العرق ، عن ابن الزبير ، فقال : انه عائذ بالبيت ، وأنه يبايع سراً ولو اشتدت شوكته وكثرت رجاله لظهر ، فقال المختار : انه رجل العرب اليوم ، وان اتبع رأي أكفه امر الناس ، ان الفتنة ارعدت وابرقت ، فاذا سمعت بمكان ظهرت فيه في عصابة من المسلمين اطلب دم الشهيد المظلوم ، المقتول بالطف سيد المسلمين وابن سيد المرسلين وابن سيدها الحسين بن علي عليه السلام فوربك

لأقتلن بقتله عدة من قتل على دم يحيى بن زكريا ، ثم سار وابن العرق يعجب من قوله ، قال ابن العرق : فوالله قد رأيت ما ذكره المختار ، وحدثت بذلك الحجاج فضحك ، وقال : لله دره أي رجل ديناً ومسعر حرب ومقارع أعداء كان !! ثم قدم المختار على ابن الزبير فكتم ابن الزبير عليه امره ففـــارقه المختار وغاب عنه سنة ، ثم سأل ابن الزبير عنه فقيل له انه بالطائف وانه يزعم صاحب الغضب ومبير الجبارين ، فقال ابن الزبير : ماله قاتله الله ، ءأتبع كذاباً متكهناً؟ ان يهلك الله الجبارين يكن المختار أولهم ، فهو في حديثه إذ دخل المختار المسجد فطاف وصلى ركعتين وجلس ، فأتاه معارفه يحدثونه ولم يأت ابن الزبير ، فوضع ابن الزبير عليه عباس بن سهل بن مسعر فأتاه ، وسأله عن حاله ثم قال له : مثلك يغيب عن الذي اجتمع عليـــه الاشراف من قريش والانصار وثقيف ! ولم تبق قبيلة إلا وقد أتاه زعيمها فبايع هذا الرجل ، فقال المختار : إني أتيته العام الماضي فكتم عني خبره ، فلما استغنى عني ، أحببت أن أريه اني مستغن عنه ، فقال له عباس : ألقـــه الليلة وأنا معك ، فأجابه إلى ذلك ، فحضرا عند ابن الزبير بعد العتمة ، فقال المختار : لابن الزبير أبايعك على ألا تقضي الامور دوني وعلى أن أكون أول داخـــل عليك ، وإذا ظهرت استعنت بي على افضل أعمالك ، فقال له ابن الزبير : أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله ، فقال المختار : وشر غلماني تبايعه على ذلك فلا أبايعك إلا على ذلك فبايعه ابن الزبير على هذه الشروط ، وكان له مواقف جليلة في قتال الحصين ابن نمير ، وابلى بلاءً حسناً وقاتل أشد القتال مع ابن الزبير ، وكان اشد الناس على أهل الشام .

فلما هلك يزيد بن معاوية وأطاع أهل العراق ابن الزبير أقام المختار عند ابن الزبير خمسة أشهر فلما رأى ابن الزبير لا يستعمله جعل لا يقدم عليه أحد من أهل الكوفة إلا وسأله عن حال الناس ، فأخبره هاني بن جبـــة الوادعي باتساق أهل الكوفة على طاعة ابن الزبير إلا ان طائفة من الناس هم عدد أهلها

لو كان لهم من يجمعهم على رأي أكل بهم الأرض ، فقال المختار : أنا أبو اسحاق أنا والله لهم ، اجمعهم على الحق وألقي بهم ركبان الباطل واهلك بهم كل جبار عنيد ، ثم سار إلى الكوفة فدخلها في النصف من شهر رمضان سنة ٦٤ ﻫ أي بعد ستة أشهر من هلاك يزيد .

وهناك رواية اخرى يرويها ابن الأثير في ختام الرواية السابقة في كيفية خروج المختار إلى الكوفة يقول : « وقيل في خروج المختار إلى الكوفة وسببه غير ما تقدم ، وهو أن المختار قال: لابن الزبير وهو عنده اني لأعلم قوماً لو ان رجلاً له فقه وعلم بما يأتي ويذر . لاستجمع لك منهم جنداً تقاتل بهم اهل الشام ، قال : من هم ؟ قال : شيعة علي في الكوفة ، قال : فكن أنت ذلك الرجل ، فبعثه إلى الكوفة. فنزل ناحية يبكي على الحسين ويذكر مصابه حتى لقوه واحبوه فنقلوه إلى وسط الكوفة واتاه منهم بشر كثير ، فلما قوي امره سار إلى ابن مطيع .

ويذكر ابن الأثير في حوادث سنة ـ ٦٧ ـ « أن المختار بن أبي عبيدة خالف ابن الزبير عندما أرسل ابن الزبير أخاه مصعباً والياً على البصرة سنة ٦٧ ﻫ .

وهناك رواية اخرى نورد منها ما جاء في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٦٧ ﻫ يقول في الجزء الثاني صفحة ٢٥ « أرسل عبد الله بن الزبير زيد بن زياد على العراق ، فكان في الكوفة حتى مات يزيد وأحرقت الكعبة ، ورجع الحصين هارباً إلى الشام[١] . قال : ثم أرسل عبد الله بن مطيع والياً على الكوفة ، ثم بعث المختار بن أبي عبيدة والياً وعزل عبد الله بن مطيع ، وسيره إلى المدينة ، وسارع عبيد الله بن زياد إلى المختار وجهه

---

(١) يريد الحصين بن نمير الذي كان يحارب ابن الزبير هرب بعد موت زيد .

عبد الملك بن مروان اميراً على العراق ، وندب معه جيشـــاً عظيماً من أهل الشام فأقبل إلى الكوفة يريد المختار فألتقوا ـ بخازر ـ وهي قرية من نواحي النهروان من أعمال بغداد ، كما يقول الحموي : في معجم البلدان ـ « فاقتتلوا فقتل المختار عبيد الله بن زياد ومن معه الحصين بن نمير وذو الكلاع ، وغلبة من كان معه ممن شهد وقعة الحرة .

ولما قتل المختار عبيد الله بن زياد بعث ابن الزبير أخاه مصعباً واليـــاً على البصرة وعزل عنها أخاه حمزة بن الزبير ، وضم الكوفة إلى البصـــرة وعزل المختار ، ولما بلغ المختار عزله عن الكوفة خلع بيعة ابن الزبير بالكوفة ودعا إلى آل الرسول ، وأراد أن يعقد البيعة لمحمد بن الحنفية فكتب ابن الزبير إلى أخيه مصعب سر إلى المختار بمن معك ثم لا تبلغه ريقه حتى يموت ألا عجل منكما » .

نستخلص مما تقدم من هذه الروايات اموراً ـ الأول منها ـ ان المختار كان بعد اطلاق سراحه من سجن الكوفة صمم على الانتقام من ابن زياد وعزم على المطالبة بدم الامام الحسين ، الثاني : أن المختار كان من الرجال الذين لهم مكانة في المجتمع الاسلامي بحيث لا يبايع للخليفة إلا بشروط تحقق أغراضه ، الثالث أن ماورد في الرواية عن ابن الزبير أنه أي المختار من الكذابين والجبـــارين المتكهنين بعد ان قبل بيعته وشروطه لا يخلو من أمرين ، اما ان تكون الرواية موضوعة لا نصيب لها من الصحة ، واما ان يكون ابن الزبير قبل بيعة الكذاب الجبار المتكهن ، ورضى لنفسه ان يستعين به على افضل أعمـــاله ولا يقضي الامور دونه » .

إن الذين نسبوا إلى المختار كثيراً من الادعات الباطلة واتهموه بالكذب والجبروت ، قالوا انه كان من الفضلاء الأخيار قبل انفصـــاله عن ابن الزبير ، فكيف جاز لإبن الزبير أن يتهمه بالكذب والجبروت قبل ان يتصل به !! إلا

ان يكون المختار قبل اتصاله بابن الزبير وبعد انفصاله عنه كان من الكذابين الجبارين المتكهنين ، وبعبارة أوضح كان المختار عند خصومه من يوم اتصاله ببني هاشم من الكذابين الجبارين حتى إذا بايع ابن الزبير صار في عداد الفضلاء الأخيار ولما انفصل عنه عاد إلى صفوف الكذابين !! ، الرابع – ان الفترة التي قيل ان المختار انفصل فيها عن ابن الزبير على الأكثر لم تتجاوز الثلاث سنوات وهي منذ ان دخل الكوفة إلي اليوم الذي قتل فيه،فاذا كان دخوله الكوفة في يوم الخامس عشر من شهر رمضان عام ٦٤ وقتله يوم ١٤ رمضان عام ٦٧ كان مدة حياته بعد انفصاله عن ابن الزبير ثلاث سنوات ، وعلى الرواية التي تقول انه انفصل عنه يوم عهد ابن الزبير بولاية البصرة إلى أخيه مصعب سنة ٦٧ ﻫ تكون أقل من سنة لأن المختار قتل سنة ٦٧ من شهر شعبان ، الخامس – ان السبب الذي حمل المختار الموالي لآ ل الرسول على بيعة ابن الزبير ومتابعته هو ان ابن الزبير كان يقاتل عدواً عزم المختار وصمم على قتاله يوم اطلق سراحه من السجن وكان ابن الزبير يومذاك قد اتخذ من واقعة الطف وما انزله جند يزيد بالامام الحسين واسرته ذريعة في التشهير بيزيد واعلان ظلمه وفسقه ، وعلى هذا كان اتصال المختار بابن الزبير اتصالاً يقتضيه مصلحة مقاتلة العدو المشترك .

لم يكن ابن الزبير ليجهل قصد المختار فيما اشترطه عليه عند البيعة له ، فهو يوم بايعه المختار ورضي لنفسه ان لايقضي أمراً دونه ، ويكون أول داخل عليه ويستعين به على أفضل أعماله ، كان يعلم بأن المختار إذا انتصر واستفحل أمره لابد وأن ينقلب عليه ويدعو إلى آل الرسول ، ويجعل من المطالبة بدم الحسين شعاراً لدعوته ، وبالمعنى الصحيح أن كل واحد منهما كان يعلم قصد الآخر ، فتصافحا على مناهضة العدو المشترك يزيد بن معاوية ، ولما انتصر ابن الزبير بعد هلاك يزيد استقل بالأمر ولم يفي بشروط المختار فانفصل المختار عنه وكان انفصاله كاتصاله به أمراً طبيعاً .

أن المختار كان بنظر هذا النوع من المؤرخين يعد من الفضـــلاء الأخيار يوم أشار على عمه ان يوثق الامام الحسن ويستأمن به معاوية بعد حادثة الساباط!!.

كان المختار من الأفاضل والأخيار يوم بايع ابن الزبير ووقف يقاتل جيش يزيد ويشتد في قتال أهل الشام!! ثم تحول المختار إلى صفوف الأشرار والفاسقين بعد أن انفصل عن ابن الزبير وثار ضد قتلة الحسين، ورفع شعار الدعوة لآل الرسول!! وطالب بخلافة آل البيت في الوقت الذي كان يتنازع أمر الخلافة فيه الأمويون - والزبيريون - والخوارج، وكان كل هؤلاء الفرقاء من الفضلاء الأخيار عند خصوم المختار إلا المختار فهو وحده كان زنديقاً، يدعى النبوة ونزوله الوحي عليه، ويزعم أن الملائكة تقاتل معه على هيئة طيور، واتخذ من كرسي علي ابن أبي طالب مثل تابوت بني اسرائيل يخرجه أمام جيشه، وانه كان يسر طلب الدنيا ويتظاهر بحب الآخرة ويتزين، بطلب دم الحسين ليتزلف عند الشيعة وانه كان يقول بالبداء - والرجعة - وأن محمد بن علي المعروف بابن الحنفية هو المهدي المنتظر[1].

ان ما يجب البحث عنه من حياة المختار هو البحث عن الانقـــلاب الذي حصل له في عقيدته بعد مفارقته لابن الزبير كما يزعمون لأنه قبل ذلك كان معدوداً من أهل الفضل والخيرين.

ان الفترة التي انقلب في خلالها المختار من رجل فاضل خير إلى رجل فاسق كذاب هي الأشهر الأخيرة من حياته، وهي لا تتجاوز بأي حال عن ثلاث سنوات.

ان هذا الانقلاب في حياة المختار جدير بالبحث، وان تحوله هذا السريع

---

(١) الاصابة في ترجمة المختار بن ابي عبيدة الثقفي - الملل والنحل - ج - ١ - ص١٥٢ الاستيعاب في ترجمة المختار - فرق الشيعة للنوبختي.

العجيب حري بالدرس في موضوع بحثنا عن ـ الكيسانية ـ التي قيل ظهرت على يد المختار أو على يد أحد المتحمسين من اتباعه خلال ثورته في الكوفة ضد قتلة الامام الحسين عليه‌السلام وقيامه بالدعوة إلى امامة محمـــد بن الحنفية تلك الدعوة التي انبعثت منها مذاهب الكيسانية على حد زعم القائلين بها والشارحين لأصولها وتعدد فرقها .

فالسبيل إلى البحث عن ذلك منحصر في التاريخ . التـــاريخ الذي بدأ تدوينه بعد عشرات السنين من قتل المختار ، التاريخ الذي اثبت المؤرخون فيه ان ـ الكيسانية ـ مذهبا ثابتاً وعقيدةً لها مريدون واتباع ، التاريخ الذي دونت أكثر صفحاته عن محكيات زيد عن عمرو عن خالد ، وسطرت وقائعه وضاع يدلي عن أوضاع ومجهول يحدث عن مجهول[1] ومأجور يروي عن مأجور ومسخر ينقل عن مسخر استهوته الدنيـــا فتعلق بأذيال السلطة الحاكمة فراح يبتدع الحكايات والروايات ويضع الحديث والأخبار حسبما تمليه عليه الحكام وتقتضيه مصالح السلطات لتدعيم حكمها والاشادة بأعمالها وجهادها والحفاظ على أهدافها القريبة والبعيدة ، التاريخ الذي يتقبل كل طعن في الشيعة ويؤول كل انحراف إلى الصواب والعدل إذا جاء من جانب خصومهم .

ولكي لا نكون ظالمين للتاريخ نورد على سبيل الاستشهاد ما يقوله عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين في كتابه ـ علي وبنوه ـ ص ١٨٧ - يقول « لا يكتفي خصوم الشيعة بما يسمعون عنهم أو يرون عنهم من سيرتهم دائماً

---

(١) بعد ان اثبت العسكري في كتابه عبد الله بن سبـــأ ان سيف بن عمر التميمي المتوفى سنة ١٧٠ كان وضاعاء اثبت انه كان قد نحت لرواياته عددا كبيرا من اشخاص مجهولين واعتبرهم من عداد الصحابة دون ان يكون لهم وجود إلا في مخيلة سيف وقد عرفهم العسكري على سبيل الاستشهاد اربعين رجـــلا : من اراد الاطلاع عليهم يراجع الكتاب المذكور طبع النجف سنة ٩٥٦ .

يضيفون اكثر مما قالوا (أي الأئمة) وأكثر مما يسمعون ثم لا يكتفون بذلك وانما يحاولون هذا كله على علي نفسه » .

ويقول في ص ١٨٦ - « وخصوم الشيعة واقفون لهم بالمرصاد يحصون عليهم كل مايقولون ويضيفون إليهم أكثر مما قالوا وفعلوا ، ويحملون عليهم الأعاجيب من الأقوال والأفعال ، ثم يتقدم الزمان وتكثر المقالات ويذهب اصحابها في الجدل كل مذهب فيزيدون الأمر تعقيداً واشكالاً، ثم تختلط الامور بعد أن يبعد عهد الناس بالأحاديث ويتجاوز الجدال الخاصة إلى عامتهم، ويتجاوز الذين يحسنون إلى الذين لا يحسنون ويخوض فيه الذين يعلمون والذين لا يعلمون فيبلغ الأمر إلى أقصى ما يمكن ان يبلغ من الإبهام والإظلام وتصبح في فتنة عمياء لا يهتدى فيها إلى الحق إلا أقلون » .

ان الأمر الذي لا مفر منه هو عن طريق هذا التاريخ يجب أن نتوصل في البحث عن سيرة المختار في الفترة الأخيرة من حياته ، تلك الفترة التي خرج خلالها من عداد الفضلاء إلى عداد الأشقياء .

لقد حصر الطاعنون في سيرة المختار الامور التي أخرجته من عداد الاخيار والفضلاء إلى عداد الأشرار والأشقياء وهي كما تقدمت .

أولا ـ ما رواه صاحب الاصابة في ترجمته إنه كان يتزين بطلب دم الحسين عن غير عقيدة وانه كان يتظاهر بحب الدنيا ويسر طلب الدنيا .

ان الراوي لهذه الرواية كان من أشد الحانقين على المختار كما يظهر من روايته التي تكشف لنا علمه بالامور الغيبية وإنه كان من العالمين بالأسرار ! وإلا كيف توصل إلى معرفة ما كان يسره المختار في نفسه ؟ في الحقيقة لم يكن الراوي عالماً بالغيب ، وان الذي حمله على اختلاق هذه الرواية هو أنه لما وجد في طلب المختار بدم السبط الشهيد ما يشرف المختار في أوساط المسلمين ويعظم منزلته

في النفوس المكلومة بقتل الحسين ، لم يسعه أن ينكر على المختار شرف المطالبة بدم الحسين ، فحمله الحقد والغضب للطغاة أن يطعن المختار في عقيدته ، فزعم أنه لم يكن ليطالب بدم الحسين عن عقيدة ، وانما اتخذ ذلك وسيلة للاستيلاء على الحكم ، وفاته أن المختار كان من اخلص الناس للحسين وآل الحسين ، وأنه منذ أن بلغه نبأ قتله عزم على الانتقام له والأخذ بثأره .

ثانياً ـ نسب صاحبي الاصابة والاستيعاب ان المختار كان يدعى النبوة ويزعم أن الوحي كان ينزل عليه وأن الملائكة كانت تقاتل معه على هيئة طيور بيضاء .

إن هذا الزعم يكذبه الروايات التي تقول إن عبد الله بن العباس وعبد الله ابن عمر والإمام علي بن الحسين كانوا يقبلون هدايا المختار[1]،وان من جملة هدايا المختار للامام زين العابدين الجارية التي ولدت له زيد بن علي بن الحسين ، كما يرد على هذا الزعم دعاء الإمام السجاد له وترحم الباقر عليه ، وذلك أن المختار لما قتل ابن زياد بعث برأسه إلى الإمام السجاد ،ولما وضع بين يديه خرساجداً[2] لله شكر وقال : الحمد لله الذي أدركني ثاري من أعدائي وجزى الله المختار خيراً .

وفي الاخبار ان أبا محمد الحكم بن المختار دخل على الإمام الصادق يوم النحر ، فتناول يد الإمام يقبلها فقال الإمام : له من أنت ؟ قال : أبو محمد الحكم بن المختار ، فقربه الإمام حتى كاد أن يقعده في حجره ، فقال أبو محمد : للامام أصلحك الله ان الناس قد اكثروا في أبي ، وقالوا والقول في أبي قولك ، فقال الإمام : أي شيء يقولون ؟ قال : يقولون أنه كذاب فقال الإمام : سبحان

---

(١) الاصابة في ترجمة المختار .

(٢) ابن الاثير في حوادث سنة ٦٧ .

الله أخبرني أبي أن مهر امي كان مما بعث به اليه المختار ، أو لم يبني دورنا ؟ وقتل قتلتنا ، وطلب بثأرنا رحم الله أباك رحم الله أباك رحم الله أباك[1].

ثالثا ـ يقول صاحب الاصابة : وصاحب الملل والنحل في ترجمة المختار أنه كان خارجياً ثم صار زبيرياً ثم صار رافضياً .

إن المقصود من هذه الرواية هو اثبات تلون المختار وتقلبه وعدم ثباته على مبدأ واحد ، وهذا ما يخالف الواقع لامور :

أولاً : قد تقدم أن المختار بعد قتل أبيه انضم إلى بني هاشم . ويوم خرج الإمام علي إلى العراق صحبه معه ويوم نهض الإمام الحسين استضاف سفيره إلى الكوفة وكان في طليعة المحرضين على بيعة الحسين وبعد قتل الإمام الحسين قام يطالب بدمه وقتل عدداً ممن اشترك في قتله وفي مقدمتهم ابن زياد وعمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن وغيرهم من قواد جيش يزيد في كربلاء ، وسيرته هذه يجعله في عداد المبغضين للخوارج أولاً وآخراً .

ثانياً : لم يحدثنا التاريخ عن موقف وقفه المختار مع الخوارج لا في حالة خروجهم على الإمـــام بصفين ولا بعده في عهد الإمام . كما لم يذكر له صلة بالخوارج في عهد معاوية ويزيد ولا يوجد في تاريخ الخوارج ذكر للمختار والتحدى من يثبت خلاف ذلك .

ثالثاً : إذا صح ارتباط المختار بعبد الله بن الزبير في بدء دعوته فان انسحاب المختار عنه وخلع بيعته لا يكون سبباً للطعن فيه ففي رجال الصحابة كعبد الله ابن عباس وعبد الله بن عمر وجماعة من بني هاشم منهم محمد بن الحنفية وولده امتنعوا من بيعة ابن الزبير ولم يؤيدوه وقد حاربه أقرب الناس اليه وهو أخوه

---

(١) الكشي في رجاله ص ٨٤ .

عمرو بن الزبير[1] وفارقه في أحرج ساعاته ولداه حمزة وحبيب أو ـ خبيب ـ[2] ثم ان الزبيرية لم يكن ديناً أو مذهباً لكي يعتبر الداخل فيه والخـــارج عنه متلوناً ومتقلباً ، وقد تقدم ذكر الأسباب التي حملت المختار على بيعة ابن الزبير في عهد يزيد ومفارقته بعد هلاك يزيد .

رابعاً : ان الرافضية لم تعرف في عهد المختار ولا قبله مذهباً خاصاً أو صفة معروفة لجماعة خاصة أو طائفة معينة وإن كل ما قيل عنها ـ هو أن جماعة من الشيعة كانت قد تبعت زيد بن علي بن الحسين عند خروجه على هشام بن عبد الملك ، فروّج الأمويون بين صفوف اتباعه دعاية كاذبة لتفريقهم عنه، مفادها أن زيد بن علي يقول بصحة إمامة المفضول وتقديمه على الفاضل[3] كما تعتقد المعتزلة، وقالوا بأنه يرى صحة خلافة من تولى الخلافة بعد النبي ﷺ فجازت هـــذه الدعاية على بعض أتبـــاع زيد من الشيعة فتفرقوا عنه وعرفوا بالرافضية أو الرفضة وذهب البعض من المؤرخين أن الرافضية عرفت في الجماعة التي امتنعت عن بيعة أبي بكر وهو خلاف المشهور بين المؤرخين لأن الذين امتنعوا عن بيعة

---

(١) يقول ابن أبي الحديد في المجلد الرابع – ج – ٢٠ – طبع دار الفكر بيروت (ان يزيد بن معاوية كان قد ولى الوليد بن عتبة على المدينة فسرح منها جيشا الى مكة لحرب ابن الزبير عليه عمرو بن الزبير فلما، تصاف القـــوم انهزم رجال عمرو واسلموه الى مظفر بن عبد الله فأقامه للناس بباب المسجد مجرداً ولم يزل يضربه بالسياط حتى مات .

وقد قال الضحاك بن فيروز الديلمي: يهجو ابن الزبير في قصيدة منها :

فلو كنت تجـــزي أو تثيب بنعمـــة ... قريبـــا لردتك البطـــون على عمرو

وأنت اذا مـــا نلت شيئا قضمتــه ... كما قضمت نار الغضـــا حطب الصدر

(٢) ابن الاثير في حوادث سنة ٧٣ .

(٣) ان هذه الاشاعات لتفريق تجمع الشيعة كانت تذاع بشتى الأساليب كلما أحس المناوئون لهم انهم بدأوا يتجمعون للمطالبة بحق آل البيت في الخلافة .

أبي بكر كانوا معروفين بشيعة علي عليه السلام فعلى الرأي الأول تكون الرافضية عرفت سنة ١٢٢ أي بعد قتل المختار بأكثر من نصف قرن . وعلى الرأي الثاني يكون المختار شيعياً أولاً وآخراً،لأن في أول أمره كان منقطعاً لبني هاشم وبنو هاشم كلهم من شيعة علي ، وأخيراً كان المختار من المطالبين بدم الحسين عليه السلام وهو دليل تشيعه .

الأمر الرابع : اتهم المختار بأنه كان قد اتخـــذ كرسي الامام علي عليه السلام بمثابة تابوت بني اسرائيل وكان يخرجه في مقدمة جيشه لتحريض جنده على القتال في حروبه التي اقامهم ضد المشتركين في وقعة كربلاء ، وهذه الرواية لا تختلف عن الروايات السابقة من حيث الوضع والانتحال وجهل الراوي لسيرة الامام علي عليه السلام فلو كان الواضع لهذه الاكذوبة يعرف قليلاً من حياة الامام الخاصة،وسيرته الصالحة،لما تجرأ على صياغة هذه الكذبة،ولم يقرن حياة الامام وسيرته بحياة غيره من الخلفاء الذين لزم بابهم وتمسك باعتـــابهم وسخر نفسه لأغراضهم مهما كانت الأغراض .

ان الراوي وقد اطلع على حياة أسياده في العصر الأموي وما كانوا يكتنزون من الذهب والفضة والرياش والفراش ومختلف وسائل الراحة والعيش الرغيد ، تصور ان الامام علياً عليه السلام كان أحدهم من عشاق الكراسي والارائك التي يجب ان تسع بيته وتحتل ديوان خلافته،فلم يدخل بيت علي الذي دخـــله أهل الكوفة الذين غاصروه وعاصروا المختار ، ولم يشاهد فيه ما شاهدوه من فراش الليف والحصر المصنوعة من خوص النخيل الذي كان يفترشه الامام .

ان علياً عليه السلام أيها الراوي لم يكن من أصحاب الكراسي والارائك والوسائد المحشوة بالرياش النادرة ، وأن الملتفين من حول المختار لم يكونوا ممن ينخدعون بهذه الأباطيل والبدع ولا هم كأمثالك كانوا يجهلون تَرفع الامام عن الجلوس على الكراسي فيضللهم بهذه الخديعة المختار بن أبي عبيدة الثقفي . ان من كان يلبس

الثوب المرقع حتى يستحي من راقعها ،لا من عدد رقعها ، ويختم على جراب قوته الذي لم يكن بأكثر من اقراص شعير بنخالته خشية ان يضيف أحدهم عليه من الشفقة قليلاً من السمن ، ان علياً الذي كان يرفع نعله ويقول للجماهير ان خلافتكم هذه أهون عليّ من هذا النعل ان لم أقم فيها عدلا .لم يكن من أصحاب الكراسي ولم يسمح لنفسه الجلوس عليها،فكيف سمح شيعة علي للمختار أن يخدعهم بهذه البدعة ولم ينكروا عليه ذلك،ثم إن المختار لم يكن بحاجة إلى ما يثير حماس الجماهير للأخذ بثأر الامام الحسين عليه السلام فالمسلمون جميعاً كانوا يترقبون من يقودهم إلى ذلك،والمسلمون أحبوا المختار لأنه أبلى في سبيل المطالبة بدم الحسين بلاءً حسناً [1] .

البداء – والرجعة :

الأمر الخامس (البداء) : من الأمور التي بالغ أعداء المختار في نسبتها إليه واعتبروها جريمة وقولاً باطلاً وعظموا خطرها وانكروها عليه ، هو أنه كان يقول – بالبداء – وانه كان أول من ابتدع القول بالبداء . ان كل من تهجم على المختار جعل أحد سهامه هـــذا القول واخرجه به عن الدين واعتبره مارقاً عن الاسلام دون ان يتعرف على عقائد الشيعة ويطلع على تعاليمهم وأحكامهم .

ان البداء أيها الرواة لم يبتدعه المختار ، ولم يظهر البداء في عهد المختار ، كما لم يكن وحده من الشيعة يقول به ، ان البداء في عقيدة الشيعة وغير الشيعة وان اختلفوا في تسميته معروفة وهي من الامور التي اكثر البحث فيه علمـــاء الشيعة قديماً وحديثاً ، وهو كما يعتقد به الشيعة لا يختلف عن النسخ الذي اتفق المسلمون على وجوده في الأحكام الشرعية بالاجماع كما نص عليه القرآن بقوله : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » .

---

(١) الاصابة في ترجمة المختار .

فالبداء كالنسخ من الامور التي تتعلق بتصرف الله في شئوون عباده، لا سيما في الأرزاق والأعمار والصحة والمرض وامثالهامن الامور القابلة للزيادة والنقصان والمنع والحرمان ، وبالتالي هي من الامور التي لا تستلزم نسبة الجهل لله تعالى بحقيقة الأشياء ولا يتعلق بتجديد علم الله في الشيء كأن يبدو له العلم في شيء كان يجهله ، ومثله كمثل النسخ في الأحكام التي شرعها الله ثم نسخها ، وليس في المسلمين من يقول ان الله كان يجهل الحكم الذي شرعه ولما حصل له العلم بصحته نسخه . لا يقول بذلك أي مسلم . ويعتبر الشيعة القائل بذلك كافر وجاهل لما يجب عليه ان يعرفه من ذات الله تعالى من الصفات الثبوتية والسلبية .

ان البداء ايها الرواة ، يستلزم الامور القابلة للزيادة والنقصان بسبب ما يقوم به الانسان من الأعمال والأقوال . فلله تعالى ان يزيد في عمر عبده تلطفاً منه وجزاء لعمل صالح قام به او ان ينقص من عمره أو يقلل من رزقه تأديباً أو تأنيباً أو عقوبة له بسبب عمل ارتكبه عبده وليس الجزاء من الله موكول بالآخرة فحسب . وليس في المسلمين من ينكر الأحاديث الواردة في الامور التي تسبب الزيادة في الرزق وطول العمر، وليس في الدنيا مؤمن بالله مهما كانت عقيدته ودينه لا يتضرع إلى الله في طلب كلما يعنيه من امور الدنيا والآخرة . ولقد أمر الله تعالى عباده على الاستجارة به ودعوته في كل وقت،لا سيما في الملمات والحرج والضيق « قل ادعوني استجب لكم » ، « أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء » ، « وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعاني » .

والقرآن مليء بالآيات الكريمة الناطقة بالدعوة والإستجارة والتوسل والتمسك بالله تعالى فالبداء عند الشيعة لا يخرج عن هذا المصداق ولا يتعدى قوله تعالى : « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب » .

فاذا كان الله تعالى قد حدد كل شيء وقدره وألزم به عبده بحيث لا يسعه

ان يغير أو يبدل أو يزيد أو ينقص في الشيء الذي حدده وقدره كانت الدعوة إليه باطلة ، والاستجارة به غير مجدية ، وكانت الأكف المرفوعة إلى الله تطلب منه الولد والرزق والسلامة والأمن والشفاء باطلة . وكانت الأفئدة التي تبعث الدعوات المنطلقة من الأكباد الحارة غير قابلة للاستجابة لأن الله قد قدر كل شيء وانتهى منه كل شيء ولزم الناس القول بالتعطيل أو الجبر . تعالى الله عما يقول الجاهلون .

فالبداء عند الشيعة كما حدده شيخ الفقهاء المفيد رحمه الله ـ في كتابه اكمال الدين واتمام النعمة ـ هو الزيادة في الآجال والأعمار والنقصان فيهما كما تقدم وهو ما لا يستلزم الامور الطبيعيـــة في ذات الله ولا الامور التي تستلزم القول بتجديد علم الله كما يقول الامام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام « من زعم ان الله عز وجل يبدو له في الشيء لم يعلمه امس فابرأوا منه » . فالبداء لم يكن من صنع المختار ولا من ابتكارات المختار بل هو عقيدة كل شيعي بل كل مسلم بل هو عقيدة كل من آمن بالله .

الرجعة : أما الذي أنكره المؤرخون على المختار من القول بالرجعة ـ فان هذا القول لم ينسب إلى المختار وحده وهو قول بعض علماء الشيعة الذين رأوا في تفسير بعض الآيات ما يدل عليها . وخالفهم بعض آخر .

والقول بالرجعة كان ولا يزال من الامور التي ينكرهـا على الشيعة خصومهم ويعتبرونها أحد أركان مذهب الشيعة ومن اصول عقيدتهم خلافاً للواقع والحقيقة التي دونها علماء الشيعة في موضوعها قديماً وحديثاً وأثبتوا بأنها لم تكن أصلا من أصول مذهب الشيعة ولا ركنا من أركان عقيدتها وإذ صح أن المختار كان يقوم بها فشأنه في ذلك شأن غيره من الشيعة القائلين به . ولا يعتبر قوله في الرجعة ما يحط من شأنه ويمس بعقيدته وإيمانه عند الشيعة لا سيا القائلين منهم بها .

أما عند خصوم الشيعة فهو سواء كغيره من الشيعة . فخصوم الشيعة كانوا ولا يزالون ينظرون إلى القائلين بها نظرة الاستنكار . ولو كان القائل بها سلمان الفارسي أو أبو ذر الغفاري . والأمر الذي يجب أن يلفت اليه هو أن المختار ابن أبي عبيدة لم يكن مبتدع البداء ولم يكن وحده يقول بالرجعة ان صح ما ذكروه عنه .

الأمر السادس: هو ما نسب الى المختار من القول بامامة محمد بن الحنفية وأنه كان يدعو اليه ويعتقد بأنه المهدي المنتظر وقد أرسله إلى الكوفة للطلب بدم الحسين عليه السلام وأنه كان أمينه ووزيره . هـــذا الأمر الذي ابتنى على أساسه مذهب الكيسانية الذي نحن بصدد البحث عنه وهذا الأمر يلزمنا أن نبحث فيه عن علاقة محمد بن الحنفية بالمختار وما قام به المختار من الأعمال في سبيل نجاح ثورته والأسباب التي حملت المختار بطلب دم الإمام الحسين عليه السلام وهل أن ثورته كانت منبعثة من القول بامامة محمد بن الحنفية والدعوة إلى امامته ؟ وأن محمدا كان قد أرسله إلى الكوفة بطلب دم أخيه الحسين عليه السلام وأنه كان وزيره وأمينه ؟ . فالبحث عن ذلك كله يلزمنا البحث عن ثورة المختار وما سبقتها من الحوادث التي هيئت الوقت المناسب للقيام بها .

ولما كان سبيل البحث الى ذلك هو التاريخ فقد اخترنا ـ الكامل في التاريخ ـ لابن الأثير الشيباني الجزري المتوفى سنة ٦٣٠ هـ ١٢٣٢ م ـ لأنه الجامع لتاريخ محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ ٩٢٣ م وغيره وهو من أهم المصادر التاريخية عند المؤرخين والباحثين ننقل منه فقط ما يتعلق بالموضوع دون التعرض إلى تفصيل الحوادث وما رافقت ثورة المختار من الحروب والمعــارك وغيرها من الامور الخارجة عن موضوع بحثنا هذا . ولما كانت ثورة المختار متممة لحركة ـ التوابين ـ وهي جزء منها نذكر من حوادثها ما يتعلق منه بموضوع بحثنا .

حركة التوابين :

يقول ابن الأثير في حوادث سنة ٦٤ – ذكر أمر التوابين

« لمـــا قتل الحسين ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة ودخل الكوفة تلاقته الشيعة بالتلاوة والمنادمة ورأت أن قد أخطـــأت خطأ كبيرا بادعائهم الحسين وتركهم نصرته واجابته حتى قتل إلى جانبهم ورأوا أنه لايغسل عارهم والإثم عنهم إلا قتل من قتله والقتل فيهم . فاجتمعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رؤساء الشيعة إلى سليمان بن صرد الخزاعي وكانت له صحبة، وإلى المسيب بن نجبة الفزاري وكان من أصحاب علي، وإلى عبد الله بن سعد بن نفيـــل الازدي، وإلى عبد الله بن وائل التميمي، وإلى رفاعة بن شداد البجلي، وكانوا من خيار أصحاب علي فاجتمعوا في منزل سليمان بن صرد فبدأهم المسيب بن نجبة فقال : بعد أن حمد الله أما بعد . فانا ابتلينا بطول العمر والتعرض لأنواع الفتن فنرغب إلى ربنا أن لا يجعلنا ممن يقول له غدا أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ؟ . فان امير المؤمنين علياً قال : العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة وليس فينا رجل إلا وقد بلغه وقد كنا مغرمين بتزكية أنفسنا فوجدنا الله كاذبين في كل موطن من مواطن ابن بنت رسول الله ﷺ وقد بلغنا قبل ذلك كتبه ورسله وأعذر الينا فسألنا نصره عودا على بدأ وعلانية فبخلنا عنه بأنفسنا حتى قتل الى جانبنا لا نحن نصرناه بأيدينا ولا جادلنا عنه بألسنتنا ولا قويناه بأموالنا ولا طلبنا له النصرة الى عشائرنا . فما عذرنا غدا عند ربنا وعند لقاء نبينا وقد قتل فينـــا ولد حبيبه وذريته ونسله لا والله لا عذر دون ان تقتلوا قاتله والمؤلبين عليه أو تقتلوا أنفسكم في طلب ذلك فعسى ربنا أن يرضى عنا عند ذلك .

أيها القوم ولوا عليكم رجلاً منكم فانه لابد لكم من أمير تفزعون إليه وراية تحفون بها . وقام رفاعة بن شداد وقال . أما بعد : فان الله قد هداك لا صوب

القول وبدأت بأرشد الامور بدعائك إلى جهاد الفاسقين وإلى التوبة من الذنب العظيم، فمسموع منك مستجاب إلى قولك . وقلت ولوا أمركم رجلا تفزعون إليه وتحفون برايته وقد رأينا مثل الذي رأيت فان تكن أنت ذلك الرجل تكن عندنا مرضياً وفينا مستحباً وفي جماعتنا محبوباً . وإن رأيت ورأى أصحابنا ذلك ولينا هذا الأمر شيخ الشيعة وصاحب رسول الله ﷺ وذا السابقة والقدم سليمان بن صرد الخزاعي المحمود في بأسه ودينه الموثوق بحزمه ، ثم تكلم عبد الله بن سعد نحو ذلك واثنى على المسيب وسليمان . وتكلم غيره ، فقال المسيب أصبتم فولوا أمركم سليمان . فتكلم سليمان فقال بعد أن حمد الله : أما بعد فاني لخائف ان لا يكون اخرنا إلى هذا الدهر الذي نكدت فيه المعيشة وعظمت فيه الرزية وشمل فيه الجور أولي الفضل من هذه الشيعة . انا كنا نمد أعناقنا إلى قدوم آل بيت نبينا محمد ﷺ نمنيهم النصر ونحثهم على القدوم فلما قدموا ونينا وعجزنا واذهلنا وتربصنا حتى قتل فينا ولد نبينا وسلالته وعصارته وبضعة من لحمه ودمه إذ جعل يستصرخ ويسأل النصف فلا يعطى اتخذه الفاسقون غرضاً للنبل ودريئة للرماح حتى أقصدوه وعدّوا عليه فسلبوه النصف . ألا فانهضوا فقد سخط الله عليكم ولا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتى يرضى الله والله ما أظنه راضيا دون ان تناجزوا من قتله . ألا لا تهابوا الموت فما هابه أحد قط إلا ذل وكونوا كبني إسرائيل إذ قال لهم نبيهم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم، فجثوا على الركب ومدوا الاعناق حين علموا أنهم لا ينجيهم من عظيم الذنب إلا القتل فكيف بكم لو دعيتم إلى ما دعوا ؟ أحدوا السيوف وركبوا الأسنة وأعدوا لهم ما استطعتم من القوة ومن رباط الخيل . فقال خالد بن سعد بن نفيل : أما أنا فوالله لو أعلم أنه ينجيني من ذنبي ويرضي ربي عني قتلي نفسي لقتلتها وأنا أشهد كل من حضر ان كل ما أصبحت أملكه سوى سلاحي الذي اقاتل به عدوي صدقة على المسلمين اقويهم به على قتال الفاسقين . وقال أبو المعتمر

بن حبس بن ربيعة الكناني مثل ذلك . فقال سليمان: حسبكم من أراد من هـذا شيئاً فليأت به عبد الله بن وائل فاذا اجتمع كل ما تريدون اخراجه جهزنا به ذوي الخلة والمسكنة من اشياعكم . وكتب سليمان بن صرد إلى سعد بن حذيفة ابن اليمان يعلمه بما عزموا عليه ويدعوه إلى مساعدتهم ومن معه من الشيعة بالمدائن فقرأ سعد على الشيعة كتاب سليمان فأجابوا إلى ذلك وكتبوا إلى سليمان يعلمونه انهم على الحركة إليه والمساعدة له . وكتب سليمان أيضاً إلى المثنى بن مخربة العبدي بالبصرة مثل ما كتب إلى سعد ، فأجابه المثنى أننا معشر الشيعة حمدنا الله على ما عزمتم عليه . ونحن موافوك ان شاء الله .

ابتدأت حركة التوابين بعد قتل الامام الحسين عليه السلام سنة ٦١ هـ وراح المنضمون إليها يجمعون السلاح ويدعون الناس في السر إلى الطلب بدم الحسين عليه السلام حتى سنة ٦٤ هـ التي مات فيها يزيد وطرد الكوفيون عمرو بن حريث الذي كان قد خلفه ابن زياد على الكوفة ، وبايع أهل الكوفة إلى عبدالله بن الزبير فبعث إليهم عبد الله بن يزيد الانصاري واليا وابراهيم بن محمد بن طلحة وكيلا على الخراج . وكان قد سبقهما المختار بن أبي عبيدة إلى الكوفة بأيام وراح يدعو الناس إلى قتال من اشترك في قتل الامام الحسين عليه السلام وقال . لمن اجتمع من حوله . جئتكم من عند المهدي محمد بن الحنفية أميناً ووزيراً وامرني بقتل الملحدين والطلب بدم آل البيت والدفع عن الضعفاء ، فكونوا أول خلق الله اجابة . فضربوا على يده وبايعوه وكان المختار يقول : ان سليمان بن صرد ليس له تجربة في الحرب ويريد ان يقتل نفسه ومن معه . وكان التوابون قد كشفوا عن حركتهم واعلنوها جهارا . فطلب عمر بن سعد وشبث بن ربعي وغيرهما من عبد الله بن يزيد والي الكوفة لعبد الله بن الزبير حبس المختار وخوفوه عاقبة أمر الخارجين للطلب بثأر الحسين عليه السلام لأنهم كانوا من قتلة الحسين . فقال لهم عبد الله ان هؤلاء يطلبون دم الحسين فرحم الله هؤلاء القوم فهم آمنون فليخرجوا ظاهرين ليسيروا إلى من قاتل الحسين فقد اقبل إليهم يريد بذلك

ابن زياد وأنا لهم ظهير . ثم قال هذا ابن زياد قاتل اخياركم وامثالكم قد توجه إليكم فالقتال والاستعداد أولى من ان تجعلوا بأسكم بينكم يقتل بعضكم بعضـــا ، وصار يحرضهم على قتال ابن زياد والاستعداد لقتاله » .

ويقول ابن الأثير في حوادث سنة ٦٥ « ولما عزم سليمان على المسير قال له عبد الله بن سعد بن نفيل اني رأيت رأياً ان يكن الصواب فالله الموفق وان لم يكن صواباً فمن قبلي أنا . انا قد خرجنا نطلب بدم الحسين وقتلته كلهم في الكوفة منهم عمر بن سعد ورؤساء الأرباع والقبائل اين نذهب من هنا وندع الأوتار؟ فقال أصحابه كلهم. هذا هو الرأي فخالفهم سليمان وقال: ان الذي قاتل الحسين وهيأ وعبأ الجنود إليه وقال له : لا أمان لك عندي دون ان تستسلم هو الفاسق بن الفاسق عبيد الله فسيروا إليه على بركة الله».

وحاول عبد الله بن يزيد على اقناع سليمان وأصحابه بالانضمام إليه والاقامة معه حتى يتهيأ هو للقتال فلم يرض سليمان بذلك فخرج هو وأصحابه إلى كربلاء، حيث زاروا قبر الامام الحسين عليه السلام وبكوا عنده ثم غادروه إلى لقاء جيش ابن زياد ».

يقول : ابن الأثير « لما التقى الجيشان بعضهم من بعض دعا أهل الشام التوابين إلى الجماعة على عبد الملك بن مروان ، ودعاهم سليمان إلى خلع عبد الملك وتسليم ابن زياد اليهم وانهم يخرجون أصحاب ابن الزبير من العراق ثم يرد الأمر إلى أهل البيت فلم يقبلوا ».

فكانت الوقعة المعروفة بين الفريقين في (عين التمر أو عين الورد) قتل فيها معظم التوابين واستشهد سليمان وتمكن رفاعة بن شداد ان ينسحب بالجرحى ومن قدر له الحياة من المعركة ورجع بهم إلى الكوفة ، ولقيهم في الطريق المثنى ابن مخربة العبدي الذي جاء بعدد كبير من شيعة البصرة وسعد بن حذيفة اليمان

ومعه جماعة من أهل المدائن فانضم بعضهم إلى بعض وجاءوا إلى الكوفة .

بدأت ثورة المختار من حيث انتهت معركة عين التمر وقتل من قتل في وقعتها وانضم المنسحبون ومن جاء من البصرة والمدائن إلى المختار بن أبي عبيدة الثقفي فنظم حركتهم وقلبها إلى ثورة عرفت باسمه .

ثورة المختار :

لم تكن فكرة المختار بأخذ الثأر الامام الحسين عليه‌السلام بنت ساعتها ولا هي من وحي التوابين وتجمع الشيعة في الكوفة للمطالبة بثـأر الحسين عليه‌السلام بل راودته فكرة الثورة وهو في سجن عبيد الله بن زياد الذي كان قد قبض عليه ولطم وجهه فشتر عينه بهذه اللطمة بعد اشتراكه مع مسلم في خروجه على ابن زياد قبل قدوم الامام الحسين (ع) سنة (٦٠) يقول ابن الأثير في حوادث سنة ٦٠ .

« إن المختار بعث إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب يسأله ان يشفع فيه وكان ابن عمر قد تزوج اخت المختار صفية بنت أبي عبيدة فكتب ابن عمر إلى يزيد يشفع فيه فأرسل يزيد إلى ابن زياد يأمره باطلاق سـراحه من الحبس فأطلقه وأمره ألا يقيم في الكوفة غير ثلاث ، خرج المختار إلى الحجاز فلقيه ابن العرق وراء « واقصة » فسلم عليه وسأله عن عينه فقال : خبطها ابن الزانية بالقضيب فصارت كما ترى . ثم قال قتلني الله ان لم أقطع أنامله وأعضائه اربا اربا ثم سأله المختار عن عبد الله بن الزبير فقال له : انه معتكف بالبيت وانه يبايع سراً ولو اشتدت شوكته وكثرت رجاله لظهر . فقال المختار : انه رجل العرب وان اتبع رأيي أكفه أمر الناس ان الفتنة أرعدت وأبرقت فاذا سمعت بمكان ظهرت به في عصابة من المسلمين اطلب بدم الشهيد المظلوم المقتول بالطف سيد المسلمين وابن سيد المسلمين وابن بنت سيد المرسلين وابن سيدها الحسين بن علي . فوربك

لأقتلن بقتله عدد من قتل على دم يحيى بن زكريا . ثم سار وابن العرق يعجب من كلامه قال ابن العرق: لقد رأيت ما ذكره وحدثت بذلك الحجاج بن يوسف فضحك فقال : لله دره أي رجل دينا ومسعر حرب » .

انتعشت فكرة أخذ الثأر للامام الحسين (ع) في قلب المختار بعد قتل الحسين (ع) حتى أصبح الشغل الشاغل له لا ينفك في ترديدها سراً وعلناً قبل ثورته . وكان يختار للتعبير عنها صناعة السجع وانتقاء الجمل والكلمات فاتخذ مناؤوه سجعه في ذلك مدعاة للسخرية فقال بعضهم : أنه كان يجـاري بذلك القرآن بعد ان نسب إليه القول بنزول الوحي عليه وادعائه النبوة . فعلى أي حال لم يكن دعوة المختار إلى الطلب بدم الحسين عفواً وارتجالاً أو كانت بنت ساعتها أو بوحي من الآخرين إليه .

اختلف المؤرخون في مجيء المختار إلى الكوفة فقال ابن الأثير: في حوادث سنة ٦٤ انه جاءها في النصف من شهر رمضان من هذه السنة قبل اسبوع واحد من مجيء عبد الله بن يد الأنصاري عاملاً لابن الزبير عليها وقال : في حوادث السنة نفسها جاء المختار إلى الكوفة بعد أن رأى ابن الزبير لا يستعمله وكان كلما قدم أحد من الكوفة يسأله عن حال الناس هناك فأخبره هاني بن جبة الوداعي باتساق أهل الكوفة على طاعة ابن الزبير إلا ان طائفة من الناس هم عددا أهلها لو كان لهم من يجمعهم على رأيهم أكل بهم الأرض . فقال المختار أنا أبو اسحاق أنا والله لهم أجمعهم على الحق وألقي بهم ركبان الباطل واهلك بهم كل جبار عنيد ثم ركب راحلته نحو الكوفة فدخلها فالتف من حوله جماعة من الشيعة فخطب فيهم وقال : بعد أن حمد الله ان المهدي[1] بن الوصي بعثني إليكم أميناً ووزيراً وأميراً وأمرني بقتل الملحدين والطلب بدم أهل بيته والدفع عن

(١) لم ترد كلمة المهدي فيما رواه اليعقوبي في ج ٣ - ص ٥ وذكر انه قال ان محمد ابن علي بن ابى طالب بعثني اليكم أميراً.

الضعفاء فكونوا أول خلق الله اجابة فضربوا على يده فبايعوه وبعث إلى الشيعة الذين التفوا من حول سليمان بن صرد وقال : لهم ان سليمان ليس له بصيرة في الحرب ولا تجربة بالامور وانما يريد ان يقتل نفسه ويقتلكم وأنا أعمل على مثال لي وأمر بين اقتل عدوكم واشفي صدوركم فاسمعوا قولي واطيعوا أمري».

يقول ابن الاثير « ولما خرج سليمان بن صرد لقتال ابن زياد اجتمع شبث بن ربعي وعمر بن سعد وعمرو بن حريث لعبد الله بن يزيد الخطمي الأنصاري وابراهيم بن طلحة وكان الأول عامل ابن الزبير على الكوفة فقالوا لهما ان المختار أشد عليكم من سليمان . ان سليمان خرج يقاتل عدوكم والمختار يريد ان يثب عليكم في مصركم فأرثقوه واسجنوه حتى يستقيم أمر الناس . فأخذوه بغتة فلما رآهم قال : مالكم لأظفرت أكفكم فقال ابراهيم بن طلحة: لعبد الله شده كتافاً وامشيه حافيا ، فقال : والله لا أفعل ذلك برجل لم يظهر لنا غدره وانما أخذناه على الظن . فأخذوا المختار وسجنوه وكان يقول في السجن . أما ورب البحار والنخيل والأشجار والمهامة والقفار والملائكة الأبرار والمصطفين الأخيار لأقتلن كل جبار . بكل لدن خطار ومهند بتار بجموع الأنصار حتى إذا اقمت عمود الدين وزايلت شعب صدع المسلمين وشفيت غليل صدور المؤمنين وأدركت ثار النبيين لم يكبر علي زوال الدنيا ولم احفل بالموت إذا أتى[1] »

مكث المختار في السجن حتى سنة ٦٦ يقول ابن الأثير في حوادث السنة المذكورة « لما قتل سليمان بن صرد الخزاعي قدم من بقي من أصحابه الكوفة فوجدوا المختار محبوساً كما تقدم فكتب إليهم من الحبس يثني عليهم ويمنيهم الظفر ويعرفهم أنه هو الذي أرسله محمد بن علي المعروف بابن الحنفية بطلب الثأر فقرأ كتابه رفاعة بن شداد والمثنى بن مخربة العبدي وسعد بن حذيفة

---

(١) أوردنا هذه الكلمات من قول المختار لنعرض على القارىء نوعاً من سجع المختار الذي قيل انه كان يجاري بين القرآن والعياذ بالله .

وزيد بن أنس وعبد الله بن شداد وعبد الله بن كامل فبعثوا إليه ابن كامل يقول له أننا بحيث يسرك فان شئت أن نأتيك ونخرجك من الحبس فعلنا ، فلما جاء إليه ابن كامل وأخبره بذلك سر وقال : إني سأخرج في أيامي هذه ، وكان المختار قد أرسل إلى ابن عمر يقول له : حبست مظلوماً ويطالب إليه ان يشفع فيه عند عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة فكتب إليهما ابن عمـــر فشفعاه فخرج من السجن . فصارت الشيعة تختلف إليه وتتجمع من حـــوله واتفقوا على الرضا به ولم يزل أصحـابه يتكاثرون وأمره يقوى حتى عزل ابن الزبير عبد الله بن يزيد وولى على الكوفة عبد الله بن مطيع أخذ المختـــار وأصحابه يستعدون للخروج ويترقبون الفرصة الملائمة لخروجهم .

وقبل اعلان المختار ثورته إلتقى عبد الرحمن بن شريح الشبامي من همدان بسعيد بن منقذ الثوري ومسعر بن سعر الحنفي والاسود بن جراد الكندي وقدامة بن مالك الجشمي فقال لهم . إن المختار يريد بنا الخروج فما ندري أرسله محمد بن الحنفية أم لا؟ قوموا بنا إلى محمد بن الحنفية نخبره بما قدم به إلينا فإن رخص لنا في إتباعه تبعناه وان نهانا عنه اجتنبناه ،فوالله ماينبغي أن يكون شيء من الدنيا آثر عندنا من سلامة ديننا . قالوا له أصبت . فخرجوا إلى محمـد ابن الحنفية فلما دخلوا عليه سألهم عن حال الناس فأخبروه عن مالهم وما هم عليه واعلموه حال المختار وما دعاهم إليه فاستأذنوه في اتباعه . فلما فرغوا حمد الله محمد بن الحنفية واثنى عليه وذكر فضيـــلة آل البيت والمصيبة بقتل الحسين (ع) ثم قال لهم . « أما ما ذكرتم ممن دعاكم إلى الطلب بدمائنا فوالله لوددت ان الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه » فرجعوا إلى الكوفة . ودخلوا على المختـــار فأخبروه بأمرهم وكان الشيعة ينتظرون قدومهم فسر المختار والشيعة بذلك .

قال بعض أصحاب المختار له ان اشراف الكوفة مجمعون على قتالنا مع عبد الله بن مطيع فان اجابنا ابراهيم بن مالك الاشتر رجونا القوة على عدونا

فانه فتى ورئيس وابن رجل شريف له عشيرة ذات عز وعدد فقال لهم المختار ألقوه وأدعوه فخرج إليه جماعة منهم فأخبروه بعزمهم وسألوه مساعدتهم فلم يجبهم .

وبعد ثلاثة أيام مشى إليه المختار في بضعة عشر من أصحابه ومنهم الشعبي فدخلوا عليه فألقى لهم الوسائد فجلسوا عليها وجلس المختار معه على فراشه فقال له المختار هذا كتاب من المهدى محمد بن علي امير المؤمنين وهو خير اهل الأرض وابن خير أهلها قبل اليوم بعد أنبياء الله ورسله. وهو يسألك أن تنصرنا وتؤازرنا . قال الشعبي : كان الكتاب معي . فقال المختار : ادفع إليه الكتاب فقرأ ابراهيم فاذا فيه (من محمد المهدي إلى ابراهيم بن مالك الاشتر سلام عليك فاني احمد الله إليك الذي لا إله إلا هو . أما بعد فاني قد بعثت إليكم وزيري واميني الذي ارتضيته لنفسي وامرته بقتال عدوي والطلب بدماء أهل بيتي فانهض معهم بنفسك وعشيرتك ومن اطاعك فانك ان تنصرني واجبت دعوتي كانت لك بذلك عندي فضيلة ولك اعنة الخيل وكل جيش غاز وكل مصر ومنبر وثغر ظهرت عليه فيما بين الكوفة واقصى بلاد الشام » .

فلما فرغ ابراهيم من تلاوة الكتاب ، قال : قد كتب إلي محمد بن الحنفية قبل هذا فلم يكتب إلا باسمه واسم أبيه : قال : المختار . إن ذلك زمان وهذا زمان ، قال : فمن يعلم ان هذا كتابه فشهد جماعة على ذلك فتأخر ابراهيم عن صدر الفراش واجلس المختار عليه وبايعه) .

خرج المختـــــار وأعلن الثورة في الكوفة ، وكانت اول معركة له معركة (القصر) فانتصر فيها وطرد عامل ابن الزبير عبد الله بن مطيع من الكوفة واحتل قصر الامارة بعد معركة دامية ونزل القصر وأمن المحاصرين فيه واجتمع اشراف الكوفة في المسجد وعلى باب القصر . فخرج المختار إلى المسجد وصعد لمنبر فخطب في الناس . وقال : في ختامه ادخلوا أيها الناس فبايعوا بيعة هدى

فلا والذي حمل السماء سقفاً محفوظاً ما بايعتم بعد بيعة علي بن أبي طالب وآل علي اهدى منها ، ثم نزل ودخل عليه اشراف الكوفة فبايعوه على كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدماء أهل البيت وجهاد المحلين والدفع عن الضعفاء وقتال من قاتلنا وسلم من سالمنا .

ويروي اليعقوبي في هذه الحادثة أنه دعا الناس إلى البيعة لآل الرسول[1] . واقبل المختار يمني الناس ويستجر مودة الاشراف ويحسن السيرة حتى أنه بعث إلى عبد الله بن مطيع عامل ابن الزبير وكان قد اختفى في دار أبي موسى بمائة ألف درهم وقال : تجهز بها وقد علمت مكانك وانك لم يمنعك من الخروج إلا عدم النفقة .

خضعت الكوفة وما جاورها والموصل وما جاورها للمختار وراح يتعقب قتلة الحسين (ع) كما جهز لملاقات ابن زياد وقد بلغه انه قد توجه إلى العراق جعل قيادته إلى زيد بن أنس ثم أمده بابراهيم بن مالك الاشتر ومعه سبعة آلاف مقاتل واسند القيادة إليه .

ولما خرج ابراهيم اجتمع اشراف الكوفة كما يعبر عنهم التاريخ عند شبث ابن ربعي وقالوا له ان المختار تآمر علينا بغير رضاء منا وحمل موالينا على الدواب وأعطاهم فيئنا . وكان شبث شيخهم جاهلياً اسلامياً فقال لهم : دعوني حتى ألقاه . فذهب إلى المختار فلم يدع شيئاً أنكروه إلا واخبروه وأخذ لا يذكر شيئاً للمختار إلا وقال له المختار أنا أرضيهم في هذه الخصلة وأني لهم كل ما يحبون . ثم قال المختار : ان انا تركت لكم مواليكم وجعلت فيأكم لكم تقاتلون معي بني امية وابن الزبير ؟ وتعطوني على الوفاء عهد الله وميثاقه إليه من الايمان ؟ قال شبث حتى أخرج إليهم واذكر لهم ذلك ، فرجع إلى أصحابه

(١) اليعقوبي في ج - ٣ ص ٦ ، ابن الاثير في حوادث سنة ٦٧ .

ولم يعد إليه واجمعوا على قتال المختار وراح كل من شمر بن ذي الجوشن ومحمد ابن الاشعث وشبث الربعي وسعيد بن قيس وعمر بن سعد وكان قد تولى قيادة جيش يزيد في حرب الحسين (ع) يتهيئون لقتال المختار . ولما سار ابراهيم من معسكره بحمام العليل ثاروا على المختار ، لما علم المختار بخروجهم أرسل رسولا مسرعاً الى ابراهيم يطلب اليه العودة ودخـــل في مفاوضتهم على الأسباب التي حملتهم بالخروج عليه فقالوا له : انك زعمت بأن محمد بن الحنفية بعثك الينـا ولم يبعثك فاعتزل أمرنا ، فقال : لهم . ارسلوا الى محمد بن الحنفية بذلك من قبلكم وأرسل اليه أنا وافـــداً ثم ننظر في ذلك . وكان قصده من ذلك يريثهم بذلك حتى يقدم عليه ابراهيم فأرسلوا الى محمد بن الحنفية وكف الفريقان عن البدأ في القتال حتى قدم ابراهيم ،وكان قد لقيـــه رسول المختار في ساباط المدائن فرجع بجنده فوقعت المعركة الفاصلة انتصر فيها المختار فقتل من رؤساء وأشراف الكوفة عدداً كبيراً وانهزم محمد بن الاشعث وشبث بن الربعي وزجر بن قيس وعدد من رؤساء الكوفة والتحقوا بمصعب بن الزبير في البصرة وحملوه على قتال المختار .

وحدث بعد أن انتصر المختار في الكوفة ان جمع عبد الله بن الزبير عدداً من بني هاشم وفيهم عبد الله بن العباس ومحمد بن الحنفية في حجرة زمزم وقيل في الشعب وحلف بالله ان لم يبايعوه أحرقهم جميعاً . فكتب ابن الحنفية إلى المختار (من محمد الحنفية ومن قبله من بني هاشم إلى المختار بن أبي عبيدة الثقفي ومن قبله من المسلمين . ان ابن الزبير حبسنا في حجرة زمزم وحلف بالله لنبايعه أو ليحرقها علينا فواغوثاه [1]) .

---

(١) ان نص الكتاب الذي أرسله محمد الى المختـــار نقلناه عن تاريخ اليعقوبي الجزء الثالث ص ٨ لأن ابن الاثير أشار اليه مجملا وذكر الكتاب مفصلا في حوادث سنة ٦٦ .

فأرسل المختار عدداً من قواده مع كل واحد منهم عدداً من المقاتلة إلى مكة فأخرجوا محمد ومن معه من الهاشميين من حبس ابن الزبير وطلبوا من محمد ان يخلي بينهم وبين ابن الزبير. فقال: لهم اني لا أستحل القتال في الحرم. فخرج محمد ومن معه إلى الشعب ولم يأذن لمن جاءه بقتال ابن الزبير.

لقد حدث لمحمد وبني هاشم أيام دعوة ابن الزبير بالخلافة من الحـــوادث المؤسفة كثيراً ذكرها المؤرخون مفصلاً ومنهم ابن الاثير في حوادث سنة ٦٦ اختصرنا من ذلك ما يتعلق منه بموضوعنا.

وذكر ابن الاثير في حوادث السنة ٦٦ « ان المختار بن أبي عبيدة الثقفي لما بلغه أن عبد الملك بن مروان أرسل جيشا لقتال ابن الزبير كتب إلى ابن الزبير بلغني ان ابن مروان بعث اليك جيشا فان أحببت أمددتك بمدد. فكتب اليه ان كنت على طاعتي فبايع لي الناس من قِبلَكَ وعجـــل بانفاذ الجيش ومرهم يسيروا إلى من بوادي قرى من جنـــد ابن مروان فليقاتلوهم والسلام) فدعا المختار شرحبيل بن ورس الهمداني فسيره في ثلاثة آلاف أكثرهم من الموالي وقال له: سر حتى تدخل المدينة فان دخلتها اكتب الي بذلك حتى يأتيك أمري. وهو يريد إذا دخلوا المدينة أن يبعث عليهم أميراً. ثم يأمر ابن ورس بمحاصرة ابن الزبير بمكة وخشي ابن الزبير أن يكون المختار انما يكيده، بذلك. فبعث من مكة عباس بن سهيل بن سعد في الفين من رجاله وأمره أن يستنصر الأعراب وقال له: ان رأيت القوم على طاعتي وإلا فكايدهم حتى تهلكهم. فأقبل عباس بن سهيل حتى لقي بن ورس بالرقيم وقد عبأ ابن ورس اصحابه فدنا منهم وسلم عليهم وقال لابن ورس سر ألستم على طاعة ابن الزبير؟ قال ابن ورس: بلى، قال: فسر بنا إلى عدوه بذي القرى، فقال ابن ورس: ما أمرت بطاعتكم وانما أمرت ان آتي المدينة فاذا أتيتها رأيت رأيي. فقال له عباس. ان كنتم على طاعة ابن الزبير فانه أمرني أن أسير معكم إلى وادي

القرى فقال له : لا أتبعك حتى آتي المدينة وأكتب إلى صاحبي فيأمرني بأمره . فقال له عباس : رأيك أفضل . وفطن لما يريد . فنزل عباس ومن معه وأرسل إلى ابن ورس بجزائر وغنم مسلخة ولما اشتغلوا بها جمع عباس أصحابه فهجم على فسطاط ابن ورس ونشبت بين الفريقين معركة فقتل ابن ورس ورفع عباس راية الأمان فأتاها أصحاب المختار إلا قليلا منهم قتلهم عباس ، ولما بلغ المختار ذلك كتب إلى محمد بن الحنفية يقول : له « اني أرسلت اليك جيشاً ليذلوا لك الاعداء ويحرزوا البلاد . فلما قاربوا الطيبة فعل بهم كذا وكذا ، فان رأيت بعثت اليك جيشاً كثيفاً وتبعث اليهم من قبلك رجلا حتى يعلموا أني في طاعتك، فافعل فانك ستجدهم بحقكم أعرف وبكم أهل البيت ارأف منهم بآل الزبير والسلام » .

فكتب اليه محمد بن الحنفية (أما بعد . فقد قرأت كتابك وعرفت تعظيمك لحقي وما تنوه به من سروري وأن أحب الامور كلها الى ما أطيع الله فيه ، فأطع الله ما استطعت واني لو أردت القتال لوجدت الناس الى سراعا والأعوان كثيرة ولكن اعتز لكم وأصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين) .

وذكر ابن الاثير في قتل المختار لعمر بن سعد في حوادث سنة ٦٦هـ قال . (كان السبب في قتل المختار لعمر بن سعد ان مزيد بن شرحبيل الانصاري أتى محمد بن الحنفية وسلم عليه وجرى الحديث بينهما إلى أن تذاكر المختار فقال ابن الحنفية : انه يزعم بأنه شيعة لنا وقتلة الحسين عنده على الكراسي يحدثونه !! فلما عاد يزيد أخبر المختار بذلك فقتل عمر بن سعد وابنه وبعث برأسيهما الى ابن الحنفية وكتب اليه أنه قد قتل من قدر عليه وأنه في طلب الباقين ممن حضر

قتل الحسين ، وقيل بعث برأسه إلى الامام السجاد وهو المشهور .

نكتفي بالقدر الذي اجملنـــاه من ثورة المختار ونترك لمن أراد التفصيل مراجعة التاريخ فالذي أوردناه هو كل ما ورد في ثورة المختار من ألفها إلى يائها بما يتعلق منها بمحمد بن الحنفية الذي اعتبره المبتدعون للكيسانية امامها الأول بعد علي (ع) أو المهدي المنتظر .

لقد حصر الرواة والمؤرخون علاقة محمد بن الحنفية بالمختار بن أبي عبيدة الثقفي في الرسائل الثلاثة التي تقدم ذكرها . ولو دققنا النظر فيها وأضفنا إلى ذلك لقاء محمد بن الحنفية بوفد الكوفة والحديث الذي دار بينه وبين يزيد بن شرحبيل المتعلق بمجالسة المختار لقتلة الامام الحسين في ديوانه والأعمال التي رافقت ثورة المختار والتي سبقت ثورته وعرفنا سيرة ابن الحنفية لخرجنا بنتائج واضحة لا تمت بأية صلة بين ثورة المختار والدعوة إلى امامـــة محمد بن الحنفية ولوجدنا ابن الحنفية من أبعد الناس عن المطالبة بالامامة والخلافـة سواء أكانت عن طريق النص أو عن طريق القوة . وأن المختار لم يكن في يوم من الأيام ليدعو بها اليه ،وأن كل ما نسب اليه من دعوة وقول هومن وضع المناوئين للشيعة للتشكيك بعقيدتهم والتشهير بثورة المختار الذي أطاح بأركان الدولة الأموية واحتل الكوفة التي كانت قد بايعت لابن الزبير بعد هـــلاك يزيد كما سبق أن أشرنا اليه ثم جاءت العباسية فاتخذت من هـــذا التشهير سبيلاً سهلاً إلى تحقيق أغراضها وتركيز دعوتها على أساسها الخيالي الموهوم وبعد أن تم بها لهـــا كل ما قصدتها من الأغراض والغايات عمدت الى ابطالها والاعلان عن زيفها واختلاقها كما سيأتي .

وإلى القارىء والتاريخ نذكر بعض النتائج التي توصلنا اليها من بحثنا عن ثورة المختار التي قيل ان الكيسانية قد ظهرت في خلالها على يد المختار الذي

لقب بكيسان على رأى بعضهم أو على يد أحد المتحمسين من اتباعه الذي عرف بكيسان ابن أبي عمرة على رأي الآخرين واتخذ مبتدعوها من القول بامامة ابن الحنفية أساساً لمذهبها وخططوا لها اصولا وفروعا ونسبوا اليها اتباعاً ووضعوا لها مقالات شهدت بنفسها على نفسها بالكذب والوضع والاختلاق.

علاقة محمد بن الحنفية بالمختار

النتيجة الاولى :

لو استثنينا الكتاب المنسوب لمحمد بن الحنفية الذي قيل أنه بعثه إلى ابراهيم ابن مالك الاشتر لما وجدنا في الكتابين الآخرين ما يشير إلى أن محمدا قد نصب نفسه اماما أو خليفة على المسلمين أو أنه زعم بأنه المهدي وان المختار كان من القائلين بامامته أو الداعين اليها ، أو أنه كان عاملاً أو أميراً أو وزيراً من قبل ابن الحنفية على الكوفة أوأن محمدا طلب منه أن يأخذ بثأر أخيه الامام الحسين ومن قتل معه من اخوته واولاد اخوته في حادثة كربلاء .

فالكتاب الذي أرسله محمد من سجنه إلى المختار يشكو فيه ما لقيه هو وجماعة من بني هاشم من الظلم على يد ابن الزبير لا يدل على أكثر من ان محمداً استنجد بالمختار ومن قبله من أهل الكوفة واستغاث بهم . فالكتاب لم يعنون من المهدي أو الوصي أو أمير المؤمنين إلى عامله أو وزيره أو أمينه المختار كما كان جاريا في عهده بين الخلفاء والولاة من قبلهم .

أما الكتاب الثاني الذي كان قد أرسله محمد الى المختار يجيبه على كتابه بعد حادثة ابن ورس فهو كسابقه خال من صفة المهدي والوصي وفيه أكثر من دليل الرد على ما افتراه عليه المؤرخون من دعوى الامامة والمهدوية ومنه يفهم أن

محمداً لم يدع الناس إلى امامته وما كان يريدها كما لا يريد القتال من أجلها وأنه لو كان قد طلبها لوجد الناس اليه سراعا والأعوان كثيرة وأنه قد اعتزل أمر الناس وفيه يطلب من المختار أن يكف عن اراقة الدماء .

أما الكتاب الذي قيل ان محمد بن الحنفية كان قد بعثه بواسطة المختار إلى ابراهيم بن مالك الاشتر فهو مفتعل ومكذوب عليه للامور الآتية :

أولا - أن الراوي لهذا الكتاب هو الشعبي الذي كان من أعداء المختار وأن عده بعضهم في عداد الثقاة . يقول ابن الأثير « كان بين المختار والشعبي ما يوجب ان لا يسمع كلام أحدهما في الآخر كما يقول صاحب الاصابة في ترجمة المختار .

ثانياً - ان الكتابين التاليين الصادرين من محمد إلى المختار والذي تقدم ذكرهما يؤيدان اختلافه لخلوهما من الصفة التي نعت بها ابن الحنفية نفسه في هذا الكتاب وهي (المهدي) فلو صح نسبة هذا الكتاب اليه وأنه كان يلقب نفسه بها لذكر ذلك في الكتابين التاليين له لا سيما وأن الكوفة قد خضعت له واستولى عليها عامله المزعوم المختار وأصبح له فيها أتباع وأشياع وأنصار .

ثالثا - لو صح أن محمدا كان يلقب نفسه بالمهدي وأن المختار كان أمينه ووزيره لقال ذلك للوفد الذي جاء يستأذن منه مشايعة المختار قبل خروجه وقبل أن يفكر المختار وجماعته في أمر انضمام ابراهيم إلى ثورتهم .

رابعا - أن عـــدو المختار الشعبي الذي كان يحمل كتاب محمد بن الحنفية لا شك في أنه هو الذي وضع هذا الكتاب إلا أنه لم يوفـق في وضعه وصياغته ولم يفكر في أن مدة ثلاثة أيام وهي المدة بين امتناع ابراهيم من اجابة طلب جماعة المختار وبين أن مشى اليه المختار بنفسه ومعه بعض أتباعه ومنهم الراوي الشعبي الذي كان يحمل الكتاب إلى ابراهيم من محمد أن هذه المدة

بالنسبة للمواصلات الحديثة غير كافية لأن يخبر المختار في الكوفة محمداً وهو بمكة عن امتناع ابراهيم ويطلب منه أن يكتب اليه هذا الكتاب وما بين الكوفة ومكة ما يزيد على الف كيلو متر وسبيل المواصلات في ذلك الوقت لم تعد الابل والخيل والبغال .

خامسا – أليس من الامور المضحكة أن ينسب لمحمد أنه وهب لابراهيم بن مالك كل جند وثغر ومنبر ما بين الكوفة إلى أقصى بلاد الشام في سبيل أن ينصر عامله، فيتجاوز بهذا الشرط الشرط الذي قطعه معاوية لعمرو بن العاص لما طلب منه أن يساعده ويعينه على حرب الامام علي (ع) ؟ ذلك الشرط الذي استنكره المسلمون ومن جملتهم ابن الحنفية الذي لم يكن بعيداً ولا غائباً عن شرط معاوية لعمرو بن العاص .

النتيجة الثانية :

ان لقائين لا ثالث لهما تم بين محمد بن الحنفية وبين أصحاب المختار .

اللقاء الأول كان لقاء وفد الكوفة الذي جاء يستأذنه في اتباع المختار للطلب بدم الامام الحسين وكان كما تقدم لقاء مكشوفاً والحديث الذي دار بين محمد والوفد متفق عليه حديثاً ورواية فليس في قول محمد الذي لم يتجاوز « أما ما ذكرتم ممن دعاكم إلى الطلب بدمائنا فوالله لوددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه » كما يقول ابن الاثير أو كما يرويه اليعقوبي في الجزء الثالث « ما أحب الينا من طلب بثأرنا وأخذ لنا بحقنا وقتل عدونا » فلم ينطق محمد بأكثر من ذلك ولم يشر حتى إلى اسم المختار . فلو كان المختار وزيره وأمينه، وأنه كان قد أرسله إلى الكوفة وولاه أمر المطالبة بدم الحسين (ع) ولا أشار إلى ذلك ولو عن طريق خفي إذا كان يخشى الجهر بذلك .

واللقاء الثاني كان بين محمد بن الحنفية ويزيد بن شرحبيل وفيه راح محمد

يشكو من أمر المختار الذي سمح لقتلة الحسين (ع) ان يحتلوا الكراسي في ديوانه . وردّ فيه على زعم المختار بأنه من شيعته . فلو كان المختار أمينه ووزيره والداعي اليه لما صدر من محمد هذا التشكي والضجر من أعمال المختار وكان في وسعه أن يعزله أو ينذره أو يوبخه إذا كان يصعب عليه عزله وتنحيته عن الكوفة .

ان التاريخ لم يذكر لنا غير هذين اللقائين والكتب الثلاثة التي هي كل ماذكره المؤرخون من علاقة المختار بمحمد بن الحنفية أثناء قيامه بالثورة في الكوفة ولم يحدثنا التاريخ عن لقاء مباشر تم بين المختار وبين محمد لا قبل ثورة المختار ولا في أثنائها ولا بعد أن خضعت الكوفة لحكمه .

النتيجة الثالثة :

كانت العادة المتبعة في عهد الخلفاء الراشدين الأمويين ومن طالب بالخلافة كعبد الله بن الزبير أن الولاة من قبلهم على المدن والمقاطعات بعد أن يعلنوا عن ولايتهم من قبل الخلفاء في اجتماع عام يعقدوه في المسجد الأعظم يطلبون من الناس البيعة للخليفة إذا لم يكن الناس قد بايعوه ثم لا يقطعون أمراً هاماً كاعلان الحرب والهدنة واخماد الثورات وتوثيق العهود إلا بعد تلقي الأمر من الخليفة ،وكانت العادة أن تعنون المراسلات من الخلفاء والولاة وسائر الناس من (امير المؤمنين إلى عامله فلان) وإلى (امير المؤمنين من عامله فلان) العادة التي لم يتخذها المختار في قدومه إلى الكوفة واعلانه الحرب ضد قتلة الحسين ولم يراعيها محمد في مراسلاته للمختار كما تقدم .

فاذا جاز للمختار وهو رسول ابن الحنفية كما يزعم المؤرخون والرواة أن يكتفي بالقول أمام بعض الشيعة أنه رسول من قبل محمد بطلب دم الحسين فلا يجوز له بأي حال من الأحوال أن يتجاهل دعوة الناس إلى البيعة له ان صح زعم القائلين بأنه كان يدعو إلى امامته وقد تقدم ان المختار بعد أن جاء

الكوفة واجتمع اليه نفر من الشيعة فخطبهم قال (ان المهـدي بن الوصي بعثني اليـكم أميراً ووزيراً وأميناً وأمرني بقتل الملحدين والطلب بدم أهل بيته والدفع عن الضعفاء فضربوا على يده وبايعوه) فلم نعثر على رواية تقـول ان بيعة الناس للمختار كانت لمحمد بن الحنفية . وفي رواية اليعقوبي ان محمد بن علي بعثني اليكم ولم يذكر اسم المهدي والوصي .

ولما احتل المختار قصر الامـــارة واجتمع اليه أشراف ورؤساء الكوفة وخطبهم وطلب منهم البيعة كانت صيغة المبايعة (تبايعوني على كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدم أهل البيت وجهاد المحلين والدفع عن الضعفاء وقتال من قاتلنا وسلم من سالمنا فبايعوه على ذلك).

أو كما يقول اليعقوبي أنه دعا النـــاس إلى البيعة فبايعوا لآل الرسول ومحمد لم يكن عند الشيعـة من المشمولين بآل الرسول المنصوص عليهم في آية التطهـــير .

فصيغة البيعة في كلا البيعتين لم تتعرض لبيعة الامام الذي جاء يدعو الناس الى امامته وهذا إن دل على شيء فهو لا يدل على ان المختار جاء الكوفة يدعو الى امامة محمد بن الحنفية ،أو ان محمداً كان قد أرسله للدعوة له لا سيما في البيعة الثانية . وعلى فرض اهمال المختار أمر البيعة لمحمد أو تجاهله عمداً فان كان محمد حقاً يدعو الى نفسه كان له موقف من المختار أقل ما فيه طرده وعزله من الكوفة .

النتيجة الرابعة :

ان قيام المختار بطلب دم الامام الحسين عليه السلام لم يكن بأمر محمد بن الحنفية ولا بأمر غيره وانما كان المختار قد تبنى فكرتها بعد أن أطلق ابن زياد سراحه من السجن في عهد يزيد بعد حادثة الطف كما تقدم ، وقد اظهرها لابن العرق في

طريقه الى المدينة . راجع حوادث سنة ٦٥ من كتاب الكامل لابن الاثير . ولما هلك يزيد بن معاوية ورفع الشيعة شعار طلب الثأر للحسين عليه السلام أسرع الى الكوفة وكان دخوله اليها قبل أن يرسل ابن الزبير عليها والياً من قبله . ففي حوادث سنة ٦٤ في الكامل لابن الاثير ان المختار جاء الكوفة في النصف من شهر رمضان من هذه السنة قبل اسبوع واحد من مجيىء عبد الله بن يزيد عاملا لابن الزبير عليها أي بعد موت يزيد بستة أشهر لأن هلاكه كان في ١٤ ربيع الأول سنة ٦٤ فوجد المختار في قيام الشيعة ما يحقق فكرته، وطلب من الشيعة الذين انضموا إلى حركة التوابين ان يستجيبوا له لأنه أقدر على قيادة الحركة وان سليمان لم يكن له دراية في الحرب وكان من أمره وأمر التوابين ما تقدم ذكره .

النتيجة الخامسة :

ان التاريخ لم يحدثنا عن شقاق وخلاف حدث للشيعة بسبب الامامة بعد الامام علي والامام الحسن ولا عرف للمختار وغيره موقف يخالف موقف الشيعة في الامامة بعد علي عليه السلام وبعد الحسن . وكان المختار في طليعة من كان يحرض الناس على البيعة للامام الحسين ولما قدم مسلم يأخذ له البيعة من أهل الكوفة نزل على المختار كما تقدم فلو ان المختار كان يقول بامامة محمد بن الحنفية لحدثنا التاريخ المرتب على حوادث السنين بذلك ولما حرّض المختار بنفسه الناس على بيعة الحسين . .

النتيجة السادسة :

لقد أعلن المختار في آخر ساعة من حياته عن السبب الذي حمله على القيام بطلب دم الحسين عليه السلام . يقول ابن الاثير في حوادث سنة ٦٧ (مقتل المختار) .

« قال المختار للسائب بن مالك الأشعري بعد أن استعد للقتال بمفرده ماذا ترى ؟ فقال له السائب ماذا ترى أنت ؟ قال المختار ويحك يا أحمق انما أنا رجل من العرب رأيت ابن الزبير قد وثب في الحجاز ورأيت نجدة وثب باليمامة ورأيت مروان وثب بالشام وكنت فيها كأحدهم إلا اني قد طلبت بثأر أهل البيت إذ نامت العرب عنه فقاتل على حسبك ان لم تكن لك نية . فقال السائب انا لله وانا اليه راجعون . ثم تقدم المختار فقاتل حتى قتل » .

النتيجة السابعة :

ان ما نسب الى المختار من القول بامامة محمد بن الحنفية وانه كان يرى فيه انه المهدي المنتظر يكذبه من جهة محمد بن الحنفية عدم ادعاءه الامامة كما أوضح ذلك في كتابه الأخير للمختار الذي يقول فيه انه اعتزل أمر الناس الخ . ويكذبه من جانب المختار عدم دعوة الناس بعد ان احتل الكوفة الى بيعة محمد .

أما وصف المختار لمحمد بأنه المهدي فعلى فرض صحته لا يخرج عن كونه كان يصفه بصفة مشهورة في اللغة العربية ومنحوتة من كلمة هدى يهدي مهدي مهتدي . ومفهومها معروف ومستعمل في الصفات والنعوت وانها لم تطلق ويراد منها المهدي المنتظر على وجه التخصيص فقد وصف حسان بن ثابت النبي ﷺ بذلك في قصيدته ، ومنها .

ما بال عينك لا تنام كأنما كحلت مآقيها بكحل الأرمد

جزعا على المهدي أصبح ثاويا يا خير من وطىء الحصى لا تبعد

وكان المهدي من صفات الامام علي كان يدعوه بها اصحابه وقد وصف التوابون الامام الحسين بها ، وذلك لما خرجوا لملاقات جيش ابن زياد جاءوا إلى كربلاء وتجمعوا على قبر الحسين عليه السلام وراحوا يبكون عند قبره وهم يقولون

(اللهم أرحم حسينا الشهيد بن الشهيد المهدي بن المهدي الصديق بن الصديق الخ . .) فلم يأخذ عليهم أحد هذا النعت ولم يعرف منهم أنهم كانوا يقصدون بقولهم هذا أنه كان المهدي المنتظر ،لقد اشتهرت كلمة المهدي بين أوصاف الخلفاء، فقد وصف الفرزدق بها سليمان بن عبد الملك بقوله في قصيدة مشهورة منها :

سـليمان المبـارك قـد علمتم هـو المهـدي قد وضح السبيل

وقال : يصف هشام بن عبد الملك

فقلت له الخـلافة غـير شـك هـو المهدي والحـكم الرشـيد

لقد سمى المنصور ولده محمد بالمهدى تيمنا بالمهدي المنتظر الذي أشار اليه رسول الله ﷺ ، فأراد أن يكون ولده وخليفته مصداقاً لقول رسول الله ﷺ بملأ الارض قسطاً وعدلاً .

النتيجة الثامنة :

ان ما ينافي دعوة المختار الى امامة محمد بن الحنفية ومعارضته لامامة علي ابن الحسين السجاد هو ترحم السجاد على المختار ودعـاء الباقر له وشكر الامام الصادق وقبول الامام السجاد هداياه كما تقدم .

أن ما يكذب زعم القائلين بامامة ابن الحنفية هو احترام الشيعة لمحمد بن الحنفية على مختلف عقائدهم .

حقيقة ثورة المختار

ان ثورة المختار بن أبي عبيدة الثقفي مهما قيل ويقال عنهـا كانت كالثورات التي لاحقتها ضد الظلم والبغي والعدوان والانحراف عن الدين .

كانت ثورة الامة المؤمنة باسلامها ضد من اذاقها الذل والهوان ، وأصابها في دينها وعقيدتها ، وسرقت عنهـا رزقها وأمنها واستقرارها . فلم تكن ثورة

المختار لتختلف عن ثورة أهل المدينة بقيادة عبد الله بن حنظلة بن غسيل الملائكة على يزيد بن معاوية لما هتك الحرمات وأباح المحرمات .

كانت ثورة المختار لاتختلف عن ثورة حفيد الامام السجاد زيد بن علي بن الحسين وابنه يحيى وابن عمه عبد الله بن الحسن وأخيه ابراهيم وغيرهم . تلك الثورات التي أُقيمت على دولة امية وحكم بني العباس واشترك فيها العلمـــاء والزهاد والمحدثون والفقهاء . وقد كان ممن ساهم في ثورة زيد ، النعمان بن ثابت المشهور بابن حنيفة . وقد افرد أبو الفرج الأصفهاني فصلاً خاصـــاً في كتابه مقاتل الطالبيين باسماء أهل العلم ونقلة الآثار والفقهاء الذين ساهموا في ثورة زيد على حكم هشام بن عبد الملك . وقد جهز أبو حنيفة جيش زيد عند خروجه بالســـلاح والكراع كما يقول صاحب مقاتل الطالبيين وقد شكره الامام الصادق على نصرته لعمه زيد[1].

فلم يكن المختار ومن خرج من بعده على دولة الأمويين من احفاد الامام علي عليه السلام يقصدون في ثورتهم طلب الخلافة والامامة لأنفسهم وانما كانوا يريدونها لأصحابها الشرعيين ، من يستحق الخلافة ديناً وخلقاً وعلماً وشرفاً وكرامة وكفائة ومقدرة . وقد أوضح ذلك الامام الصادق عليه السلام لفضيل بن رسّان لما دخل عليه يعزيه بموت عمه زيد فقال: رحم الله عمي ولو ملك لعرف أين يضعها وقال الامام الرضا عليه السلام للمأمون: انه كان يدعو إلى الرضا من آل البيت[2] وعن يحيى بن زيد قال : سئلت أبي عن الأئمة قال : اثنى عشر قلت : او لست منهم؟ قال : لا ، ولكني من سادات آل البيت ، وعنه ان أبي أعقل من ان يدعو الناس إلى نفسه[3] .

---

(١) أعيان الشيعة ترجمة السيد الحميري .

(٢) الخراج والجرائح ص ٣٢٧ .

(٣) عيون الاخبار ص ٢٤٩ .

ان الشعوب والامم والتاريخ الصادق هو الذي يثمن نتائج هذه الثورات التي على الرغم من فشلها فقد قامت بقسط كبير من الحد من نشاط الحاكمين الجائرين، وفتحت عيون الناس إلى ما يجري في أروقة الخلفاء من البغي والجور والفساد وكشفت عن مناوئهم السيئة ومقاصدهم التخريبية لأحكام الدين واضعاف العقيدة الاسلامية . وما كانوا يقترفونه من المآثم . ولولا تلك الثورات لما عرف الانسان مقاييس الفضيلة ونعمة الاسلام والعدل والحرية ولظل الانسان طول عمره اسير اطماع الولاة لا يختلف شأنه عن شأن الآلة الصماء تسخرها الأهواء وتقودها مصالح الحاكمين الذاتية .

ان انسان اليوم وحده يدرك مدى تحقق تلك الثورات في قمع الظلم ودك حصون البغي ، ولو قدر له أن يعيش في عهودها لاتخذ من قادتها قدوة حسنة ولعمل لكل ثائر منهم تمثالاً من الذهب والأحجار الكريمة رمزاً لتضحياتهم في سبيل الكرامة الانسانية التي نادى بها الاسلام وحفظها ، وأراد الامويون خنقها وهدرها .

كان من الامور المتوقعة ان تلاقي ثورة المختار شيئاً كثيراً من التشهير والتشكيك في أمرها وان تثار حولها دعايات كاذبة على أوسع نطاق لأن المختار كان يحارب في جبهتين قويتين الجبهة الاموية والجبهة الزبيرية . وهما وان اختلفا وتضاربا فيما بينهما على الخلافة إلا ان مصلحتهما في القضاء على المختار واحباط ثورته وحدت مصلحتهما في نقطة واحدة وهي القضاء على الدعوة لآل البيت تلك الدعوة التي حاربها ابن الزبير في البصرة لما آلت الخلافة إلى الامام علي عليه السلام بعد مقتل عثمان وحاربها الامويون في صفين، وفي المدائن، وفي كربلاء، لاعتقاد الفريقين بأن الخلافة إذا دخلت في آل علي لا يمكن ان تخرج منها . او ان البيت الذي دخلته النبوة لا يجوز ان تدخلها الامامة .

كانت الجبهتان قويتان . فالامويون يحكمون أهم البلاد الاسلامية عدى نجد

والحجاز والعراق والزبيريون يحكمون الحجاز ونجد والعراق إلى ان قضت ثورة المختار على نفوذهم في الكوفة والقسم الكبير من شمال العراق ، وطرد منها عمال ابن الزبير فالتقت مصالح الفريقين على ضرب المختار واحباط ثورته وتمزيق وحدة الشيعة الملتفين من حول المختار فعملا معاً على التشهير بالمختار والتشكيك في عقيدته عن طريق الدعاية التي كانت يومذاك وفي كل يوم أقوى أسلحة الخصوم لا سيما إذا كانت باسم الدين وحفظ بيضة الاسلام، وان أدى بها الأمر إلى تحريف الدين واصطناع الحديث والرواية عن الصلحاء والصحابة فيما يحقق الغـــاية من الدعاية ، فتمكن الدعاة من الطرفين على اللعب بعقول الناس والنفوذ إلى قلوب البسطاء وحملهم على تصديق دعاياتهم وترديد اشاعاتهم . ولم يكن المختار وهو من الشيعـــة يركن إلى الطريقة « الميكافيلية » التي ابتدعتها السياسة الاموية وهي « الغاية تبرر الواسطة » ومهما بالغ المؤرخون في قسوة المختـــار فإن قسوته لم تكن على غير قتلة الامام الحسين وقد ذكر المؤرخون ومنهم ابن الأثير في حوادث سنة ٦٦ ان المختار لما استولى على قصر الامارة في الكوفة رفع راية الامان وطلب من الناس الاستجارة بها وعفى عن كل من في القصر وجهز ابن المطيع بعد ان عرف مخبأه وأمره بالخروج من الكوفة وهكذا عفى عن كل من حاربه مع شبث بن ربعي في جبانة – السبيع – الأمر الذي لم يفعله مصعب ابن الزبير لما انتصر على المختـــار واحتل قصر الامارة واعطى الامان لمن في القصر إذا نزلوا على حكمه ولما خرجوا إليه ونزلوا على حكمه قتل في يوم واحد سبعة آلاف رجلاً منهم .

يقول ابن الأثير في حوادث سنة ٦٧ « التقى عبد الله بن عمر بمصعب بن الزبير فقال له : أنت القاتل في يوم واحد سبعة آلاف من أهل القبلة قال نعم : كانوا كفرة فجرة . فقال عبد الله : والله لو قتلت بعددهم غنماً من تراث أبيك لكنت مسرفاً » .

لم يشف غليل مصعب ما قتله من رجال الشيعة حتى عمد إلى قتل النســاء .

يقول ابن الأثير في حوادث السنة المذكورة . أحضر مصعب زوجتي المختار كانت احداهن بنت سمرة بن جندب والاخرى بنت النعمان بن بشير الانصاري فقال لبنت سمرة : ما تقولين في المختـــار ؟ قالت : ما تقوله أنت . فأطلق سراحها . وقال للاخرى ما تقولين انت في المختار ؟ قالت : رحمه الله كان عبداً صالحـاً[1] فأمر مصعب بحبسها وكتب إلى أخيـه عبد الله بن الزبير يقول أنها تزعم بأنه نبي فأمر بقتلها فقتلت ليلاً بين الكوفة والحيرة .

فقال ابن ربيعة المخزومي في ذلك :

ان من أعجب العجـائب عندي | قتـل بيضـــاء حـرة عطبول
قتلت هكذا عـلى غـــير جرم | ان لله درهـــا من قتيـــل
كُتب القتل والقتـــال علينـــا | وعـلى الغانيـــات جـر الذيول

وقال فيها عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في قصيدة منها :

اتى راكب بالامر ذي النبأ العجب | بقتل ابنة النعمان ذي الدين والحسب
بقتل فتـــاة ذات دل ستـــيرة | مهذبة الأخلاق في الخيم والنسب
مطهرة من نســـل قـوم أكارم | من المؤثرين الخير في سالف الحقب
اتاني بان الملحـــدين توافقـــوا | على قتلها لا أحسنوا القتل والسلب
فلا هنـأت آل الزبير معيشـــة | وذاقوا لباس الذل والخوف والحرب
كأنهـم إذا أبرزوهـــا وقطعت | باسيـافهم فازوا بمملكة العـــرب
ألم تعجب الاقـوام من قتـل حـرة | من المحصنات الدين محمـودة الادب
من النـافلات المؤمنـات بريئـــة | من الذم والبهتان والشك والريب

---

(١) وفي تاريخ اليعقوبي – ج ٣ – ص – ١٠ « قالت : انه كان تقياً نقياً صواماً » .

كانت ثورة المختار معروفة القصد واضحة الغاية معلومة الأهداف . أقيمت على اكتاف البقية الباقية من التوابين الاخيار الذين عرفوا بالتقوى والتشيع لعلي بن أبي طالب عليه السلام واعلنوا عن هدف حركتهم في خطبهم وفي أول لقاء لهم مع الجيش الأموي .

ان ثورة المختار لم تختلف عن ثورة مروان وابن الزبير ونجدة الخارجي على الخلافة فأرادها المختار والتوابون لآل البيت كما أرادها كل من مروان وابن الزبير لنفسه وابن نجدة للخوارج فان كانت تلك الثورات ظالمة فأصحابها أظلم وإن كانت خيرة فلماذا استثنى التاريخ والمؤرخون منها ثورة المختار واعتبروا المختار في ثورته كافراً فاسقاً مع وجود الفارق بين دعوة مروان ودعوة المختار. فالمختار كان يطالب بدم الحسين ومروان وابن الزبير كانا يتستران على قتلته ويقربانهم من حولهما لأنه كان المحرض الاول على قتلة الحسين باجماع المؤرخين .

ان رواة السوء والذين أخذوا عنهم مع علمهم بكذب ما يحدثون هم وحدهم المسؤلون عن هـــذا التناقض الصريح وتشويه الحقائق والتستر عليها وقلب الاباطيل والمفتعلات إلى حقائق ثابتة .

إن التشهير بالمختار وطعنه بمختلف الطعون والسكوت عن أعمال مروان ونجدة الخارجي والتطبيل لثورة عبد الله بن الزبير الذي استباح القتال في مكة وقد حرم الله تعالى القتل والقتال فيها . وتركه الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خطبة الجمعة وسبه علياً وشتمه على الملأ من المسلمين وغير ذلك من أعماله المنكرة يجعل التاريخ متهماً أمام الجيل الصاعد الذي لم يقنعه اليوم تسيطر الحوادث وترديد الأخبار دون ان يكشف عن مدى صدقها وحدوثها على ضـوء مداركه ومشاعره وما يشاهده من الانقلابات والثورات وما يرافقهـــا من الدعايات والشعارات التي تظهر وتختفي حسب المصالح السياسية والشخصية .

هذا هو التاريخ الذي ولد على صفحاته الكيسانية كمذهب من مذاهب الشيعة وحمل المختار في حياته وبعد مماته من الأوزار والتبعـــات ما لم يحمل الفسقة والمجرمين بعضها .

فاذا كان المؤرخون من المسلمين قديماً وحديثاً لم يجهدوا أنفسهم بالبحث عما دونه التاريخ للتاريخ واكتفى المحايدون من الشيعة والسنة بنقل وقائعه دون تعليق وتحقيق فليس معنى ذلك ان ما نقلوه وارخوه كان من الامور الصحيحة الثابتة يلزم الاعتماد بها واعتبارها من الحوادث الواقعة فعلاً .

نختم هذا الفصل بما اهتدى إليه المؤرخون من غير المسلمين من المستشرقين بما يتعلق بموضوع بحثنا عن المختار ولا اريد فيما انقله عنهم ان ابرىء أقلامهم من الدس والكيد والتحامل على الاسلام وشريعته في كثير مما كتبوه . إلا أن هناك حقائق ظهرت في بحوثهم كما تظهر لكل من كلف نفسه بالبحث عنها .

يحدثنا المستشرق المعروف – فلهوزن – في كتابه الشيعة والخوارج ص ٢٣٤ طبع سنة ١٩٤٨ عن المختار فيقول :

« لما مني المختار بالهزيمة وادبرت عنه الدنيا راحت الرواة تطلق سهامها على ذكر المختار بعد مقتله ، في البدء كانت تذمه دون تشويه صورته ولكنها راحت بعد ذلك في مرحلة متأخرة تنعته بنعوت املاها الحقد . وهذه النعوت نفسها هي تسود الصورة التي كونتها عنه الأجيال التالية » .

يقول المستشرق – الأهواني – في كتابه – في عالم الفلسفة ص ٧٨ – :

« إن كثيراً مما نسب إلى المختار موضوع للتشنيع عليه » .

إن رأى هذين الكاتبين المستشرقين هو الرأي الذي ذهبنا إليه في بحثنا هذا وقلنا ان الأمويين والزبيريين وكل من لا يروقه تسلم آل البيت الخـــلافة

اشتركوا جميعاً على مناوئته ومحاربته . حاربه آل اميـــة وآل الزبير بقوة السلاح وجهاً لوجه ، وبالدعاية الكاذبة والتشهير به ، وحاربه الباقون بعـــد وفاته بترويج تلك الدعايات بعد ان اضافوا عليها اشاعات اخرى بلغت حداً مؤسفاً حتى ان المؤرخين من الشيعة وقفوا منه موقف المتردد الشاك فيه ، بسبب انتشار تلك الدعايات وترديدها ونقلها . وإذا علمنا ان اسماء بنت أبي بكر هي وحدها تروي لنا عن رسول الله ﷺ حـديث كذاب ثقيف ومبيرها وتفسر الكذاب بالمختار علمنا قيمه هذا الحديث ! .

البحث عن الكيسانية

بعد وفاة محمد بن الحنفية

بحثنا بعد مقتل الامام علي بن أبي طالب وبعد شهادة الامام الحسين عليهما السلام عن الكيسانية – فلم نعثر على ما يدل على وجودها في الحقيقة إلا ما يحكيه التاريخ على صفحاته من روايات وحكايات تشبه قصص ألف ليلة وليلة – ويحكي سندها سند الموضوعات من الاخبـــار ولا يختلف مصدرها عن مصدر المفتريات والاشاعات والمختلقات من الحديث ، والسير ، التي ابتدعت لأغراض سياسية وأشيعت في الناس لتحقيق غايات ومصالح خاصة فنقلها المغرضون عن الوضاعيين ولاكتها ألسن الغافلين عن أفواه المسخرين فجـــاء الحديث عنها في التاريخ البعيد والقريب بحديث عمن قال وذكر ويقال ويذكر دون بيان اسم القائل ومعرفة هوية الذاكر ، مجهول يروي عن مجهول ومغفل ينقل عن مغفل لا سند للمؤرخ عنها إلا الكتاب الذي نقل عنه واسم الكاتب الذي يروي عن كتابه ، دون أن يبحث عن الراوي والمحدث ويعرف لهما اسما وصفة بين اسماء الرواة والمحدثين وما أكثرهم في ديوان الرجال .

إن البحث عن وجود الكيسانية بعد وفاة محمد بن الحنفية الى ما قبـل وفاة ولده أبي هاشم عبد الله بن محمد لا يختلف عن البحث عنها بعد وفاة أبيه أمير المؤمنين وأخيه الحسين عليهما السلام كما تقدم .

يقول النوبختي : والشهرستاني وغيرهما : لما توفى محمد بن الحنفية بالمدينة سنة ٨١ هـ وهو ابن خمسة وستين سنة تفرق أصحابه إلى ثلاث فرق .

قالت فرقة : ان محمد بن الحنفية هو المهدي سماه علياً مهديا لم يمت ولا يموت، ولا يجوز أن يموت ولكنه غائب ولا يدري أين هو وسيرجع ويملك الارض ولا امام بعد غيبته الى رجوعه وهم أصحاب – ابن كرب – ويسمون – الكربية – وكان منهم حمزة بن عمارة البربري اليزيدي – الزبيري[1] وهو من أهل المدينة، ففارقهم وأدعى أنه نبي وأن محمد بن الحنفية هو الله عز وجل تعالى عن ذلك علوا كبيراً ، فتبعه على ذلك ناس من أهل المدينة وأهل الكوفة فلعنه أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام وبرأ منه وبرأت منه الشيعة فاتبعه رجلان من نهد يقال لأحدهما بيان – والآخر – صائد – فكان بيان تباناً يتبن التبن بالكوفة ، ثم ادعى أن محمد بن علي بن الحسين أوصى اليه فأخذه خالد القسرى وخمسة عشر رجلا من أتباعه فشدهم بأطناب القصب وصب عليهم – النفط – في مسجد الكوفة – وألهب فيهم النار فأفلت منهم رجل فخرج بنفسه ثم التفت فرأى أصحابه تأخذهم النار فكر راجعا الى أن ألقى بنفسه في النار فاحترق ، وكان حمزة بن عمارة قد نكح ابنته وأحل جميع المحارم ، وقال : من عرف الامام فليصنع ما يشاء فلا اثم عليه . .

وقالت فرقة : ان محمد بن الحنفية حي يقيم في رضوى بين مكة والمدينة تغدو عليه الايارى فيشرب من ألبانها ويأكل من لحومها وعن يمينه أسد وعن يساره أسد يحفظانه إلى أوان رجوعه ومجيئه وقيامه ، وقيل عن يمينه أسد وعن يساره نمر ، وهو الامام المنتظر عندهم بشر به النبي صلى الله عليه وسلم أنه يملأ الأرض

---

(١) فرق الشيعة ص ٣٣

قسطاً وعدلاً فثبتوا على ذلك حتى انقرضوا إلا قليلاً من أبنائهم وهو احدى فرق الكيسانية .

ومن الكيسانية السيد الحميري اسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة الشاعر المعروف وهو يقول:

الا حي المقيم بشعب رضوى واهد له بمنزله السلاما
اضر بمعشر والوك فينا وسموك الخليفة والاماما
وعادوا فيك أهل الأرض طراً مقامك فيهم سبعون عاما
لقد أمسى بمورق شعب رضوى يراجعه الملائكة الكلاما

ويقول :

يا شعب رضوى مابك لا يرى حتى متى تحمى وأنت قريباً
يابن الوصي ويا سمي محمد وكنيه نفسي عليك تذوب
لو غاب عنا عمر نوح ايقنت منا النفوس بأنه سيؤب

وقال : قوم : إنّ السيد بن محمد رجع عن قوله وقال : با مامة جعفر بن محمد ، وقال : في توبته:

تجعفرت باسم الله والله أكبر

ولقد سمى الشهرستاني في الملل والنحل هذه الفرقة - بالمختارية - وقال : وأنها الفرقة الكيسانية الاولى التي تشعبت عنها بقية الفرق كما تقدم ونسب اليها السيد الحميري وكثير عزة كما نسب للاخير منها الابيات التالية :

الأ أن الأئمة من قريش ولاة الأمر أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه هم الأسباط ليس لهم خفاء

فسبط سبط ايمان وبر وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمه اللواء

وقد نسب صاحب الأغاني هذه الأبيات للسيد الحميري

« وقالت فرقة : إن محمد بن الحنفية مات والامام بعده هو ولده عبد الله المكنى بأبي هاشم وهو أكبر أولاده واليه أوصى وهذه الفرقة تسمى -الهاشمية- » ولم يذكر النوبختي : ولا غيره مقاله لهذه الفرقة كما لم يذكر أحداً من أتباعها ، وكلما حدث وحصل لهذه الفرقة هو ما حدث بعد وفاة أبي هاشم وفي أثناء الدعوة العباسية كما سيأتي :

هذه هي الفرق الثلاثة التي يقول أصحاب الملل والنحل والمذاهب والأهواء والمؤرخون تفرقت بعد وفاة محمد بن الحنفية وهم - الكربية - المختارية - الهاشمية - فلو استثنينا الفرقة الهاشمية وجدنا الفرقة الكربية - والمختارية فرقة واحدة لم يختلفا إلا في تحديد محل غيبة المهدي من قبل الفرقة - المختارية - التي تجسدت في شخص السيد الحميري الذي ولد في السنة التي مات فيها كثير عزة[1]

---

١ - لقد اتهم السيد الحميري بالكيسانية كما اتهم بها المختار بن ابي عبيدة ، وما نسب للمختار من القول بالرجعية والتلون في المذهب نسب الى السيد الحميري ، لان السيد ثار في سبيل ال البيت كما ثار المختار الا ان ثورة السيد كانت ثورة ادبية فقد كان كلما سمع من فضائل الامام علي وال البيت ينظم ذلك شعرا وراح يتلوه علنا ، الامر الذي اغضب خصوم ال البيت فنسبوا اليه انه يشرب الخمر ويقول بالرجعة ويسب الشيخين وانه كان خارجيا ثم صار كيسانيا ثم صار رافضيا ، نورد خبرا واحدا من تلك الاخبار وقد ذكره ابو الفرج في الاغاني ونقله عنه حرفيا صاحب اعيان الشيعة في ترجمته ، وهو « ان الامام الصادق بلغه نعي السيد الحميري فترحم عليه فقيل له انه كان يشرب الخمر
=

سنة ١٠١ هـ كما تجسدت الفرقة الاولى في شخص عمارة بن حمزة أو حمزة بن عمارة البربري اليزيدي أو الزبيري بطل الكفر والاباحية مؤسس الغلو والقول بالوهية الأشخاص .

ان هـــذه الفرق الثلاثة ظهرت على الصحيح بعد وفاة عبد الله بن محمد بن الحنفية المكنى بابي هاشم خلافاً لما ذكره النوبختي من انها خرجت بعد وفاة أبيه محمد ، لأن كلما نسب إلى عمارة نسب إلى تلميذه بيان النهدي – وكانا معاً من المعاصرين للامام أبي جعفر محمد بن علي الباقر الذي تولى الامامة بعد أبيه السجاد عام ٩٩ هـ أضف إلى ذلك ان مانسب إلى الفرق التي ظهرت بعد وفاة أبي هاشم كما يقول

=

ويقول بالرجعة ويسب الشيخين فقال ان شيعة علي اذا زل لهم قـــدم يثبت لهم الاخرى ، وقد ورد هذا الخبر في عدة روايات ، ان قيمة هذه الروايات تظهر اذا عرفنا ان الامام الصـــادق توفي عام ١٤٨ هـ ، وان السيد الحميري توفي عام – ١٧٢ او ١٧٣ كما يقـول صاحب الاعيـان والاغاني ، وقد اعددنا له ترجمة خاصة ذكرنا فيها من الدليل ما يبطـل زعـم القائلين بكيسانيته .

اما كثير عزة فيكفي الدليل على اختلاق ما نسب اليه من انه كـان كيسانيا ان الامام محمد بن علي بن الحسين الباقر اخـتـرق صفـوف المشيعين له يوم وفاته وحمل جنازته ، وان تهمة الكيسانية جاءته لانـه كان من الخشبية اي الذين ارسلهم المختار لاطلاق سراح محمـد بـن الحنفية ومن معه من بني هاشم يوم حبسهم ابن الزبير في سجن عارم او في حجرة زمزم لانهم امتنعوا عن بيعته ، وكانوا يحملون سيوفا مـن الخشب فسموا بالخشبية – ولا يبعد ان يكـون الزبيريون او الامويون نسبوه الى الكيسانية لانه كان من جماعة المختار بن ابي عبيدة الثقفي . واما الابيات الشعرية هذه فقد نسبه بعضهم الى السيد الحميري ونسبه الاخرون الى كثير ، وفيها من الركة ما يجعلها هي الاخـرى منتحلة ولا يصح نسبتها الى كثير أو الى السيد اللذين يعدان في طليعة الشعراء، راجع ترجمتهما في الاغاني ومعجم الادباء وغيرهما من كتب الادب .

أهل المذاهب والأديان تحكي مقالة الحمزة بن عمارة الذي عاش حتى بعد ظهور الدولة العباسية .

بعد أن ذكرنا فيما تقدم من ان المختــار ما كان يقول بامامة محمد بن الحنفية ولا كان يدعو الناس إلى امامته ، وان محمد بن الحنفيـــة ما كان يدعى الامامة لنفسه بعد أبيه أمير المؤمنين او بعد أخيه الحسين نورد ما يبطل زعم القائلين بان ولده ابا هاشم كان يدعى الامامة عن أبيه .

البحث عن الكيسانية

بعد وفاة عبد الله بن محمد بن الحنفية

تقدم في البحث عن الكيسانية بعد وفاة محمد بن الحنفية ، ان هناك فرقة قالت: بامامة ولده عبد الله المكنى بابي هاشم ، وسميت هذه الفرقة - بالهاشمية .

يقول النوبختي في كتابه فرق الشيعة ص ٣٦ - ٣٩ - « فلما توفى أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية تفرقت أصحابه إلى أربع فرق :

قالت فرقة : انه أوصى إلى أخيه علي بن محمد بن الحنفية ، وان الذين ذكروا انه أوصى إلى علي بن محمد بن عبد الله بن العباس غلطوا في الاسم ، وان علي بن محمد هـذا أوصى إلى ولده الحسن بن علي ، وأوصى الحسن إلى ولده علي بن الحسن وأوصى علي بن الحسن إلى ولده الحسن بن علي ، والوصية عندهم لا تخرج من ولد محمد بن الحنفية ، ومنهم يكون القـائم وهم الكيسانية الخلص - وتسمى هذه الفرقة - بالمختارية -

وقالت فرقة : انه أوصى إلى عبد الله بن معاوية الذي خرج في الكوفة وكان يومئذ صغيراً فدفع الوصية إلى صالح بن مدرك ، وأمره ان يحتفظ بها حتى يبلغ عبد الله ، فلما بلغ دفعها إليه ، فهو الامام ، وهو العالم بكل شيء

حتى غلوا فيه وقالوا ان الله عز وجل نور وهو في عبد الله بن معاوية ، وأصحاب عبد الله يسمون – بالحارثية – وكان ابن الحارث هذا من أهل المدائن فهم كلهم غلاة يقولون من عرف الامام فليصنع ما يشاء ، وعبد الله هو صاحب اصفهان قتله ابو مسلم في حبسه .

وفرقة قالت : أوصى عبد الله بن محمد بن الحنفية إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وكان صغيراً عند وفاة أبي هاشم فدفع الوصية إلى أبيه علي بن عبد الله ، وأمره أن يدفعها إليه إذا بلغ ، فلما بلغ دفعها إليه فهو الامام ، وهو الله عز وجل وهو العالم بكل شيء فمن عرف الامام فليصنع ما يشاء ، وهذه غلاة الراوندية .

وقالت فرقة : ان أبا هاشم هو المهدي القائم ولا وصي بعده ، يرجع ويقوم بأمر الناس ويملك الأرض وغلوا فيه وهم البيانية – أصحاب بيان النهدي ، قالوا : ان أبا هاشم نبأ بيان عن الله عز وجل فبيان نبيّ وتأولوا قوله تعالى – هذا بيان للناس – وادعى بيان بعد وفاة أبي هاشم النبوة ، وكتب الى أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام يدعوه إلى نفسه والاقرار بنبوته ، ويقول له : اسلم ترتقى في سلم ، وتنج ، وتغنم ، فانك لا تدري اين يجعل الله النبوة والرسالة ، وما على الرسول إلا البلاغ ، وقد أعذر من أنذر ، فأمر أبو جعفر رسول بيان أن يأكل قرطاسه الذي جاء به . وقتل بيان على ذلك وصلب وكان اسم رسوله عمر بن رغيف ، ويقول الشهرستاني : في – الملل والنحل – ان رسول بيان بعد أن أكل القرطاس مات في ساعته .

يقول النوبختي في ص ٥٢ – ٥٣ في كتابه في عرض فرق – العباسية الراوندية المنبثقة عن الهاشمية – « وفرقة منهم قالت : ان محمد بن الحنفية كان الامام بعد أبيه علي بن أبي طالب فلما مات أوصى إلى ولده أبي هاشم عبد الله ابن محمد وأوصى عبد الله إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد

المطلب لأنه مات عنده بالشـــام بارض الشراة فأوصى محمد بن علي إلى ولده ابراهيم بن محمد المسمى بالامام وهو أول من عقدت له الامامة من ولد العباس وإليه دعى أبو مسلم ، ثم أوصى ابراهيم إلى أخيه أبي العباس عبد الله بن محمد وهو أول ولد العباس ولي الخلافة ، ثم أوصى أبو العباس إلى أخيه أبي جعفر المنصور وأوصى المنصور إلى ولده المهدي محمد بن عبد الله استخلفـه بعد ، وان المهدي -رد هذه الفرقة عن اثبـــات الامامة لمحمد بن الحنفية وابنه أبي هاشم واثبت الامامة للعباس عم النبي كما سيأتي تفصيل ذلك .

لو استثنينـــا الفرقة التي قالت بامامة محمد بن علي بن عبد الله بن العباس مباشرة ، وجدنا الفرقتان التي قالت احـــدهما ان أبا هاشم أوصى إلى محمد بن علي وكان صغيراً ودفع الوصية إلى أبيه علي بن عبد الله «الخ» والفرقة التي قالت ان ابا هاشم أوصى إلى أخيه علي بن محمد بن الحنفية ،لا يستحقان النقاش،لأن من زعم ان محمد بن علي بن عبدالله بن العباس يوم مات فيه أبوهاشم كان صغيراً - قول باطل - لأن محمد بن علي باجماع المؤرخين مات سنة ١٢٥ - ﻫ وعمره كان - ٦٧ - سنة وعلى هذا تكون ولادته عام ٥٨ - ﻫ - وعمره في سنة ٩٧ - التي فيها مات أبو هاشم كان - ٣٩ سنة .

وان من زعم أن أبا هاشم أوصى إلى أخيـــه علي بن محمد بن الحنفية زعم باطل أيضاً لأن أبا هاشم لم يدع الامامة ، وأباه محمد بن الحنفية كما تقدم لم يدعها وان الامام السجاد علي بن الحسين نفى عن أبي هاشم دعوى الامامة في كتاب له إلى الوليد بن عبد الملك .

ذكر العلامة الشبيبي في كتابه - مؤرخ العراق ابن الفوطي - ص ٨٩ في المنازعات بين أولاد الامام علي على الصدقات « وذكروا نزاعاً آخر بين زيد بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وبين ابن عمه أبي هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية ، فان ولاية الصدقات انتهت إلى الأول في زمن الوليد بن عبد الملك

فنازعه الثاني ، مما اضطر زيد ان يشخص إلى الوليد في الشام مكثراً على ابن عمه قائلا : انه يدعو إلى نفسه ، إلى أقوال اخرى ، صدقها الوليد فأمر باشخاص أبي هاشم إليه وحبسه في الشام ، وقد تم الافراج عنه بسعي ابن عمه علي بن الحسين ، فإنه سلك في دحض هذه التهم عن أبي هاشم مسلكاً لطيفاً ، نفى فيه دعوة أبي هاشم إلى نفسه وحمل الوشاية به على ما يقع عادة من الوحشة والجفاء بين الأهل والأرحام » .

أما الفرقتان – الحارثية والبيانية – فهما الفرقتـــان التي ظهرتا في الدور الثالث تعارضان امامة العباسيين عن أبي هاشم من جهة ومن جهة اخرى كما سيأتي وضعت لزرع الفساد في عقيدة الشيعة والتشهير بسمعة التشيع واتهام المنتسبين إليه بالوهية الأشخاص وهذا ما سنوضحه في الدور الثالث الذي كان فيه لعمارة بن الحمزة أو الحمزة بن العمارة دور المؤسس للغلو وتسخير الزنادقة لنشره أمثال – بيان النهدي – وابن الحارث – والراوندي وغيرهم .

الدور الثاني ـ من الكيسانية

بدأ هذا الدور حيث كانت اشاعة الكيسانية في طريق الزوال والتلاشي بعد ان حققت الأغراض المطلوبة من اطلاقها ونشرها ، في عهد المختـــار ، ولم يبق لها أثر ملموس إلا مارسمتها من التشنيـع بالمختار بن أبي عبيدة الثقفي على صفحات التاريخ .

بدأ في مطلع القرن الثاني حيث بدأ فيه العباسيون يخططون منهاج دعوتهم كما تقدم ، واعوزهم الدليل على اقنـــاع النـــاس ان الامامة انتقلت إليهم بالنص ، وان خلافتهم لا تختلف عن خلافة المنصوص عليهم بالامامة عن النبي ﷺ فعمدوا إلى اشاعة ـ الكيسانية ـ ولـمّا تختفي وتتلاشى كلياً فجددوها ونقلوا الامامة عن محمد بن الحنفية الذي زعمت اشاعة الكيسانية انه كان الامام بعد أبيه إلى ولده عبد الله المكنى بابي هاشم ، واتخـــذوا من وفاته في دارهم بالحمية من أرض الشراة وصية تنقل الامامة إلى عميدهم محمد بن علي كماتقدم وقبل البدأ فيما حدث فيهذا الدور ،وقبل تفصيلماذكرناه مجملاً فيما سبق و كيف صارت اشاعة الكيسانية التي ظهرت في الدور الاول مذهباً رسمياً في هذا الدور لدولة آل عباس ؟ يجدر بنا ان نقدم امام بحثنا هذا صورة مصغرة عن الأحداث التي طرأت على العالم الاسلامي في مستهل هذا الدور من جراء الحكم الأموي ، تلك الأحداث التي ساعدت على ظهور دولة بني العباس .

لا نزاع من ان الحكم الأموي منذ تأسيسه كان مرتكزاً على سياسة البطش والشدة والارهاب ، وان الظلم الأموي انسى الناس كل النـــاس أنهم ولدوا أحراراً ، وان الاسلام دين العدل والانسانية والمساواة ، إلى أن تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز سنة ٩٩ فاعاد للناس بعض ما فقدوه بعد زوال دولة الراشدين وكان من آثار ذلك ان تجرأ الناس على النطق بما يريدون ، وتجاهروا بما يرغبون فيه من حكم عادل ونظام اسلامي شريف ، كانت خلافة ابن عبد العزيز قصيرة ، وكان قلع كلما غرسه اسلافه من معالم الباطل والشرور يتطلب وقتـــاً طويلاً ، لا سيما وانه كان يلاقي في اصلاحاته معارضة شديدة من آل امية والزمرة التي تعودت ان تحكم ولا تعدل وتتولى الامور ولا ترحم ، وما كاد عمر بن عبد العزيز يختم حياته في عام ١٠١ حتى خلفه يزيد بن عبد الملك ، وراح يهدم كل ما بنـــاه عمر من حكم صالح ونظام رشيد وسنة حسنة وعزل كل من ولاه عمر على الناس من الطيبين الأخيار .

عبثاً كان يحاول يزيد بن عبد الملك ان يعيد الامور إلى ما كانت عليها قبل تولي عمر الخلافة ، لأن كلما كان في الدولة من حكم وسيرة كان يشـــير إلى زوالهـــا وانهيارها ، فعلى الرغم من ان خلافة عمر كانت قصيرة ، فان ما منح به النـــاس من الحرية في عهده قد اثرت في النفوس ، واثمرت في قلوب عامة الطبقات لا سيما المحرومة من حقوقها الانسانية ، فتعالت الصيحات ، وتصاعدت الهتـــافات من جوانب الدولة تطالب الحاكمين ان يعدلوا في الحكم ، وينصفوا الناس كل الناس، ولما تصامم الحاكمون عن مطاليب الامة ، واعاروا الناس أذناً صماء ، ارتفعت الشعارات باسقاط الحكم الاموي ، وإزاحة آل مروان عن الحكم وابعادهم عن الخلافة واسناد الخلافة للرضا من آل بيت الرسول ﷺ فقامت الثورات في مختلف الاقطار الاسلامية في الحجاز - والعراق - والجزيرة - وفارس - وخراسان وغيرها وكثر الخارجون على الدولة .

التنازع بين العلويين :

كان أولاد الحسن والحسين – في شغل عن اغتنام هذه الفرصة ، لتنازعهم على صدقات النبي ﷺ وصدقات الامام علي عليه السلام[1] ، واختلافهم على من يتولى الامامة فأغتنمها العباسيون ، وراحوا يمهدون سراً الطريق إلى الخلافة لأنفسهم على أنهم كانوا في الظاهر يداً واحدة مع العلويين في ترشيح من يصلح للخلافة منهم ،

---

١ ـ كان من تلك المنازعات ان خاصم عمر بن علي ابن اخيه عبدالله ابن الحسن المثنى ، كما خاصم ابن اخيه السجاد ، وخاصم عبد الله بن الحسن المثنى ابن عمه زيد بن علي بن الحسين .

ومن اعنف تلك المنازعات واشدها خصومة ، مخاصمة زيد بن الحسن بن الحسن ابن عمه عبد الله بن محمد الحنفية ، اذ اتهمه امام الوليد بن عبد الملك بانه يدعو الى نفسه كما تقدم ، وخاصم زيد هذا ابن عمه زيد بن علي بن الحسين وحاول تهجين نسبه لانه كان ابن امة ، فأعرض زيد عن مخاصمته وقاطعه هو واخوته وامتنعوا عن الكلام معه .

ومن اعنف العلويين على العلويين كان الحسن بن زيد بن الحسن بن الحسن ، لقد بالغ هذا العلوي في الاساءة الى عمومته على السواء الحسنيون منهم وال الحسين ، ولم تمنعه القربى من ان يسرع من المدينة الى المنصور في العراق ليبلغه نبأ انتصار جيشه على ابن عمه محمد ابن عبد الله بن الحسن ويزف له البشرى بذلك ، فجازاه المنصور بولاية المدينة ، ولما ولي على المدينة للمنصور لم يرحم علويا حسينيا كان او حسنيا ، وزاد شدة على الاما مجعفر بن محمد الصادق وعلى اتباعه .

اما نزاعهم على من يتولى منهم الامامة فمبسوط في كتاب كشف الغمة والملل والنحل . والارشاد للمفيد وفرق الشيعة ، راجع تفاصيل ذلك في ص ١٧٢ ـ ١٧٧ الارشاد وص ١٧٣ ـ ١٧٦ كشف الغمة ، وص ٨٧ مؤرخ العراق ابن الفوطي للشبيبي .

فكان ان نشر العباسيون دعوتهم في أقاصي البلاد الاسلامية من منطقة خراسان وحرفوا شعـــار الدعوة من البيعة للرضا من آل البيت إلى الدعوة للهاشميين ، وبثوا دعاتهم هناك حيث لا يعرف أهالي تلك المنطقة الفرق بين الهاشميين وآل البيت منهم و كلهم بنظرهم سواء .

اختلاق الكيسانية من جديد

كان العباسيون يعملون في الخفاء وبصمت وسرية تامتين في الحمية من أرض الشراة [1] بعيدين عن أنظار العلويين والأمويين، ويخططون منهاج دعوتهم بكل دقة وتفكير متكاتفين متضامنين فيما بينهم، يضعون أمام كل ما يعترض طريقهم إلى الخلافة حلاً مرضياً والامر الذي شغل بالهم طويلاً هو أنهم لم يجدوا حلاً مرضياً يجعل امامتهم مشروعة عند النـاس، ومقبولة عند الثائرين الذين يدعون إلى بيعة الرضا من آل البيت لأنهم قطعاً عند المسلمين لم يكونوا من آل البيت المحصورين في أولاد الحسن والحسين دون سواهم من آل علي بن أبي طالب، أضف إلى ذلك ان جدهم العباس كان أول من بايـع علياً بعد وفاة النبي ﷺ وكان ولده عبد الله من القائلين بامامة علي، وان أحداً من ولد العباس لم ينازع أحداً من الخلفاء الراشدين والامويين على الخلافة، وعلى فرض نجاحهم في صرف الدعوة عن آل البيت إلى الهاشميين فالعلويون مقدمون على بقية الهاشميين لقربهم من النبي ﷺ لأنهم يعدون من أولاده وذريته بخلاف غيرهم من الهاشميين.

بعد تفكير عميق وجدوا الحل في أن يجددوا الاشـاعة التي ظهرت في عهد

---

(١) الأردن الحالي.

المختار تقول بامامة محمد بن الحنفية ولم يكلفهم الأمر بأكثر من نقل الخلافة والامامة من بعده إلى ولده عبد الله المكنى بابي هاشم الذي توفى في دار عميد العباسيين يوم ذاك محمد بن علي بن عبد الله أو بالقرب من داره كما يقول بعض المؤرخين ، ومنه ينقلون الخلافة إليهم ، ولما راقت لديهم هذه الفكرة ووجدوها حلا مقبولاً تجعل امامتهم مشروعة عند الناس ، اصطنعوا وصية نسبوها إلى امير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وقالوا : انه أوصى بالامامة فيها إلى محمد بن علي بن عبد الله ثم إلى ولده ابراهيم .ثم إلى أخيه عبد الله بن محمد المكنى بابي العباس .ثم إلى أخيه المنصور أبي جعفر فدفعوا هذه الوصية المزعومة إلى دعاتهم وأمروهم بنشرها سراً في أقاصي بلاد ما رواء النهر من مقاطعة خراسان .

يقول في ذلك أبو الفرج الاصفهاني في كتابه – مقاتل الطالبيين – ص٩١ – في ترجمة أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية « كان عبد الله لسناً خصماً عالماً وهو الذى يزعم الشيعة في خراسان أنه ورث الوصية عن أبيه ، وأنه كان الامام ، وأنه أوصى إلى محمد بن علي وأوصى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس إلى ولده ابراهيم الامام ، فصارت الوصية في بني العباس » .

ويقول ابن أبي الحديد في الجزء الثالث من شرح النهج ص ٧٢٧ « ان محمد ابن علي أخذ الامرمن أساس مؤسس ، وقاعدة مقررة ، ووصية انتقلت إليه عن أبي هاشم وأخذها أبو هاشم من أبيه عن جده أمير المؤمنين ، وأنه قال : لمحمد بن علي اني لم أدفع اليك الوصية من نفسي ولكن أبي عن جدي اخبرني بذلك ،واعلمني بلقائي اياك في هذا المكان ،ولما دفع إليه الوصية أمره بما يصنع » وهذا نص الوصية أو كما سميت صحيفة الدولة التي انتزعت الامامة من آل علي إلى آل العباس .

صحيفة السر أو صحيفة الدولة

من أغرب ما توصل إليه خيال الوضاعين ، ولاكتها الألسن المغرضة ، قصة

صحيفة السر التي تناقلتها أقلام المخبرين عن أفواه المغفلين عن المأجورين عن المصلحة التي اقتضتها سياسة العباسيين في عهد محمـــد بن علي بن عبد الله بن العباس بعد عام ٩٧ من الهجرة ، هذه القصـــة التي تصور الواضعون لهـا انهم لم يتركوا في نسجها وتواصل خيوطها سبيلاً للنقد والطعن فيها . وفات الباحثون القدامى من ذوي النيات الحسنة ان يصرفوا بعض الجهد في أمر هذه الصحيفـة وتقفي آثارها والأغراض التي أملت فصولهـا وبنودها على مسجـل التاريخ . فكم كان جديراً بالنوبختي وهـو المؤلف الأول في الفرق ان يوثق من الروايات التي وصلت إليه في بحثه عن الكيسانية ويدرس الحالة السياسية التي كونت من هذه الوصيـة سنداً للانحراف بالامامة عن المنصوص فيهم من نســل علي وفاطمة إلى غيرهم ، واخراجها عن قاعدة العدل التي رسخت عليها الامامة كما أرادها النبي ﷺ وتمسكت به الشيعة العلوية ، تلك القاعدة التي جانبتها الوصية المزعومة المنسوبة إلى حفيد الامام علي نصاً وروحاً بالاضافة إلى الخلاف المنقول في روايتها وكيفيتها كما يحدثنا عنه المؤرخون .

يقول اليعقوبي المتوفى سنة – ٢٥٩ – في تاريخه ص – ٤٢ – ج – ٣ طبع النجف – ٩٦٤ « ان عبد الله بن محمد بن الحنفية وفد على سليمان بن عبد الملك فقال : ما كلمت قرشياً يشبه هـذا وما أظنـه إلا الذي كنا نتحـدث عنـه . فأجازه وقضى حوائجـه وحوائج من معـه . ثم شخص عبد الله بن محمـد يريد فلسطين ، فبعث سليمان قوماً إلى بلاد لخم وجذام ومعهم اللبن المسموم فضربوا أخبية فنزلوا فيها ، فمر بهم عبد الله فقالوا : يا عبد الله هل لك في الشـراب ؟ فقال : جزيتم خيراً . ثم مر بآخرين فقـالوا مثل ذلك فجزاهم خـيراً . ثم مر بآخرين فاستسقى فسقوه . فلمـا استقر اللبن في جوفه قال : لمن معـه أنا والله ميت فانظروا ما هؤلاء ؟، فنظروا فاذا القوم قد قوضوا ، فقال : ميلوا بنا إلى ابن عمي محمد بن علي بن عبد الله بن العباس فانه بأرض الشراة، فاسرعوا السير حتى اتوا محمد بن علي في – الحمية – من أرض الشراة . فلما قدم عليه قال له :

يا بن العم أنا ميت وقد صرت إليك وهذه وصية أبي إلي ومنها أن الأمر صائر إليك وإلى ولدك والوقت الذي يكون في ذلك ، والعلامة وما ينبغي لكم العمل به على ما سمع وروى عن أبيه علي عليه السلام فاقبضها إليك ، وهؤلاء الشيعة استوصي بهم خيراً وهؤلاء دعاتك وانصارك فاستبطنهم ، فاني قد بلوتهم بالمحبة والمودة لأهل بيتك . ثم هذا الرجل (ميسرة) فاجعله صاحبك في العراق. فأما الشام فليست لكم بلاد وهؤلاء رسلك إلى خراسان واليك. ولتكن دعوتكم بخراسان ولا تعد هذه الكور - مرو - ومر الروذ - وفسا - وابيور - وإياك - ونيسابور وكورها - وابرا نشهر وطوس - فاني أرجو ان تتم دعوتكم ويظهر الله أمركم . واعلم ان صاحب هذا الأمر ولدك عبد الله بن الحارثية ثم عبد الله أخوه الذي أكبر منه ، فاذا مضت سنة الحمار فوجه رسلك بكتبك ووطد الأمر قبل ذلك بلا رسول ولا حجة ، فأما أهل العراق فهم شيعتك ومحبوك وهم أهل اختلاف فلا يكون رسولك إلا منهم . وانظر أهل هذا الحي من ربيعة فألحقهم بهم معهم في كل أمر . وانظر هذا الحي من تميم وقيس فاقصهم ثم أبدهم إلا من عصم الله منهم وهم أقل من القليل ، ثم اختر دعاتك فليكونوا أثنى عشر نقيباً فان الله عز وجل لم يصلح أمر بني اسرائيل إلا بهم وسبعين نفساً بعدهم يتلونهم فان النبي صلى الله عليه وسلم انما اتخذ أثنى عشر نقيباً من الأنصار اتباعاً لذلك .

فقال محمد : يا أبا هاشم وما سنة الحمار ؟ قال : « لم يمض مائة على نبوة قط إلا انقضى أمرها لقوله تعالى عز وجل (أو كالذي مرّ على قرية . الآية الخ) فاذا دخلت مائة سنة فابعث رسلك ودعاتك فان الله متمم أمرك . ومات أبو هاشم بعد أن دفع الكتاب إلى محمد بن علي سنة ٩٧ .

ويروي أبو الفرج الاصبهاني المتوفى سنة ٣٥٦ في كتابه - مقاتل الطالبيين الذي ألفه عام ٣١٣ في ترجمة أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية « كان عبد

الله لسناً خصماً عالماً وكان وصي أبيه وهو الذي يزعم الشيعة في خراسان أنه ورث الوصية عن أبيه ، وأنه كان الامام وانه أوصى إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وأوصى محمد إلى ولده ابراهيم فصارت الوصية في بني العباس من تلك الجهة .

ثم روى عن جماعة أن أبا هاشم وفد على سليمان بن عبد الملك يقضي حوائجه ثم تجهز للسير الى المدينة فقدم ثقله . فأبى سليمان إلا ليودعه فحبسه عنده حتى تغذى معه في يوم شديد الحر وخرج نصف النهار وسار ليلحق بالثقل فعطش فدس اليه سليمان شربة فلما شربها فتر فسقط وأرسل رسولاً إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وعبد الله بن الحرث بن نوفل يعلمهما حاله فخرجا اليه فولياه حتى مات ودفن بالحمية — من أرض الشام ، وأوصى الى محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس .

أما صاحب عقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي يقول : في كتابه المذكور ج - ٣ ص ١٠٠ – ٣٠١ بعد أن روى ما ذكره اليعقوبي من وفود أبي هاشم على سليمان وخروجه من عنده وسقيه السم ودخوله على محمد بن علي في الحمية من أرض الشراة يقول :

« فقال أبو هاشم لمحمد بن علي يا بن عمي اني ميت وقد صرت اليك وأنت صاحب هذا الأمر وولدك القائم به ثم أخوه من بعده ، والله ليتمن هذا الأمر حتى تخرج الرايات السود من قعر خراسان ، ثم ليغلبن ما بين حضرموت وأقصى أفريقيا ، وما بين غانة إلى أقصى فرغانة ، فعليك بهؤلاء الشيعة واستوص بهم خيراً فهم دعاتك وأنصارك ، ولتكن دعوتك في خراسان لا تعدوها لا سيما مرو ، واستبطن هذا الحي من اليمن فان كل ملك لا يقوم به فمصيره إلى انتقاض وأنظر هذا الحي من ربيعة فألحقهم بهم فإنهم معهم في كل أمر ، وأنظر هذا الحي من قيس وتميم فاقصهم إلا من عصم الله منهم ، وذلك قليل ، ثم مرهم أن

يرجعوا فليجعلوا اثنى عشر نقيباً ، وبعدهم سبعين نقيباً ، فان الله لم يصلح أمر بني اسرائيل إلا بهم ، وقد فعل ذلك النبي ﷺ فاذا مضت سنة الحمار فوجه رسلك إلى خراسان منهم من يقتل ومنهم من ينجو حتى يظهر الله دعوتكم . قال محمد بن علي : يا أبا هاشم وما سنة الحمار ؟ قال انه لم تمض ماءة سنة من نبوة قط إلا انتقض أمرها بقوله تعالى « أو كالذي مر على قرية الخ » وأعلم أن صاحب هذا الأمر من ولدك عبد الله بن الحارثية ثم عبد الله أخوه ، ولم يكن لمحمد في ذلك الحين ولد اسمه عبد الله ، فولد له من الحارثية ولدان سمى كل واحد منهما عبد الله وكنى الأكبر ابا العباس والأصغر أبا جعفر فوليا جميعاً الخلافة ، ثم مات أبو هاشم وقام محمد بن علي بالأمر بعده واختلفت اليه الشيعة فلما ولد أبو العباس أخرجه لهم في خرقة ، قال : لهم هذا صاحبكم فجعلوا يلحسون أطرافه ، وولد أبو العباس في أيام عمر بن عبد العزيز ، ثم قدم الشيعة على محمد بن علي فأخبروه أنهم حبسوا بخراسان في السجن ، وكان يخدمهم فيه غلام من السراجين ما رأوا قط مثل عقله وظرفه ومحبته لأهل بيت رسول الله ﷺ يقال له أبو مسلم [1] فقال محمد بن علي : أحر أم عبد ؟ قالوا : أما عيسى فيزعم إنه عبد

---

١ ـ اختار العباسيون لدعوتهم العناصر الموتورة والمنكوبة ، وما اكثر الموتورين والمنكوبين يومذاك في بلاد فارس وما وراء النهر .
كان في مقدمة من اختارتهم الدعوة العباسية ليكون قادة ونقباء من الموتورين ابو مسلم الخراساني عبد الرحمن، او ابراهيم بن عثمان ، ولكي يكون القارىء على علم من ترجمة ابي مسلم وكيف انه نكب بأبيه وكفيله واصبح في طليعة الموتورين ، يقول المؤرخون :
كان عثمان ابو عبد الرحمن الذي كني بأبي مسلم ، من اهالي قرية ماخون ، على ثلاثة فراسخ من «مرو» عاصمة خراسان ، وكانت القرية ملكا له ، فضمن خراج رستاق ـ فريدون ـ كعادة الدهاقين ، فعجز عن تأدية ما عليه من خراج ، فقبض عليه عامل الامويين هناك وارسله الى الكوفة ، وكانت معه جارية يحبها حبا شديدا ، وكانت
=

وأما هو فيزعم إنه حر ، قال : فاشتروه وأعتقوه وأجملوه بينكم إذا رضيتموه وأعطوا محمد بن علي ماءة الف كانت معهم فلما انقضت الماءة سنة بعث محمد بن علي رسله إلى خراسان فغرسوا بها غرساً وأبو مسلم المقـــدم عليهم ، وثارت

=

حامل ، فتحايل عثمان على حارسه ففر الى اذربيجان ، وهي معه ، ولما بلغا رستاق ـ قايق ـ تركها عند عيسى بن معقل فذهب بنفسه الـــى اذربيجان فمات هناك ، وولدت جارية عثمان عند عيسى ولد سماه عيسى عبد الرحمن وكناه ابراهيم الامام بأبي مسلم واشتهر بكنيته وعـــرف بالخراساني ، تربى ابو مسلم في دار عيسى ، وهو يظن انه من اولاده، وكان عيسى واخوه ادريس يضمنان الخراج ايضا فأصابهما مـــا اصاب عثمان ، فقبض عليهما عامل اصفهان وشكاهما الى عامل الامويين علـــى الكوفة خالد القسري ، فبعث من حملهما الى الكوفة فحبسهما فلحـــق بهما ابو مسلم وصار يخدمهما في السجن ، واتفق ان جاءت جماعة من دعـــاة العباسيين الـــى الكوفة سرا فاتصل بهم ابـــو مسلم فشجعوه على الانضمام اليهم بعد ان عرفوا فيه الذكاء والفطـــنة ، واعجبهم عقلـــه ومعرفته فانضم اليهم وجاءوا به الى مكة فقدموه الى ابراهيم الامـــام وكان محمد بن علي قد مات فأعجب به وتوسم فيه الخير ، ولما عاد وفد النقباء الى ابراهيم وطلبوا منه ان يولي امرهم الى قائد فدفـــع اليهـــم ابا مسلم وامره عليهم بعد ان كان قد اختبر اخلاصه وتفانيه وعداوتـــه لال امية ، وال مروان ، وامر كبار دعاته والنقباء بطاعته .

وهكذا اختار العباسيون خالد بن برمك ـ الذي كان ابوه مجوسيا صاحب ـ النوبهارا ـ اي بيت النار ـ ومن كبار رجال الدين ومن عظماء الفرس في مدينة بلخ ، وكان خالد قد اسلم وهو ذو فطنة وعقـــل وبطش ودهاء بعد ان مات ابوه ، وتشيع لال العباس انتقاما من بني اميـــة ، والتماسا للسلطان والنفوذ اذا قامت الدولة باسمهم . وعلى هذا الاساس كان اختيار العباسيين لقادتهم ودعاتهم ونقبائهم .

كتاب ابـــو مسلم الخراساني لجرجي زيـــدان ص ٢٤ ، المصـــدر نفسه ص ١٨ . وقد ذكر ابن الاثير ترجمته في حوادث سنة ١٢٤ وذكر الخلاف في اسمه وجنسه ونسبه مفصلا .

الفتنة في خراسان بين المضرية واليمانية ، فتمكن أبو مسلم وفرق رسله في كور خراسان يدعو الناس إلى آل الرسول فأجابوه » .

أما ابن أبي الحديد المعتزلي فقد روى في كتاب شرح النهج عن شيخه أبي جعفر النقيب في المجلد الثاني ص – ٣٠٩ – ٣١٠ طبع دار الفكر ببيروت فقال « قال أبو جعفر في معرض السؤال منه عن كيفية وصول أبناء الدولة العباسية إلى الأمويين وزوال ملكهم على يديهم فأجــاب في خبر طويل نذكر منه ما يتعلق بهذا الموضوع « ان أصل هذا كله محمد بن الحنفية وابنه عبد الله المكني بأبي هاشم فقد كان محمد صرح بالأمر إلى عبد الله بن العباس بالأمر وعرفه تفصيله . ولم يكن الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام قد فصل لعبد الله بن العباس الأمر وانما أخبره مجملا كما في الخبر (خذ اليك أبا لا ملاك[1]) ونحو ذلك ولكن الذي كشف النقاب وأبرز المستور هو محمد بن الحنفية وكذلك أيضاً مــا وصل إلى بني أمية من علم هذا الأمر فانه وصل من جهة محمد بن الحنفية وأطلعهم على السر الذي علمه ولكن لم يكشفه لهم كما كشفه لعبد الله بن العباس . وأمــا أبو هاشم فقد كان أفضى بالأمر إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وأطلعه عليه وأوضحه له وذلك لما حضرته الوفاة عقيب منصرفه من عند الوليد بن عبد الملك ابن مروان . مر بالشرات وهو مريض ومحمد بن علي بها فدفع اليه كتبه وجعله وصيه وأمر الشيعة بالاختلاف اليه . قال أبو جعفر : وحضر وفاته ثلاثة نفر من بني هاشم هم محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، ومعــاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب ، فلما مات أبو هاشم خرج معاوية بن عبد الله ومحمد بن علي وكل واحــد منهما يدعي وصايته ، فأما عبد الله بن الحرث فلم يقل شيئاً وصدق محمد بن علي انه اليه أوصى أبو هاشم واليه دفع كتاب الدولة وكذب معاوية بن عبد الله . وأما

(١) ان هذا الخبر موضوع كما سيأتي.

معاوية فقد قرأ الكتاب فوجد فيه ذكراً يسيراً فأدعى الوصية بذلك ، فمات وخرج ابنه عبد الله بن معاوية يدعي وصية أبيه ويدعى لأبيه وصية أبي هاشم، ويظهر الانكار على بني امية ، وكان له شيعة يقولون بامامته سراً حتى قتل » وقد اتبعه في خروجه على الأمويين – الخوارج – والعباسيون والمغضوب عليهم من الأمويين – وجمع من الشيعة لأنه كان يدعو إلى الرضا من آل محمد ﷺ كما يقول الشيبي في كتابه الصلة بين التشيع صفحة (١٣٧) .

أما النوبختي فيروي في كتابه فرق الشيعة (ص ٢٨ – ٢٩ – ٣٠) وتزعم فرقة ان أبا هاشم أوصى إلى محمد بن علي بن عبد الله وكان صغيراً فدفع الوصية إلى أبيه علي بن عبد الله وأمره أن يدفعها اليه إذا بلغ . كما تزعم فرقة اخرى أنه أوصى إلى عبد الله بن معـــاوية بن عبد الله بن جعفر وكان صغيرا فدفع الوصية إلى صالح بن مدرك وأمره أن يحفظها حتى يبلغ عبد الله فيدفعها اليه . وزعمت جماعة إلى أن أبا هاشم أوصى إلى أخيه علي بن محمد بن الحنفية وأن الذين ذكروا أنه أوصى إلى محمد بن علي غلطوا في الاسم ثم أوصى علي بن محمد إلى ولده الحسن « الخ » .

ويقول الشهرستاني في الملل والنحل المطبوع بهامش الفصل لابن حزم ج – ١ – (ص ١٥٧) بعد أن ذكر اختلاف القائلين بامامة أبي هاشم والشخص الذي أوصى اليه أبو هاشم قال: «ان بين أصحاب عبد الله بن معاوية ومحمد بن علي بن عبد الله بن العباس خلاف شديد في الامامة . فان كل واحد منهما يدعي الوصية من أبي هاشم اليه ، ولم تثبت الوصية على قاعدة تعتمد » ونقل الشهرستاني ما أورده النوبختي كما تقدم .

ويقول ابن الأثير في الكامل في حـــوادث سنة ١٠٠ هـ « اجتمع ابو هاشم بسليمان فأكرمه وقضى حوائجه ، ورأى من علمه ما حسده عليه وخافه ، فوضع عليه من وقف على طريقه فسمه في لبن ، فلما أحس أبو هاشم بالشر قصد

الحمية من أرض الشراة وبها محمد بن علي فنزل عليه وأعلمه إن هـذا الأمر صائر إلى ولده وعرفه ما يعمل وكان أبو هاشم قد أعلم شيعته من أهل خراسان والعراق عند ترددهم اليه ان الامر صائر الى ولد محمد بن علي بن عبد الله وأمرهم بقصده بعده فلما مات أبو هاشم قصدوا محمد وبايعوه»

ويقول ابن الأثير في الكامل في حوادث ١٣٢ « قال أبو هاشم : لمحمد ابن على ان هذا الأمر الذي يرتجيه الناس فيكم فلا يسمعنه أحد منكم »

ابطال الوصية

ان الامور التي توجب اختلاق هذه الوصية وبطلانها كثيرة – أولها – وفي مقدمتها ما ذكرناه من ان محمد بن الحنفية لم يدع الامامة ولا رشح نفسه لها ، وأثبتنا بطلان قصة الحجر الاسود وما نسب الى المختار من أنه كان يدعو الى محمد بن الحنفية في الدور الأول .

ثانيها – ان من قال ، بامامة أبي هاشم قال : ان الامامة عهدت اليه من قبل أبيه محمد بن الحنفية وحيث قد تقدم بطلان زعم القائلين بامامة محمد فلا يمكن أن يكون أبو هاشم اماماً عن طريق أبيه ، ولا يوجد من يزعم بأن امامة أبي هاشم جاءت عن طريق آخر .

ثالثها – ان ما أورده اليعقوبي وابن عبد ربة في كيفية الوصية وموت أبي هاشم يعارض ما أورده الاصبهاني في مقاتل الطالبين وذلك ان اليعقوبي وابن عبد ربة زعما ان أبا هاشم دخل على محمد بن علي داره فأوصى اليه ومات عنده ، الأمر الذي لا يقول به الاصفهاني لأنه زعم ان أبا هاشم لما أحس أنه مآئت أرسل الى محمد بن علي ان يخرج اليه فخرج ومعه عبد الله بن الحرث وتوليا أمره ولم يشر من قريب أو بعيد الى هذه الوصية التي يرويها اليعقوبي وابن عبد ربة ، واكتفى بقوله انه أوصى اليه ، وان صح قوله هذا فوصيته الى محمد

ابن علي لم تتعد وصية كل مسلم الى أخيه ، لأن الوصية من الامور المندوبة لقوله ﷺ « من مات ولم يوص مات ميتة جاهلية » أضف الى ذلك ان ابن عبد ربه لم يذكر ما أورده اليعقوبي « هذه وصية أبي ومنها ان الأمر صائر اليك »

رابعها ـ ان ما أورده ابن عبد ربه من ان محمد بن علي لم يكن له في ذلك الحين ولد اسمه عبد الله يكذبه هو بنفسه في ـ ص ١٧٩ ـ من كتابه المذكور وذلك في قوله ـ ان المنصور عبد الله بن محمد بن علي المكنى بأبي جعفر ولد عام ـ ٩٥ ـ هـ ـ أي قبل وفاة أبي هاشم بسنتين .

خامسها ـ ان المنصور لم يكن من الحارثية ام عبد الله المكنى بأبي العباس ، وان محمد بن علي تزوج الحارثية في عهد عمر بن عبد العزيز بعد ان أذن له في زواجها لأن سليمان بن عبد الملك كان قد منعه من زواجها كما سيأتي .

سادسها ـ ان ما رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج عن شيخه أبي جعفر النقيب يخالف ما ذكره ابن الاثير وابن عبد ربه وأبوالفرج الأصفهاني من أن أبا هاشم بعد ان انصرف من عند سليمان بن عبد الملك الى آخر ما ذكروه فقال: ان أبا هاشم لما حضرته الوفاة عقيب منصرفه من عند الوليد بن عبد الملك وهذا غير صحيح لأن الوليد مات قبل أبي هاشم بسنة أي كان وفـــاته سنة ٩٦ هـ وسيأتي ابطال ما أورده ابن أبي الحديد عن شيخه من أن علياً أخبر عبد الله ابن العباس مجملاً في خبر خـــذ اليك أبا الأملاك ، هذا الخبر الذي وضعه العباسيون في جمـلة المغيبات الي طرحوها لايهام الناس من ان خلافتهم اتية لا ريب فيها .

سابعها ـ ان الذي صاغ فقرات هذه الوصية كما رواها اليعقوبي وابن عبد ربه ، قد أعماه الغرض وأضاع رشده الباطل ، فراح ينسب إلى حفيد الامام علي عليه السلام مالا يمكن أن ينسب إلى الشفاة وفا قدي الضمير ، والجهلة بأحكام

الدين المتجردين من المروة والشهامة والانصاف !!

أعتبر واضعوا هذه الوصية حفيد الامام وهو يوصي محمد بن علي بهذه الوصية الى ما يجب ان يفعله في سبيل الدعوة ، أشد من زياد وأقسى من الحجاج وأفتك من بسر بن أرطاة ، وامثالهم من مصاصى الدماء وقاتلي الأبرياء ، تصوره وهو يتلو الخطة العباسية الجهنمية الامام الاول لبني العباس ابراهيم بن محمد ، وهو يملي على ابي مسلم كتاب ولايته ودستور حكمه دون ان يشعر بغبة ما يختلقه من الجمل والكلمات والأوامر والتعليمات ونسبها الى الامام علي عليه السلام ومنه يقول انتقلت إلى ولده محمد ثم إلى حفيده ابي هاشم الذي نقلها إلى محمد بن علي بن العباس .

إن هذه الأوامر والتعاليم لا يمكن أن تصدر من مصدر الإنسانية أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي من بعض فضائله العدل والحق والشفقة والرحمة والمروءة والعفة والعفو والسماح والاحسان إلى المسيئين اليه ، كما لا يمكن صدورها من ولده محمد الذي كان احسن مترجم عن ابيه لتلك الفضائل ، وانه كان رجلا صالحا مسالما لا يرى في اراقة الدماء وسيلة لدفع الظلم ولا يرضى الشر لعدوه والوقيعة بمن خاصمه وظلمه ، وقد تقدم ان عبد الله بن الزبير حبسه وجماعة من بني هاشم وارسل المختار من كسر عليهم الحبس واطلقهم ، وارادوا الفتك بابن الزبير فمنعهم محمد ولم يرض أن يمس ابن الزبير بأذى .

وهكذا كان حفيد علي وابن محمد ابو هاشم سائراً على نهج جده وابيه مهتديا بهديهما مقتفيا آثارهما . ان من كانت هذه بعض فضائله اجل وارفع واسمى من ان يأمر بقتل الأبرياء وابادة الناس بالجملة بمجرد التهمة والظنة ؟

ان نسبة الجهل للامام علي عليه السلام باب مدينة العلم علم الرسول صلى الله عليه وآله جهل لا يغتفر ، أليس من المضحك ان ينسب الى امام العلماء وكهف العارفين مثل

هذا الهذيان والهجر كقوله والعيـــاذ بالله « لم يمض على نبوة قط مائة سنة إلا وانقضت امرها » ؟ . أي كفر أشد من هذا الـكفر ؟ واي هذيان اسخف من هذا القول ؟ :

أترى أن علياً وقد وضع نفسه في كفة يقاتل الابطال ويقذف بنفسه في لهب الحروب في سبيل نشر الاسلام كان لا يريد للاسلام بقاء أكثر من قرن واحد ؟

ان الباطل حيث يدل بنفسه على نفسه قد اعمى الواضع لهـــذه الوصية التي تصرخ في وجه العباسيين وعملائهم الذين ثاروا على الأمويين وشعارهم النزول على حكم الله والرجوع إلى الاسلام والتمسك بالدين الحنيف !!

إن الامويين مهما ارتكبوا من الشر ودسوا في الحديث وانحرفوا عن الاسلام لم يتجرأوا بإتيان مثل هذا القول الذي يجعل يوم خروج بني العباس يوم ختام الدين وانقضاء النبوة المحمدية والعياذ بالله .

ثامنها – إن من أصدق الدلائل على وضع العباسيين وافتعالهم لهذه الوصيـة التي نسبوها إلى الامام علي عليه السلام أنهم أنفسهم لم يثقـــوا بها ولم يؤمنوا بها على الرغم من أنهم بالغوا بدقة في رسم بنودها وحرصوا على تنفيذها بشـدة ، ففي الوقت الذي كانت دعاة العباسيين في بلاد ما وراء النهر يعملـون بجد على ضوء هذه الوصية ، في سبيل الدعوة لهم كان العباسيون يلتفون من حول العـــلويين ويركضونن وراء كل من خرج يطالب الخلافة لنفسه أو للرضـا من آل البيت ويحضرون المؤتمرات التي كانت تعقد سراً بين بني هاشم من العلويين والطالبيين والعباسيين لاسيما المنصوص عليهم بالوصية ابراهيم الامام وإبو العباس والمنصور ، وكان الأخـير منهم أكثر حماساً وتحريضاً على بيعة محمـد بن عبد الله بن الحسن المثنى، من ابيه عبد الله الذي كان يرى في ولده محمد المهدي المنتظر ، وهذا ينافي ما جاء في الوصية من أن ابا هاشم أوصى الى الشيعة ان تقصد محمدبن علي بعد وفاته ، وإن الشيعة كانت ترجع اليه بعد وفاة ابي هاشم ، نذكر على سبيل

الاستشهاد ببعض الوقائع التي تثبت ما ذكرناه .

مؤتمر الابواء :

يقول المؤرخون : ان عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب المعروف – بالحسن المثنى – كان يرشح للخلافة ولده محمد ويرى انه افضل الهاشميين واليق العلويين لتولي الخلافة نظراً لعلمه وزهده وفقهه وتقواه ؛ واعتقاده هذا بولده محمد جعله أن يطوف المجتمعات ويدعو الناس الى بيعته ، وما انفك يعقد الاجتماعات والمؤتمرات لذلك ، وكان من أهم المؤتمرات والمجالس السرية التي عقدها عبد الله مؤتمر الأبواء الذي عقد بين مكة والمدينة ، وقد ذكر ما دار في هذا المؤتمر عدد كبير من المؤرخين – منهم الطبري وابن ابي الحديد وابو الفرج الاصفهاني والمسعودي وغيرهم ، ولما كان الاصفهاني في - مقاتل الطالبيين – قد ذكر تفصيلا ما دار في هذا المؤتمر،وجمع مختلف الروايات وما ذكره الرواة والمحدثون نورد ما ذكره في ص ١٤٢ – ١٤٥ – ١٧٥ – ١٧٦ ١٧٨ روى الحديث عن ثلاثة عشر محدثا عن عيسى بن عبد الله بن محمد ابن عمر قال: حدثني أبي أن جماعة من بني هاشم اجتمعوا بالأبواء وفيهم ابراهيم ابن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس وأبو جعفر المنصور وعمهما صالح بن علي وعبد الله بن الحسن وأبناءه محمد وابراهيم ومحمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان فقال صالح بن علي . قد علمتم أنكم الذين تمد الناس أعينهم اليكم وقد جمعكم الله في هذا الموضع فاعقدوا بيعة لرجل منكم ، تعطونه اياها من أنفسكم وتواثقوا على ذلك حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين ، فقام عبد الله بن الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : قد علمتم أن ابني هذا هو المهدي وأشار إلى محمد فهلموا فبايعوه فقال أبو جعفر: لأي شيء تخدعون أنفسكم والله لقد علمتم ما الناس إلى أحد منكم أسرع اجابة منهم إلى هذا الفتى يعني محمد بن عبد الله ابن الحسن قالوا : فقد والله صدقت إن هذا الذي فعلتم فبايعوا جميعاً محمداً ومسحوا على يده قال : عيسى وجاء رسول عبد الله بن الحسن إلى أبي أن أتنا

فاننا مجتمعون لامر وارســـل بذلك إلى جعفر بن محمد عليه السلام هكذا قال : عيسى وقال غيره من المحدثين قال لهم عبد الله بن الحسن لا نريد جعفر لئلا يفسد عليكم الأمر قال عيسى : فأرسلني أبي أنظر ما أجمعوا عليه وجاء أبو عبد الله جعفر بن محمد فوسع له عبد الله بن الحسن فاجلسه إلى جانبه فتكلم بمثل كلام الأول فقال جعفر : لا تفعلوا فان هذا الأمر لم يأت ، فلا والله لا ندعك وأنت شيخنا ونبايع ابنك ، فغضب عبد الله وقال : لقد علمت خلاف ما تقول ولكن يحملك على هذا الحسد لإبني ، فقال : ما والله ولكن هذا وإخـــوته وأبناؤهم دونكم وضرب بيـده على ظهر أبي جعفر ثم ضرب بيده على كتف عبد الله بن الحسن وقال : إنها والله ما هي اليـــك ولا إلى ولدك ولكنها لهم وإن ولديك لمقتولان ثم نهض متوكأ على يد عبد العزيز بن عمران الزهري فقال : أرأيت صاحب الرداء الأصفر يعني أبا جعفر قلت نعم فانا والله نجده يقتله قال الزهري يقتل محمدا ؟ فقال جعفر بن محمد نعم قال فقلت في نفسي حســـده ورب الكعبة ، ثم قال : والله ماخرجت من الدنيا حتى رأيت قتلها أي قتل المنصور محمد وابراهيم .

ويعد المؤرخون السبب الذي كان يطارد المنصور محمـــد بن عبد الله بن الحسن إنه كان له بيعة في عنقه ، وروى المصدر نفسه في ص ١٤٥ أن أبا جعفر المنصور بايع محمد بن عبد الله مرتين وروى أبو الفـرج في ص ١٧٥ - ١٧٦ في مقاتل الطالبيين هذا الحديث عن أربعة عشر محدثا ذكر أسماءهم غـــير رواة الحديث الأول وقال بعـــد ذكر المحدثين أن كل هؤلاء قد رووا هذا الحديث بألفاظ مختلفة ومعان قريبة فجمعت رواياتهم بتكرير الاسانيد « ان بني هاشم اجتمعوا فخطبهم عبد الله بن الحسن فحمد الله واثنى عليه ثم قال : انكم أهـل البيت قد فضلكم الله بالرسالة واختاركم لهـا وأكثركم بركة يا ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبنو عمه وعشيرته وأولى النـاس بالفزع إلى أمر الله وقد ترون كتـاب الله معطـلا وسنة نبيه متروكة ، والبـاطل حياً

والحق ميتا قاتلوا في الطلب لرضاء الله قبل أن ينزع منكم اسمكم فتهونون عليه كما هانت بنو اسرائيل وكانوا احب الخلق اليه ، وإننا لم نزل نسمع ان هؤلاء القوم (ويقصد بني مروان) إذا قتل بعضهم بعضاً خرج الامر من أيديهم فقد قتلوا الوليد بن يزيد [1] فهلم نبايع محمداً فقد علمتم أنه المهدي فقالوا : لم يجتمع أصحابنا بعد ولو اجتمعوا فعلنا ولسنا نرى ابا عبدالله جعفر بن محمد فأرسل اليه عبد الله بن الحسن فأبى أن يأتي فقام عبد الله وقال : انا آت به الساعة فخرج بنفسه حتى اتى مضرب الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحرث فاوسع له الفضل ولم يصدره لأن الفضل كان أسن منه فقام له جعفر فصدره لأنه كان اسن منه ثم خرجوا الى محل الاجتماع فدعا عبد الله الى بيعة محمد فقال له: جعفر انك شيخ ان شئت بايعتك واما ابنك فوالله لا ابايعه وادعك ويقول عبد الاعلى في حديثه وهو من رواته ان عبد الله بن الحسن قال : لا ترسلوا الى جعفر فانه يفسد عليكم ، فأبوا قال : قد علمت ما صنع بنو امية وقد رأينا أن نبايع محمداً فقال : لما اتاهم وانا معهم فأوسع له عبد الله الى جانبه وقال : لا تفعلوا فإن الامر لم يأت بعد فغضب عبد الله : وقال لقد علمت خلاف ما تقول ولكنه يحملك على ذلك الحسد فقال: جعفر لا والله ما ذلك يحملني ولكن هذا واخوته وابناؤهم وضرب بيده على ظهر ابي العباس ثم نهض فاتبعه عبد الصمد وابو جعفر المنصور فقالا يا أبا عبد الله اتقول ذلك؟؟ فقال: نعم والله اقوله واعلمه ثم صار ابو الفرج يذكر مواضع الخلاف في الروايات وكلها تشير الى ان من حضر ومنهم المنصور وابراهيم والسفاح اولاد محمد بن علي بن عبد الله بن العباس قد بايعوا لمحمد في هذا المؤتمر وخالفهم في ذلك جعفر بن محمد – ع – فلم يبايع وهذا الحديث يحدد لنا سنة الاجتماع هذا بما ورد في خطبة عبد الله بن الحسن قوله واننا لم نزل نسمع ان هؤلاء القوم اذا قتل بعضهم بعضا خرج الامر من ايديهم فقد قتلوا الوليد بن يزيد وان تاريخ قتل الوليد بن يزيد كان سنة ١٢٦ من

---

(١) اليعقوبي في تاريخه – ج – ٣ ص ٧٦ .

الهجرة اى بعد تسعة وعشرين سنة من وصية ابي هاشم لمحمد ويؤيد ذلك غياب محمد وحضور اولاده الثلاثة ابراهيم والمنصور والسفاح واخيه صالح بن علي وفي المصدر نفسه ص ١٧٥ عن يحي بن الحسن قال : فيما حدثني به احمدبن سعيد انه قال: يعقوب بن عربي سمعت المنصور يقول في ايام بني امية وهوفي نفرمن بني امية ما في آل محمد اعلم بدين الله ولا احق بولاية الامر من محمد بن عبد الله وبايع له .

ذكر المسعودي في مروج الذهب ـ ج ـ ٣ ـ ص ١٤٣ وابن الاثير في حوادث سنة ١٤٩ أن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر لما خرج على مروان بن محمد سنة ١٢٦ واحتل بعض بلاد فارس وأسس هناك دولة كان ممن التحق به المنصور أبو جعفر وعمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس وأخوه عيسى بن علي ، وقد ولى ابن معاوية المنصور على ـ ايذج ـ ، ولما انتصر ابن ضبارة القائد الأموي على ابن معاوية ودمر جيشه كان من جملة الأسرى عبد الله ابن علي عم المنصور كما سيأتي في ترجمة عبد الله بن معاوية .

تاسعاً ـ نسب العباسيون في هذه الوصية أن الإمام علياً عليه السلام هو الذي اختار لهم خراسان مكاناً صالحاً لدعوتهم ، الأمر الذي يكذبه ما ذكره ابن ابي الحديد في شرح النهج ـ ج ـ ٣ ـ ص ٧٢٧ طبع بيروت قال :

« قال محمد بن علي : لرجال الدعوة والقائمين بأمر الدولة حين اختيارهم للتوجه . وانتخبهم للدعاء وحين قال بعضهم : ندعو بالكوفة ، وقال بعضهم ندعو بالبصرة ، وقال بعضهم : ندعو بالمدينة ، وقال بعضهم : ندعو بمكة . وقال بعضهم : ندعو بالجزيرة ، وقال بعضهم : ندعو بالشام ، واحتج كل انسان لرأيه واعتل لقوله ، قال محمد بن علي : أما الكوفة وسوادها فشيعة علي وولده ، وأما البصرة فعثمانية تدين بالكف ولا يعينون أحد على أحد ، وأما الجزيرة فحرورية مارقة ، والخارجية فيها فاشية ، اعراب كا علاج مسلمون في اخلاق النصارى ، وأما الشام فلا يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان

عداوة راسخة وجهلا متراكماً ، واما مـكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر ، لا يتحرك معنا في أمرنا هذا منهم أحد ، ولا يقوم بنصرنا إلا شيعتنا أهل البيت ، ولكن عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير ، والجلد الظاهر ، وصدوراً سليمة ، وقلوباً مجتمعة لا يقسمها الاهواء ، ولا تتوازعها النحل ، ولم يشغلها ديانة ، لا هدم فيهم ولا فساد ، وليس لهم همّ العرب ، ولا فيهم عصبية كعصبية العشائر ، ولا تجارب لهم كتجارب الاتبـاع والسادات ، ولا تحالف كتحالف القبائل ، وما زالوا ينالون ويمتهنون ويظلمون فيكظمون ،وينتظرون الفرج ويأملون دولة ، وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب ، وأصوات هائلة ، ولغات فخمة تخرج من أفواه منكرة .

في هذه الأوساط وبين تلك الاجسام الهائلة واللغات الفخمة التي لا تعرف ديناً ولا شريعة نشر دعاة العباسيين دعوتهم

ففي ما ذكره ابن أبي الحديد في هذه الرواية ما ينكر هذه الوصية ويثبت افتعالها جملة وتفصيلاوذلك في قولمحمد بن علي،لما عرضواعليه اختيار الكوفة مكاناً للدعوة ، قال : ان الكوفة وسوادها شيعة علي وولده ، إذاً فمن هم كانوا اولئك الشيعة الذين أوصاهم أبو هاشم بالرجوع الى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بعد أن عهد بالأمر من بعده إليه ، ؟ ومن هم الشيعة الذين عنـاهم في وصيته أنهم القادة وأعوان ؟ واستوصى بهم خيراً وأمر محمداً أن يجعلهم من من بطانته ؟.

كان محمد بن علي بن العباس موفقا في اختيار خراسان مكاناً لنشر دعوته ، وقد اظهر في هذا الاختيـار الاسباب التي تجعل خراسان أحسن مكاناً لنشر دعوته لأن منطقة خراسان كانت من أوسع المناطق الخاضعة لدولة الاسـلام ، كثيفة بالسكان من مختلف العناصر ، كالترك ، والديلم – والفراغنـة ، والاشروسنة ، والفرس ، وتشتمل على بلاد ما وراء النهر – والصغد وسجستان

والخوارزم ، وغزنة ، وكاشغر ، ومعظم بلاد الأفغان ومن أهم مدنها بلخ ، وبخارى ، وسمرقند،ونيسابور ، وكان معظم أهل تلك المنطقة على دين المجوسية لا سيما الامراء والدهاقين ، وهؤلاء الأصناف بعد الفتح الاسلامي كانوا يديرون امورا لبلاد ويجبون للدولة الخراج عن طريق ضمانه من الولاة، ويقسون في جباية الخراج من الناس ، وكان الخراج في العهد الأموي يجبي من المسلم وغير المسلم وهكذا كانت تجبى ضريبة الجزية ، الأمر الذي أرهق كاهل الناس وأصبح الجميع ينتظرون الفرج والخلاص من الحكم الأموي ، الذي كان آخذاً بخناقهم كما أشار محمد بن علي إلى ذلك بقوله « وما زالوا ينالون ويمتهنون فيكضمون » .

هلم بنا أيها القاريء الكريم نبحث عن مصدر هذه الوصية ، يقول عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس : عندما هربنا من مروان بن محمد لما قبض على ابراهيم الامام جعلنا نسخة الصحيفة التي دفعها ابو هاشم الى محمد بن علي بن عبد الله في صندوق من نحاس صفر ثم دفناه تحت زيتونات بالشراة لم تكن بارض الشراة زيتونات غيرها . فلما انتهى الينا السلطان وملكنا الامر ارسلنا الى ذلك الموضع نبحث وحفرنا فلم نجد شيئا فامرنا بحفر جريب من الارض في تلك الموضع حتى بلغ الحفر الماء لم نجد شيئا .

هذه حكاية الوصية المزعومة وقصة كتاب الدولة وصحيفة سر بني العباس التي صاغتها الخيال وخلقتها السياسة العباسية في دار محمد بن علي بن عبد الله بن العباس . وكان من نتاجها — الكيسانية — المزعومة وتبنى العباسيون تلك المخلوقة الشوهاء وراحوا يموهون بها على البسطاء والمغفلين والمظلومين فى العراق وايران عن طريق دعاتهم فانقاد اليهم المضطهدون والمنكوبون — والمغفلون والمعذبون والبلهـــاء والانتهازيون والباحثون عن الحياة والمال والسلطان في اروقة الحاكمين او من سيتولى الحكم ، فبنوا على جماجمهم الدولة العباسية التي تَرَحَّمَ المسلمون ساعة ولادتهـــا على الامويين ، ونال العلويون بنوعمهم من القتل والتعذيب في الحبوس ما لم ينله احد منهم في عهد زياد والحجاج وعبيد الله بن زياد وغيرهم من السفاكين والارهابيين . لم يحدثنا التاريخ ان احد من — العلويين

نال من الظلم والجور في عهد الامويين بمقدار ما ناله في دولة بني عمهم العباس .

هذه هي قصة الوصاية أو حكاية صحيفة السر ، أو كتاب الدولة ، التي ابتدعتها المصلحة العباسية ، ثم تمخضت عن وليدتها المشوهة – الكيسانية – وراح كل متهتك زنديق يدعي امامتها بدافع من نفسه أو بأجر ساومه عليه خصوم الشيعة للنيل من كرامة التشيع والانحراف بعقيدة الشيعة التي تجلت احقيتها للمسلمين ، ولا شيء أدل على ابتـــداعها من أن الذين تنادوا بها كانوا من احط الناس قدراً ، وأكثرهم تهتكا وزندقة ، كحمزة بن عمارة البربري الذي نكح ابنته ، وبيان وصائد الفاسقان الكافران ، وعبد الله بن الحـــارث الزنديق وصالح بن مدرك المتهتك ، وغيرهم من الدجالين والمشعوذين ، وبعد أن قضى العباسيون منها غايتهم أنكروها واعتبروا القائل بها كافراً فاصبحت الكيسانية تهمة تلاحق المعارضين لدولة بني العباس أو الخارجين على سلطانهم كما سيأتي في دور – الكيسانية – الثالث هذه هي أيها القارىء الكريم المآخذ التي تثبت وضع الوصية التي نسبت إلى ابي هاشم حفيد الإمام علي عليه السلام الذي كان ارفع واسمى واجل من ان يصدر منه مثل هذا الهذيان.

سياسة البطش والقتل :

اتخذ العباسيون من بنود هذه الوصية المفتعلة ذريعـــة لتبرير سياستهم – الميكافيلية – الغاية تبرر الواسطة – فاستعملوا سياسة البطش والشدة وأخذ الناس بالتهمة والشك والظنة ، وطبق هذا البند من مخطط العبـــاسيين معظم الخلفاء وقوادهم وعمالهم على البلاد ، لا سيما المنصور وعبد الله بن علي الذي كان يأمل أن يكون الخليفة بعد ابن أخيه أبي العباس ، ومما فعله هذا الأخير بعد أن قتل في الشام عامة بني امية بسط الفراش على القتلى واستدعى بالطعـــام فأكل على أنين القتلى ، وما فعله المنصور بابن هبيرة بعد أن أعطاه الأمان والمواثيق وحلف له بالعتق والطلاق أن لا يمسه وجماعته بسوء ، فغدر به وقتله

وأصحابه وقد سجل ابن قتيبة أمان المنصور لابن هبيرة في صحيفتين من كتابه الامامة والسياسة .

من الوصايا المشهورة في كتب التاريخ وصية ابراهيم الامام لأبي مسلم لما ولاه قيادة الدعوة وأمر الدعاة بطاعته ، فقال : يوصيه ويصدر اليه تعلياته « يا عبد الرحمن – وكان هذا اسم أبا مسلم الخراساني انك رجل من أهل البيت[1] فاحتفظ لوصيتي ، وانظر هذا الحي من اليمن فاكرمهم وحل بين ظهرانيهم ، وإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم ، وانظر إلى هذا الحي من ربيعة فاتهمهم في أمرهم ، وأنظر إلى هذا الحي من مضر فانهم العـــدو القريب الدار فاقتل من شككت في أمره، ومن كان في أمره شبهة ، ومن وقع في نفسك منه شيء وأن إستطعت أن لا تدع بخراسان لسان عربياً فافعل ، وأي غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه اقتله ، وأضاف إبن قتيبـــة في تاريخه الامامة والسياسة الجزء الثاني ص ١٤٧ فقال أبو مسلم: أيها الامام وأن وقع في أنفسنا من رجل هو على غير ذلك أحبسه حتى أستبنيه ؟ قال لا . السيف السيف لا تتقي العد بطرف ، ثم قال :

---

(١) كان العباسيون يوهمون الناس في خراسان انهم آل البيت أي آل الرسول ، يقول ابن الأثير في حوادث سنة – ١٣٢ – عند ابتداء أمر العباسيين كان محمـــد قد أرسل داعيـــاً إلى خراسان يدعو إلى الرضا من آل البيت وقال : في حوادث سنة ١٣٠ – لمـــا احتل أبو مسلم عاصمة خراسان – مرو - كانت صيغة البيعة التي أخذها من الناس ، ابايعكم على كتاب الله وسنة رسوله (ص) والطاعة للرضا من آل الرسول (ص) ولم يعلن عن اسم الخليفـــة ، وقال في حوادث سنة ١٢٩ « لما انهزم جيش عبد الله بن معاوية قصد عبد الله أبا مسلم لأنه كان يدعو الى الرضا من آل البيت » فكان الذين يعرفون منهم آل البيت لا يشكون من انهم يدعون الى الرضا من آل الرسول (ص)المحصورين في أولاد الحسن والحسين ، ولذا لما أعلن البيعة لأبي العباس اندهش الناس .

يقول عبد الله الرازي صاحب تاريخ ايران « اصابة النـــاس الدهشة والذهول يوم أعلن فيه الخليفة العباسي ، لأن الناس كانوا ينتظرون أن يعلن عن خليفة علوي ينتمي الى آل البيت ».

للشيعة من اطاعني فليطع هذا يعني أبا مسلم ، ومن عصـــاه فقد عصاني ، ثم التفت إلى أبي مسلم فقال : إن استطعت أن لا تدع ارضا فيها عربي فافعل ، وأي غلام بلغ خمسة أشبار فاتهمته فاقتله ، ولا تخالف هذا الشيخ يعني سليمان ابن كثير ولا تعصه وقد أورد الفقرة الأخيرة إبن الأثير في الكامل .

كان من طاعة أبي مسلم للشيخ سليمان بن كثير بعد أن فتح بلاد فارس وتمت البيعة لأبي العباس ، وفد المنصور على أبي مسلم ومعه أحد أولاد الحسن فاتصل هذا الحسني بسليمان بن كثير فاستدعا ابو مسلم سليمان بن كثير وقال :لسليمان أتذكر وصية الامام الذي يأمر بقتـــل من يشك في أمره ؟ قال : نعم . فقال لسليمان إني اتهمك وفي الحال نفذ فيه أمر الامام فقتله .[1]

نشر المغيباب والنبوات :

كان من اختلاق هذه الوصية ان نشروا بين الناس إنهم الذين يقوّضون العرش الاموي وإنهم خلفاء النبي ﷺ وملوك الاســـلام وامراء المسلمين في المستقبل القريب، وان دولتهم آتية لا ريب فيها ، فاختلقوا جملة من النبوات والمغيبات وراح الناس يتناقلونها بسرعة ، الحق أن العباسيين كانوا على صلة بأحوال الناس وأوضاع المجتمع لا سيما في السنوات الأخيرة من حكم بني مروان الذي أصبح الحكم العوبة بيد الصبيان من بني عبد شمس ، ظلم واستبداد ، وقتل وتشريد ، وفساد في كافة مرافق الدولة .

كانوا يعلمون جيداً ان الناس كل الناس في الظروف العصبية والأزمنة التي يعدم فيها الأمن والاستقرار ويسودها الفتك والضيق، ويكثر فيها الظلم والجور تبحث عن ما يسلبها ويبعث الأمل في نفوسها ، وليس مثل البشـــائر بالفرج

---

(١) ابن الاثير في حوادث – ١٣٢ – ﻫ

والخلاص من الوضع السائد ما تريح النفوس وتقوى فيها روح الصبر والأمل ، لا سيما إذا كانت البشائر مستلة من عقيدة الناس وايمانها بما وراء الغيب .

فأصبحت تلك النبوءات والمغيبات التي اختلقها العباسيون ونسبوها إلى النبي ﷺ أو إلى الامام علي عليه السلام مضغة الأفواه وحديث المجالس يومذاك ، وراحت الألسن ترددها على الرغم من أنها كانت ملجمة من قبل الرقابة الأموية.

من تلك النبوآت : ان دولة بني العباس آتية لا ريب فيها، وان القدر قد إدخر العباسيين لإزالة حكم امية ، وسيكون هلاك بني مروان وآل امية على يد العباسيين ، وان العدالة التي يرتقبها المؤمنون على وشك الظهور .

من تلك النبوآت ما نسبت إلى النبي ﷺ انه قال : لعمه العباس بن عبد المطلب ان الخلافة « تأول إلى ولدك » - كما في حوادث سنة ١٣٢ من ابن الاثير .

ومما نسب إلى الامام علي عليه السلام ماروآه صاحب عقد الفريد الجزء الثالث ص ٢٩٣ وابن أبي الحديد - ج - ٢ - ص ٣٠٩ وغيرهما « ان الامام علي في الكوفة إفتقد عبد الله بن العباس عند صلاة الظهر ، فقال : ما لابن عباس لم يحضر الصلاة ؟ قيل له يا أمير المؤمنين ولد له مولود ، فقال علي : هلموا بنا إليه ، فجاء أمير المؤمنين : إلى دار عبد الله بن العباس فقال أمير المؤمنين: لابن العباس . شكرت الواهب ، وبورك لك في الموهوب ، ما سميته ؟ قال ابن العباس : أو يجوز لي أن اسميه قبل ان تسميه يا أمير المؤمنين ؟ فقال الامام : أخرجه لنا فأخرجه فأخذه الامام وحنكه ودعا له ثم رده إليه ، وقال : « خذ إليك أبا الأملاك » فقد سميته علياً وكنيته بكنيتي .

هذه الحكاية يتناقلها المؤرخون والخطباء كمعجزة للامام علي دون ان ينتبهوا إلى اختلاقها وان من وضعها لم يوفق في وضعه وافتعاله ، وذلك باجماع المؤرخين ومنهم ابن ابي الحديد ، نفسه في الجزء الثالث ص ٦٩٧ ،

واليعقوبي في – ج – ٣ – ص ٦٤ وكلهم يروون ان علي بن عبد الله بن العبـاس ولد في الليلة التي قتل في صبيحتها الامام علي عليه‌السلام فأي صلاة ظهر كانت تلك التي افتقد الامام فيها ابن العباس ؟ أصلاة الظهر التي لم يولد بعد علي بن عبد الله ؟ أم صلاة الظهر التي كان فيها الامام مسجى يغمى عليه تارة ويفيق تارة من شدة الألم ؟ ثم أن المؤرخين سواء منهم من قال : أن عبد الله بن العباس كان والياً على البصرة إلى ان قتل الامام ، أو الذين يروون أنه بعد أن ولاه الامام على البصرة نهب ما في بيت المال ولحق بالحجاز وعلى كلا الخبرين لم يكن ابن العبـــاس في الكوفة يوم قتل الإمام .

من تلك المغيبات التي نشرت دون ان يكون لها حقيقة ما رواه الكثير من المؤرخين : « ان علي بن عبد الله بن العباس دخل على سليمان بن عبد الملك ومعه حفيداه أبو العباس ، وأبو جعفر ، فوسع سليمان له على سريرة ، وسأله حاجته ، فقال : ثلاثون ألف درهم عليّ دين ، فأمر سليمان بقضاءها ، ثم قال علي : لسليمان اوصيك بابني هذين خيراً ، ففعل فشكره عـــلي ، وقال : له وصلت رحمك ، فلما ولى قال سليمان : لأصحابه ان هذا الرجـــل قد اختل وأسن وخلط وصار يقول : ان هذا الأمر سينقل إلى ولده ، فسمع علي ذلك ، فألتفت إلى سليمان وقال : وليكونن ذلك ، وليمكنن هذان وأشـــار إلى أبي العباس وأبي جعفر[1] .

ان تكذيب هذا الخبر لا يحتاج إلى نقاش ودليل أكثر من ان أبا العباس ولد في سنة ١٠٤ أي بعد وفاة سليمان بخمس سنين ، وان محمد بن علي بن عبد الله بن العباس لم يكن قد تزوج في عهد سليمان بام أبي العباس ربطة بنت عبيد الله الحارثية لأن سليمان كان قد منعه من الزواج بها والسبب في ذلك أنها كانت

---

(١) ابن ابي الحديد في شرح النهج – ج – ٣ ص ٣١٠

تحت عبد الله بن عبد الملك ولما هلك تزوجها الحجاج بن عبد الملك ، وقبل ان يدخل بها طلقها ولما أراد محمد بن علي ان يتزوجها منعه سليمان بن عبد الملك ولما هلك تزوجها محمد في عهد عمر بن عبد العزيز بعد أن أذن له بزواجها فولدت له بعد وفاة عمر سنة ١٠٤ أبا العباس .

ويقول صاحب عقد الفريد ان علياً هذا دخل ومعه حفيداه العباس وأبو جعفر على هشام بن عبد الملك[1] وعلى هذه الرواية يكون عمر أبي العباس أقل من أربعة عشر سنة لأن جده علي بن عبد الله توفي سنة ١١٨ وعلى فرض أنه في السنة التي مات فيها يكون عمره عند دخوله على هشام في سن لا يستحسن لجده أن يدخله على الخلفاء والملوك ، كما لا يستحسن من علي وقد قضى هشام حاجاته ودفع له ثلاثين ألف درهم وتعهد برعاية حفيديه ان يقابل الخليفة الذي أحسن إليه بمثل ما نقله المؤرخون من الكلام الذي لا يخلو من التهديد والوعيد ، وإذا كان علي صادقاً في نبوئته كان اللازم عليه في قبال احسان هشام له ان يوصي ولديه بهشام وأولاد هشام ، لا سيما وأنه زعم لهشام أن حفيديه أبي العباس وأبي جعفر سينالان الخلافة ويملكان ما بيد هشام .

ومن تلك الاشاعات ما ورد في شرح النهج – ج – ٣ – لابن أبي الحديد « ان الوليد بن عبد الملك أمر بضرب علي بن عبد الله ، وان يطاف به على بعير وجهه مما يلي الذنب وصائح يصيح هذا علي بن عبد الله الكذاب ، قال الراوي : لهذا الخبر قلت : لعلي بن عبد الله ما هذا الذي نسبوك فيه من الكذب ، قال : بلغهم إني أقول هذا الامر سيكون في ولدي ، والله سيكونن حتى يملكه عبيدهم الصغار العيون العراض الوجوه ، الذين كأن وجوههم المجان المطرقة .

---

(١) عقد الفريد – ج – ٣ – ص ٢٩٣ .

يرد على هذه النبوءة أن الوليد ضرب علياً مرتين الاولىبسبب زواجه من أم أبيهابنت عبد الله بن جعفر أو عبد الرحمن بن جعفر وكانت تحت عبد الملك بن مروان فمض تفاحة بأسنانه ورمى بها إليها وكان ابخر فدعت بسكينة فقال : لها ما تصنعين ؟ قالت : أميط الأذى عنها . فطلقها فتزوجها علي بن عبد الله فتغير عبد الملك له وأطلق لسانه فيه ، وقال : انما صلواته رياء فسمع الوليد ذلك من أبيه فبقى في نفسه ، ولما ولي الخلافة قال : لعلي تريد ان تتزوج امهات أولاد الخلفاء لتضع منهم ، قال : انما أردت الخروج بها من هذا البلد وأنا ابن عمها .

وضربه للمرة الثانية لأنه قتل أخاه سليط بن عبد الله بن العباس من جارية كانت لعبد الله ، واخفى جثته فشكته امه عند الوليد وأمر الوليد بضرب علي ابن عبد الله ، وممن يروى هذين الخبرين اليعقوبي في — ج — ٣ — ص ٣٥ ، وابن الأثير في حوادث سنة ١٢٤ ه ، ولم يذكر التاريخ أن علياً هذا ضرب ثلاث مرات من قبل الوليد أو غيره .

كانت هذه النبوآت من أهم الوسائل التي حملت الثائرين على خوض المعارك واستبسال السواد الأعظم منهم في ميادين القتال ، الأمر الذي استغل تأثيرها ومضائها في النفوس القائد العباسي قحطبة بن شبيب الذي يرجع إليه الفضل في احتلال القسم الكبير من بلاد فارس وما وراء النهر ، وغزو العراق وإلحاق الهزيمة في أكبر قائد للامويين ابن هبيرة . يقول ابن الأثير في الكامل في حوادث سنة ١٣٠ في قتال قحطبة لنباتة بن حمزة عامل جرجان والذي كان ابن هبيرة قد بعثه لنصر بن سياد عامل الأمويين على مرو يقول : « واقبل قحطبة إلى جرجان وخطب أهل خراسان قائلاً : أتدرون إلى من تسيرون ؟ ومن تقاتلون ؟ تقاتلون قوماً أحرقوا بيت الله عز وجل ثم يقول :

وجاء قحطبة فنزل بازاء نباتة وأهل الشام في عدة لم ير مثلهـا فلمـا رأوهم أهل خراسان هابوهم ، حتى تكلموا في ذلك واظهروه ، فبلغ ذلك قحطبة ، فقام فيهم خطيباً فقال : يا أهل خراسان ان هذه البـلاد كانت لآبائكم وكانوا ينتصرون على أعدائهم لعدلهم وحسن سيرتهم ، حتى بدلوا وظلموا فسخط الله عليهم وانتزع سلطانهم ، وسلط عليهم أذل أمة كانت في الأرض عنـدهم ، فغلبوهم على بلادهم ، وكانوا بذلك يحكمون بالعدل وينصرون المظلوم ، ثم بدلوا وجاروا في الحكم وأخافوا أهل البر والتقوى من عترة الرسول ﷺ فسلطكم عليهم لينتقم منهم بكم ، « وقد عهد إلى الامام أنكم تلقونهم في مثل هـذه العدة فينصركم الله عز وجل عليهم فتهزمونهم وتقتلونهم » فألتقوا في مستهل ذي الحجة سنة ١٣٠ يوم الجمعة ، فقال لهم قحطبة : قبل القتال ان الامام أخـبرنا تنتصرون على عدوكم هذا اليوم من هذا الشهر » .

ويقول ابن الأثير : في حوادث سنة ١٣٢ — « لما عبر قحطبة الفرات وكان ابن هبيرة قد عسكر على فم الفرات من أرض الفلوجة العليـا على رأس ثلاثة عشر فرسخاً من الكوفة ، والفريقان يسيران على جانبي الفرات « قال قحطبة : ان الامام أخبرني ان في هذا المكان وقعة يكون النصر لنا » .

ويجمع اليعقوبي هاتين الروايتين في رواية واحدة ، يقول : في الجزء الثالث من تاريخه — ص — ٨٤ — « وقدم قحطبة العـراق فوافى عسكراً ليزيد بن هبيرة فاستباحه ، وصار إلى الزاب وهو في الفلوجة العليا ، على رأس أربعـة وعشرين فرسخاً من الكوفة ، فلقي يزيد بن عمر بن هبيرة ليلة الخميس سنة ١٣٢ لسبع خلون من محرم ، فأقتتلوا سـاعة في الليل ثم انهزم ابن هبيرة حتى رجع إلى واسط فتحصن فيها ، فلما فرغ قحطبة من قتاله قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال : أيها الناس والله ما خرجنا إلا لإقامة الحق وإزالة

دولة الباطل ، وقد علمتم ان الامام محمـــد بن علي بن عبد الله بن العباس اعلمني اني ألقي نباتة بن حنظلة والكلابي وعامر بن ضبارة المرّي ، فأهزمهم وأستبيح عسكرهم ، واقتل مقاتلهم ، وأنبأتكم ورأيتم صدق ما خبرتكم ، وأن أعلمني الإمام إني لا أعبر الفرات وانكم تعبرونه ،فلا يفقد من الجيش أحد غيري وأنه والله ما كذب فيما قال ، وان فقدتموني فأميركم حميد بن قحطبة والسلام »

المرحلة الثالثة من الكيسانية

الفرقة الكربية

يدخلنا البحث عن هذه الفرقة الى المرحلة الثالثة من الكيسانية تلك المرحلة التي تقدم مجملاً ما اريد من الكيسانية فيها .

ذكرنا أن النوبختي قال : في كتابه ـ فرق الشيعة « ان محمد بن الحنفية لما توفى افترق أصحابه الى ثلاث فرق :

قالت ؛ الفرقة الاولى كاتقدم: ان محمد بن الحنفية هوالمهدي سماه علي مهدياً لم يمت ولا يموت ولا يجوز ذلك، ولا يدري أين هو وسيرجع ويملك الأرض ولا امام بعد غيبته إلى رجوعه ، وهم أصحاب ابن كرب ، ويسمون ـ الكربية ـ وكان منهم حمزة بن عمارة البربري الزبيري اليزيدي كما في هامش ـ فرق الشيعة ـ وكان من أهل المدينة ، ففارقهم وأدعى أنه نبي وأن محمد بن الحنفية هو الله وان حمزة هو الامام ، وأنه ينزل عليه سبع أسباب من السماوات فيفتح بهن الأرض ، فتبعه من أهل المدينة وأهل الكوفة ، فلعنه ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام وبرأ منه وكذبه وبرأت منه الشيعة ، واتبعه رجلان من نهدهما بيان وصائد ، وكان بيان تباناً يتين التبن بالكوفة فأدعى ان محمد بن علي أوصى اليه ، فأخذه خالد القسرى هو وخمسة عشر رجلاً من أصحابه فشدهم في أطناب

القصب وصب عليهم النفط في مسجد الكوفة وألهب فيهم النار ، وكان حمزة قد نكح ابنته وقال : من عرف الامام فليصنع ما شاء فلا اثم عليه ، وأحل جميع المحارم ، ثم راح يشرح الفرقة الثانية والثالثة .

وفيما تقدم ذكرنا من أن هذه الفرقة لم تظهر بعد وفـــاة محمد بن الحنفية وانما هي في الواقع عنوان لفرقة موهومة ابتدعت بعد وفاة أبي هاشم بن محمد ابن الحنفية المتوفى سنة ٩٧ هـ بدليل معاصر للامام الباقر محمد بن علي بن الحسين الذي تولى الامامة بعد أبيه علي بن الحسين سنة ٩٩ هـ . وهكذا أدعى تلميذه بيان ان الامام قد أوصى اليه كما سيأتي :

فالكربية ـ في الواقع فرقة مختلقة موضوعة تجسدت في شخص حمزة بن عمارة للتشكيك في دعوة العباسيين الامامة عن أبي هاشم ، والرد على وصيتهم المزعومة ، وابطال دعوة الامامة والوقوف عند الامام الغائب الذي لا يجوز امامة أحد حتى يرجع .

ان الحديث عن هذه الفرقة وتتبع آثارها وحركاتها المحصورة في شخص واحد وهو حمزة بن عمارة أو عمارة بن حمزة المتهتك الزنديق الذي أباح لنفسه نكاح ابنته يثبت ما ذكرناه في المرحلة الثانية من أن الكيسانية بعد انولدت في دار محمد بن علي بن عبد الله بن العباس من مجرد اشاعات ومفتريات سهلت الطريق للمشعوذين والدجالين وذوى المصالح والغايات لادعاء الامامة . وقلنا ان السبيل الذي سلكه العباسيون في نقل الامامة من آل علي والزهراء سيسلكه غيرهم من الافاكين أمثال حمزة اليزيدي الزبيري البربري.

ان ما لم يحسب له العباسيون حساباً ولم يفطنوا اليه قـــد وقع . وان الشر الذي أرادوه للاسلام قد أحاق به وأحاط بالمسلمين . فظهر الغلو وظهر الغلاة وسلك الناس طريق الزندقة كما أرادوها بنص وصيتهم « لم يمض مائة على نبوة قط إلا وانقضت أمرها » وان خير مثال على صدق ما ذهبنا اليه هو دور حمزة

ابن عمارة اليزيدي الزبيري أو بكلمة أشمل ـ الأموي ـ الذي يقول النوبختي ـ انه كان من اتباع الفرقة الاولى التي تفرقت عنها الكيسانية بعد وفاة محمد بن الحنفية في نشر الغلو والدعوة اليها .

ولم تكن دعوة حمزة المصدر الأول في الغلو فحسب بل كانت دعوته مصدراً لكل المقالات الضالة التي نسبت الى الفرق الكيسانية التي يحدثنا التاريخ عن مقالاتها وان كل ما نسب من المقالات الى امهات الفرق الغالية ـ كالبيانية ـ والحارثية ـ والراوندية ـ وما تفرق منها لا تختلف عن دعوة حمزة ولا تخرج عن الوصية المزعومة .

ان تجاهل الشهرستاني وغيره وجود حمزة بن عمارة على مسرح الغلو وعدم تعرض الباحثين قديما وحديثا لدوره في ادعاء النبوة والامامة والوهية الاشخاص وغض النظر عن أصله ونسبته إلى اليزيدية والزبيرية يجعلنا نعتقد بأن هناك أكثر من قصد في التستر عليه واخفـــاء دوره من بين الدعاة وأرباب المقالات الضالة لا سيما وان كشف دوره يكشف عن مخطط الغلو وأسبابه .

ان بحثنا عن دور حمزة في نشر الغلو وتشكيل الفرق الكيسانية في أذهان المتهتكين وحمل المسخرين على ترديدها ونشرها لم يكن بحثا تاريخيا منقولا عن لسان الرواة والمحدثين لأن التاريخ قد أغفل دوره والرواة سكتوا عن التحدث عنه والمغفلون نقلوا عن المسخرين ما هو خلاف الحقيقة والواقع دون تمحيص . وان السبيل الوحيد للبحث عنه هو تتبع أخباره وتقفي آثاره والكشف عن علاقته وارتباطه بذوي النفوس المريضة والرخيصة والامعان في المغالاة المنسوبة إلى الغلاة ومدى علاقتها بدعوة حمزة وهذيان حمزة .

لقد دلنا النوبختي على شخص حمزة المدني الزبيري اليزيدي البربري وأخبرنا أنه كان من أول القائلين بالوهية الأشخاص في المدينة . وأنه ادعى النبـــوة

والامامة وأباح المحرمات وارتكب بنفسه ذلك، فنكح ابنته وحكم على نفسه بالفسق والتهتك والاستهزاء بالقيم الانسانية وأدعى بأن الامام محمد بن علي ابن الحسين عليه‌السلام قد اوصى اليه فلعنه الامام وبرأ منه كما برأت الشيعة منه ، وان دل فعله هذا على شيء فانه يدل بوضوح على عمالته لأسياده الأمويين كما يثبت ذلك انتسابه اليهم . وأنه لم يوفق في كل دعواته ، وأنه حين راح يزعم بأن محمد بن الحنفية هو الله وأنه نبي ضحك منه الناس وأعدوه مجنوناً فراح يجتمع بالمستهترين ويزعم إن من عرف الامام فليصنع ما يشاء فأباح المحارم فتجنبه حتى المستهترين والفساق ، ولم يتمكن بكل ما ادعى وزعم ان يجمع من حوله اتباعاً أو أن يغوي أحد من الناس حتى وقع على من كان على شاكلته بيان وصائد النهديان وكانا لا يقلان عنه فسقاً وتهتكا ، فانقادا اليه وتبعاه على نشر دعوته فوجد فيهما ضالته المنشودة فسخرهما لأغراضه .

يقول النوبختي « اتبع حمزة رجلان من نهد بيان التبان وصائد . أما بيان فقد ادعى النبوة بعد موت أبي هاشم وقال : أصحابه ان أبا هاشم قد نبأ بيان عن الله عز وجل وتأولوا قوله « هذا بيان للناس وهدى » وكتب إلى محمد بن علي بن الحسين عليه‌السلام يدعوه إلى نفسه والاقرار بنبوته ويقول في كتابه له أسلم تسلم وترتق وتنج وتغنم فانك لا تدري اين يجعل الله النبوة والرسالة وما على الرسول إلا البلاغ وقد أعذر من أنذر » فأمر الامــــام رسوله أن يأكل قرطاسه ، ويقول الشهرستاني : « أنه بعــد أن أكل رسوله القرطاس مات لساعته » كما تقدم .

ويقول الدكتور الشيبي في كتابه ـ الصلة بين التصوف والتشيع ـ ص ١٢٨ « أحدث موت أبي هاشم انقساماً في التشيع فأدعى محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس انه الامام وأدعى عبد الله بن الحارث وهو من أهل المدائن ان الامامة انتقلت الى عبد الله بن معاوية المقتول سنة ١٣٠ وأدعى كلا الفريقين

ان أبا هاشم نفسه قد أوصى اليه . أما بيان فقد أنكر كلتا الدعوتين وزعم ان أبا هاشم مهدي كأبيه وأنه لم يوصي لأحد ولكنه من ناحية اخرى نصب نفسه وصياً على امامة أبي هاشم بنص الهي هو (هذا بيان للناس وهدى) فبدأت بذلك اولى الحركات الغالية في الكوفة لأن كلتا الحركتين المستندتين إلى وصية أبي هاشم متأخرة عن حركة بيان .

وقال في ص ١٢٩ « وقد استند بيان الى آراء أبي هاشم حول انقضاء النبوة بعد قرن من الزمان وورد عنه انه نسخ لبعض شريعة محمد ﷺ »

وقال في ص ١٣٧ « بيد أن عبد الله بن معاوية كان متساهلاً في أمر العقيدة لا يهمه إلا توطيد أمره والاكثار من انصاره وقد روى عنه انه استكتب عمارة ابن حمزة استاذ بيان وصائد الغاليين وكان عمارة قد أباح جميع المحارم وقال من عرف الامام فليصنع ما يشاء » .

ان الدكتور الشيبي يعترف في كتابه ـ الجامعي ـ بأن عمارة بن حمزة كان استاذ بيان وينقل عن النوبختي مقالته ـ من عرف الامام فليصنع ما يشاء وقال انه أحل جميع المحارم ولا أدري لماذا تجاهل نقل بقية الفقرات الدالة على غلوه كقوله بأن محمد بن الحنفية هو الله تعالى عن ذلك وادعائه النبوة والامامة . كما تجاهل الروايات التي تقول بأنه كان من أهل المدينة وأنه كان زيدياً وزبيرياً فأهمل دعوة حمزة بن عمارة استاذ بيان وزعم ان حركة بيان كانت أول حركات الغلو في الكوفة التي قال عنها انها كانت مصدر الغلو وتجاهل دور استاذه ومقالات معلم الغلو الأول حمزة بن عمارة المدني .

اذا كانت الرقابة قد شطبت من التاريخ بطولة حمزة بن عمارة من على مسرح الغلو وجهل أو تجاهل المؤرخون دوره في نشر الضلال . فان الفرق الكيسانية ومقالاتها كما يحدثنا عنها المؤرخون تشهد بأن دورحمزة في الغلو كان دور المؤسس

لفرق الغلاة ان جاز تسمية الشخص والشخصين والثلاثة أشخاص بفرقة وان الخمسة عشر رجلاً يكونون مذهباً .

ان ظهور الكيسانية على مسرح الدعوة العباسية كمذهب سياسي نقلت اليهم الامامة بالنص عن الامام علي عليه السلام كما يزعمون هو الذي أخرج للناس هذيان حمزة وأقـــوال حمزة التي أصبحت مصدراً للغلو الذي الصق زوراً بالتشيع للتشكيك بعقيـــدة اتباعه وان الوصية التي أخرجها العباسيون للناس سنداً لخلافتهم هي التي حملت تلامذة حمزة على الكفر .

مصدر الغـــلو

يجرنا البحث عن ذكر الغلو الى مغالطات تدور على ألسن المؤرخين قديمـــاً وحديثاً إذ يزعم الكثير منهم ان التشيع هو مصدر الغلو ، وان الشيعة هم الغلات ، وهم وحدهم المسؤولون عن نشر الغلو في الاسلام .

لا اريد أن أنكر وجود بعض البسطاء والجهلة من الشيعة غير الامامية الاثنى عشرية يغالون في علي شأنهم شأن الكثير ممن يغالون في معاوية ويزيد فاذا كان الزاعمون بأن معاوية كان نبياً قد أبيدوا في اصفهان. فالفرقة اليزيدية الكائنة بشمال العراق لا يزالون يعتقدون بأن يزيد كان ملكاً من الملائكة . أما المغالون من رؤساء الطوائف الصوفية وأصحاب الطرق فكثيرون في العالم الاسلامي ، والكتب التي تروي لنا عن معاجزهم في احياء الموتى واشفاء المرضى وطي المسافات الطويلة وابلاغ أصواتهم الى اقاصي الدنيا لا تزال موجودة تزخر بها المكاتب العامة والخاصة وفي متناول يد الجميع .

ان اعتبار التشيع مصدر الغلو تحدي صارخ في وجه الشيعة ، والتشيع الذي ينكر الغلو بمختلف أشكاله . ان الكلام عن الغلو هو الكلام عن الكيسانية في مرحلتها الأخيرة التي نضجت وصارت مذهباً سياسياً تمسك بها ذوى الغايات والأغراض وتعددت مقالاتها وفرقهـــا كما نقرأها على صفحات التاريخ أصح وجودها أم لم تصح ؟ وان ما نتصافحه على صفحات التاريخ من مقالاتها التي

تهدف معظمها ان لم يكن كلها الى الكفر وانحلال الاخلاق ورفع التكليف والغلو بالأشخاص ورفعهم الى مصاف الآلهة أو القول بالوهيتهم وغير ذلك من الامور التي لا علاقة لها بدين من الأديان ولا صلة تربطها بالاسلام ·

فالكيسانية كما يحدثنا عنها أصحاب الملل والنحل هي مصدر الغلو ومأوى الغلاة . الكيسانية وقد بحثنا عن مصدرها وتكوينها لا علاقة لها بالتشيع ولا صلة لها بالشيعة · فالكيسانية وقد افتعل العباسيون مذهبها وتناولها المغرضون والمشعوذون تختلف في العقيدة والايمان والتمسك بأحكام الدين والقرآن مع التشيع ، وان تصور الكيسانية من مذاهب الشيعة تصور باطل وافتراء صريح وكيد بالشيعة والتشيع . فعلى فرض ان احداً من الشيعة والشيعة لم يكونوا ملائكة معصومين ، فيهم العالم والجاهل والغبي والذكي والمؤمن والفاسق ككل الطوائف والمذاهب الاسلامية الاخرى ، انتمى الى مذهب ضال فان أمره لا يختلف عن أمر كل من سولت له نفسه الخروج عن مبادىء الدين والتمسك بعقيدة باطلة . فان كان ما تمسك به واعتقده ينافي ضروريات الدين خرج من عداد المسلمين واعتبر خارجاً عن التشيع بخروجه عن الاسلام ، لأن التشيع هو الاسلام ، وان كان ما تمسك به واعتقده لم يكن من ضروريات الاسلام الموجبة الكفر كان فاسقاً . فلا يجوز اعتبار الكافر مسلماً ولا المخالف لعقيدة التشيع شيعياً . فالبحث عن الكيسانية هو البحث عن السياسية العباسية التي أوجدت الكيسانية وأخرجت للناس صحيفتها السوداء وسهلت للناس الطريق الى الغلو . وأن البحث عن مصدر الغلو وأسبابه وعن من نشره ودفع الناس اليه لا تعدو البحث عن الكيسانية والصراع الذي أوجدها صحيفتها المشؤومة على الامامة فلا علاقة للشيعة والتشيع في هذا الصراع الذي سببته الأغراض ووسعته الغايات وسعت اليه أصحاب المطامع السياسية والشخصية من غير الشيعة .

ان قليلا من البحث والتتبع يقود الباحث الى حيث مصدر الغلو ، ويلمسه حقيقته المتمثلة في السياسة العباسية التي أخرجت الكيسانية للناس ، وسهلت

السبيل بها المشعوذين لخلق الغلو بمختلف الصور والأشكال .

ان كل باحث تجرد عن العصبية ، يعرف ان التشيع لم يكن مصدراً للغلو وان الزاعمين بأن التشيع مصدر الغلو لم يهمهم في الواقع البحث عن حقيقة الغلو ، بقدر ما يهمهم التشكيك في عقيدة الشيعة ، ومبادىء التشيع ، ولو كان يهمهم البحث عن مصدر الغلو لوجدوه في غير التشيع ، ولوجدوا الشيعة من أكثر المسلمين انكاراً للغلو ، وأشد الناس تنديداً بالغلاة والمغالين .

ان الزاعمين بأن التشيع مصدر الغلو ، كانوا ولا يزالون من أشد الناس حقداً على الشيعة والتشيع وامضاهم خصومة وكيدا لعقيدتهم ، وقد وجدوا في مقالات الكيسانية المفتعلة ما يسهل الطعن في عقيدة الشيعة فزعموا ان التشيع مصدر الغلو ، وقالوا لمن طالبهم بالدليل أليست الكيسانية من الشيعة وفرقها ؟ هكذا أصبح الخطأ الذي وقع فيه المؤرخون وهم ينقلون الحديث عن الكيسانية سنداً بيد خصوم الشيعة واستعملوه ضد التشيع والطعن في معتقدات الشيعة ، وسلك مع الأسف بعض المؤرخين من الشيعة السبيل الذي سلكه خصوم الشيعة ، البحث عن مصدر الغلو وأسبابه .

ولما كان ما ذهب اليه الزاعمون ـ أياً كانوا ـ بأن التشيع مصدر للغلو زعماً باطلاً وافتراء صريحاً وان الشبهة التي دخلت أذهان الزاعمين جاءت عن طريق اعتبار الكيسانية المزعومة من فرق الشيعة ، يلزمنا البحث عن الغلو وأسبابه ، وظهوره في العالم الاسلامي ، لنرى هل ان مصدره التشيع ؟ كما يزعم خصوم الشيعة ومن تابعهم واستقصى بحثه عن مصادرهم ؟ أم ان ما زعموه ويزعمونه كذب وافتراء ؟ .

والى القارىء نسوق على سبيل الاستشهاد ما يقوله البعض من خصوم الشيعة وغيرهم في الغلو ثم نناقش آرائهم على ضوء الحقائق والوقائع .

يقول الدكتور احمد أمين الكاتب المصري المعروف في كتابه ضحى الاسلام (ج ٣ – ص ١٧٧) ان للموالي ضلعـــاً في الغلو لانضمامهم الى التشيع . وينقل الدكتور الشيبي في كتابه – الصلة بين التصوف والتشيع ص ١٢٦ رأيه ورأى الدكتور طه حسين عميد الأدب العربي فيقول « أما علة الغلو فتنصرف الى العامل النفسي الذي انعكس من تفريط أهل الكوفة في حق علي حق ذهب ضحية عصيانهم فكان ان أسرف الكوفيون في حبه وفي كره أعدائه حتى غلو في كليهما » . ويقول ان رأيه هذا يوافق رأي الدكتور طه حسين لأنه علل الغلو بأنه عزاء عما قدمه الكوفيون إلى الامام علي من الاساءة في حياته . وأضاف إلى هذا السبب ليشفع رأيه ورأي الدكتور طه حسين سبباً آخر، هو الاضطهاد الذي فتح عيون أهل الكوفة على البون الشاسع بين سياسة علي وسياسة أعدائه وذكر لجماعة اخرى ما يقارب هـــذا الرأي ، ثم راح يدعم الآراء التي ذكرها بقوله في ص ١٢٧ : وقد التفت قبل هؤلاء جميعاً خصم من خصوم الشيعة وهو هشام بن عبد الملك الى جوهر الغلو ، وصدوره عن الحب الزائد فكتب إلى عامله يوسف بن عمر على الكوفه « أما بعد فقد علمت بحال أهل الكوفة في حبهم لأهل هذا البيت ووضعهم اياهم في غير مواضعهم لأنهم افترضوا طاعتهم على أنفسهم ووضعوا عليهم شرائع دينهم ونحلوهم علم ما هو كائن » ويقول الشيبي في كتابه المذكور ص ١٢٧ « أما بداية الغلو فيلزم أن تكون السبئية أنصار حجر بن عدى الذين قتلوا جزاء تكفيرهم الخليفة وسبهم عثمان وحبهم لعلي وامتناعهم من البراءة منه ، ولم يغير قتل هؤلاء من طبيعة الكوفيين بل زادهم اندفاعا الى هذه الفكرة أي فكرة الغلو .

هذا ملخص ما يقوله خصوم الشيعة عن مصدر الغلو وسببه الذي لا يخرج بزعمهم عن التشيع لعلي وأهـــل بيت النبي ﷺ وشدة تمسكهم تمسك الشيعة بحبهم وموالاتهم لآل الرسول ﷺ ، ووضع الطيبين الأبرار منهم في موضع الامامة والولاية العامة في الدرجـــة التي وضعهم الله فيها ، فاعتبر المناوئون لآل البيت .

حجر بن عـــدي وأصحابه

لم يكتف الدكتور الشيبي : في الاستدلال على مبدأ الغلو ومصدره على أقوال خصوم الشيعة كهشام بن عبد الملك ـ قاتل زيد بن علي بن الحسين والمحرق لجثته ظلما وعدوانا ، بل جعل مبدأ الغلو ومصدره ، حركة حجر وأصحابه ، الذين كانوا يعارضون ـ من ولاهم معاوية على رقاب الناس من الفسقة أمثال المغيرة بن شعبة وزياد بن أبيه ، لإدمانهما على سب وشتم علي وآل بيته فساقهم زياد إلى معاوية بعد أن وضع فيهم تقريراً نسب اليهم الخروج عن الطاعة ،ومعارضتهم لمن يسب الامام علياً ،ولما قاربوا الشام أمرهم معاوية وهم في مرج العذرا أنيتبرأوا من علي فأبوا ذلك فأمر بقتلهم فتشفع في بعضهم رجال من الشام وقتل الآخرون ومنهم حجر وولده .

كان على الشيبي وهـو يضع كتابه ـ الصلة بين التصوف والتشيـع ـ ليحصل به على درجة (ماجستير) أن لا يخرج عن واقع الكاتب والمؤلف للحقيقة والتاريخ .

لا أظن الشيبي يجهل حياة حجر والأسباب التي حملت معاوية على قتله وقتل أصحابه ، كان عليه أن يطلع على تقرير زياد عنه وعنهم ويستمع إلى رأي التاريخ

في ذلك التقرير الذي أملاه الزور والاثم والافتراء ، ثم يقرأ رأي المعاصرين لحجر وأصحاب حجر من الصحابة والتابعين لا سيا المناوئين فيهم لعلي ، فلا يعتبر تكفير الخليفة وهـو لا شك المقصود منه عثمان أو معاوية سبباً مبرراً لقتله إذا صح افتراء زياد في ذلك . ولا يتخذ من امتناعه واصحابه عن البراءة من علي حجة تدينهم بتهمة القتل ، ولا يدين أصحابه بتهمة ـ السبئية ـ السبئية التي كشف النقاب عن موهوميتها وابتداعها قبل أن يؤلف كتابه بعشر سنوات على الأقل ، لأن الذين كشفوا زيفها واثبتوا انتحالها هم أكثر علماً ودراية من اللجنة التي أشرفت على مناقشة كتابه ، ولا أراه وأراهم ينكرون فضل الدكتور طه حسين وتفوقه العلمي عليهم إذا كانوا يجهلون مقدرة السيد العسكري العلمية والتاريخية .

لقد أوضحنا في مدخل هذا الكتاب ما كان عليه معاوية من دين وسنة على فرض تكفير حجر له وأن أول من نطق بكفر عثمان كانت السيدة عائشة فقد صح عنها أنها كانت تقول اقتلوا نعثلا فقد كفر ، وحجر لم يكفر أحداً منهما وكان يرى أن لمعاوية بيعة في عنقه وقد روى ذلك الطبراني والحاكم كما في الاصابة ـ عن طريق أبي اسحاق قال : رأيت حجراً يقول : ألا ، اني على بيعتي لا اقيلها ولا استقيلها[1] كان يقول : ذلك وهو في طريقه من الكوفة إلى الشام يساق للقتل .

ان حجراً ـ لم يكن منحرفاً ليتخذ من المنحرفين صحابة إلا اذا كان انحرافه وانحراف أصحابه عن سنة معاوية يعتبر انحرافاً عن الدين يجب قتله !!

لقد كان الحاقدون على شيعة علي عليه السلام في عهد معاوية أكثر انصافاً بالشيعة من المناوئين لهم والسائرين بركابهم في هذا اليوم .

---

(١) الاصابة ترجمة حجر بن عدي .

اليك ما تقول السيدة عائشة في حق حجر وأصحابه : كما في الاستيعاب [1] عن مسروق الأجدع قال : سمعت ام المؤمنين عائشة تقول : أما والله لو علم معاوية ان عند أهل الكوفة منعة لما تجرأ على أن يأخذ حجراً وأصحابه من بينهم حتى يقتلهم بالشام، ولكن ابن آكلة الأكباد علم أنه قد ذهب الناس، أما والله ان كانوا لجمجمة العرب عزاً ومنعة وفقهاً ، لله در لبيد حيث يقول :

ذهب الـــذين يعـاش في اكنافهم   وبقيت في خلف كجلد الأجـــرب
لا ينفعون ولا يرجّي خـــيرهم   ويعـــاب قاتلهم وان لم يشعب

ويروي ابن الاثير في الكامل ـ في حوادث سنة ـ ٥١ ـ

« في ذكر مقتل حجر بن عدي وعمر بن الحمق وأصحابهما ـ يقول لما بلغ خبر حجر عائشة أرسلت عبد الرحمن بن الحرث إلى معاوية فيه وفي أصحابه ، فقدم عليه وقد قتلهم ، فقال : له عبد الرحمن اين مضى عنك حلم أبي سفيان ؟ قال : حين غـــاب عني مثلك من حلماء قومي وحملني ابن سمية فاحتملت ، وقالت عائشة : لولا إنا لم نغير شيئاً إلا صارت الامور إلى ما هو أشد منه لغيرنا قتل حجر ، أما والله ان كان ما علمت لمسلماً حجاجاً معتمرا .

وفي الاصابة : في ترجمة حجر عن أبي الأسود قال : دخل معاوية على عائشة فعاتبته في قتـــل حجر ، وقالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يقتل بعدي اناس يغضب لهم أهل السماء .

وفيه أن عبد الله بن عمر : لما انطلق بحجر إلى معاوية كان يتخبر عنه فأخبر بقتله وهو في السوق فانطلق على حبوته وولى وهو يبكي [2] .

---

(١) ترجمة حجر .
(٢) ترجمة حجر .

وفي الكامل لابن الأثير في حوادث سنة ٥١ هـ قال الحسن البصري : أربع خصال كن في معاوية لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة ـ ابتزازه على هذه الامة بالسيف حتى أخذ الأمر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذوي الفضيلة ـ واستخلافه ابنه يزيد سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير ـ وادعاءه زياد ، وقد قال رسول الله ﷺ : الولد للفراش وللعاهر الحجر ـ وقتله حجر فيا ويله من حجر وأصحاب حجر . ثم قال ابن الأثير : كان الناس يقولون أول ذل دخل الكوفة موت الحسن بن علي وقتل حجر ودعوة زياد .

وفي الاستيعاب[1] لما بلغ الربيع بن زياد الحارثي وكان فاضلاً جليلاً عاملاً لمعاوية على خراسان فيما بلغه من قتل حجر دعا الله عز وجل ، فقال : اللهم ان كان للربيع عندك خير فاقبضه اليك على عجل ، فلم يبرح من مجلسه حتى مات .

هذا هو حجر وهؤلاء هم أصحاب حجر اعتبرتهم عائشة جماجم العرب عزة ومنعة وفقها واعتبر الحسن البصري قتلهم موبقة في الاسلام ، واختار الربيع الموت على الحياة من بعدهم وان قبورهم في عاصمة معاوية ملتقى المؤمنين والصلحاء تتجدد أضرحتهم جيلاً بعد جيل ، وما كان الناس ليظنوا أن يأتي زمان ينتقصهم المؤلفون !!

من هم الذين كانوا من أهل الكوفة الذين قدموا الغلو لعلي عزاءً عما قدموه اليه من الاساءة ؟ أكانوا من شيعته ومحبيه أم كانوا من أعدائه ومبغضيه ؟ .

اما شيعة علي فقد كانوا يعتقدون بان طاعته ركن من أركان الدين الخمسة لانه الامام المنصوص عليه الذى أوجب الله طاعته وولايته على المسلمين بقوله تعالى

---

(١) ترجمة حجر .

(إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) الآية الكريمة التي نزلت في الامام على باجماع الشيعة وعليه اكثر المفسرين من غيرهم .

ان عقيدة الشيعة بوجوب التمسك بعلي مستمد من قوله ﷺ أني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض »

وقد حدد القرآن آل بيت النبي وعرفهم النبي ﷺ في حديث الكساء المتفق عليه وهم . علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وقد باركهم الله تعالى بقوله « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » .

اذا كان موالاة أهل البيت وطاعتهم والتمسك بهم يغيض هشاماً وأبا هشام وعشيرة هشام فلا يمكن ان يقيض احمد أمين وطه حسين إلا أن يتقربا ببغض أهل البيت الى هشام وعشيرة هشام فأي عزاء كان هذا الذى قدمه شيعة علي له جزاء ما فرطوا به من الاسائة اليه ؟

اما غير الشيعة الموالية لعلي من أهل الكوفة فسواء أكانوا من الخوارج أم من الامويين ـ أو الانتهازيين اللادينيين السائرين في ركاب كل سلطان . فلم يخبرنا التاريخ ان أحداً منهم انقلب بعد حيـــاة أمير المؤمنين من عداد اعدائه الى عداد المحبين له وتجاوز حبه له الى المغالات فيه فقدم اليه ذلك عزاء لعصيانه واسائته اليه .

ان تاريخ الشيعة الحافل بالمآسي في عهد الامويين لم يذكر لنا ان السلطات الاموية التي كانت بالمرصاد للشيعة الموالية لعلي عليه السلام أخذت واحداً منهم بتهمة الغلو . ان الامر الوحيد الذى كان يعد تهمة بنظر السلطات الاموية يؤخذ بها الشيعة هو تمسكهم بولاء علي ومحبته والقول بامامة علي الامر الذى لم ينكره الشيعة . ولم يتبرء منه الكثير منهم وهم معلقون على أعواد المشانق . فلو كانت هناك

دعوة للغلو في وسط الشيعة لكانت ذريعة يتوسل بها الامويون لمحو الشيعة ولكان لهم بها حساب عسير .

اما ما ذهب اليه احمد أمين بقوله ـ ان الموالي ضلعا في الغلو لانضمامهم إلى التشيع ،فان كان يريد بذلك الذين انضموا إلى الكيسانية باعتبارها من الفرق الشيعية فقد اثبتنا بان الكيسانية وفرقها لا تمت إلى التشيع بصلة. وانها كانت في مرحلتها الاولى مجرد اشاعات اموية وزبيرية ثم تحولت على يد بني العباس إلى مذهب سياسي عباسي وعن طريق الوصية التى افتعلها العباسيون أدعاها المشعوذون والمضطهدون وفي طليعتهم الموالي وكان للموالي دورهم الخاص في نصر العباسيين والقتال معهم في خروجهم على الأمويين لأنهم قد وضعوا ثقتهم في الموالي دون العرب وأمر الامام العباسي الاول ابراهيم بن محمد بن علي داعيته أبا مسلم بابادة العرب في خراسان وقال له : ـ « ان استطعت ان لا تدع لسانا عربيا في خراسان فافعل » وأما إذا كان يريد غيرهم فالموالي كغيرهم من المسلمين انضم فريق منهم إلى الشيعة وفريق إلى غير الشيعة وإن الذين انضموا إلى غير الشيعة كانوا أكثر وأكثر ممن تشيع منهم ، وأحتل المنتمون منهم إلى غير الشيعة المراكز العلمية . فالفقهاء والمحدثون والمؤرخون والادباء وعلماء العلوم العربية كلهم على وجه التقريب من الموالى وهذا مالا ينكره ويتجاهله الدكتور أحمد أمين كما لم يجهل الدكتور أحمد أمين بان الكثير من هؤلاء غالوا في عقيدتهم غلوا فاحشا حتى ان منهم من كان يعتقد بان معاوية كان نبيا وان يزيد كان طاوس الملائكة . فاذا جازلنا ان نعتبر كل دعوة ضالة أو مقالة فاسدة غلواً لتعددت فرق الغلات من غير الشيعة وجاوزت هذيانها حتى الفرق الكيسانية بسبب الموالي أصحاب الطرق المعروفة الذين كان منهم من يدعي القدرة على أحياء الموتي وإحلال روح الله فيه وغير ذلك من الإدعاءات الباطلة السخيفة .

هذا ما يقوله خصوم الشيعة في الغلو وأسبابه . أما ما يقوله الواقع وتتحدث عنها أسباب الغلو نفسها فهي غير ما يقوله خصوم الشيعة وان الحقيقة وحدها

تقول بان الشيعة الإمامية الإثنى عشرية لم يكونوا في يوم من الأيام من الغلاة ، والتشيع كما تقوله أهدافه وإيمانه وتعاليمه وعقيدته الصريحة في الإسلام لم يكن مصدراً للغلو ان للغلو أسبابا غير ذلك، وللغلو دعاة هم غير الشيعة . وللغلو قصة وقصة تبدأ فصولها من بعد موت أبي هاشم سنة ٩٧ غريبا عن أهله وولده . وشاءت الظروف لمن يكون وفاته بالقرب من بيت محمد بن علي بن عبدالله بن العباس أو في بيت محمد بن علي – وحمله الحديث الشريف (من مات بلا وصية مات ميتة جاهلية) ان يوصي إلى محمد في تولي أمر دفنه وغير ذلك من الامور التي تتعلق بشخصه شأنه في ذلك شأن كل مسلم يحس بدنو أجله فيوصي إلى أخيه أو إلى من يعتمد عليه لتنفيذ وصاياه .

يبدأ الغلو من قصة خلافة العباسيين الذين كانوا ابعد الناس طمعا بالخلافة ومن أبعد الناس دعوة بالإمامة لأنفسهم بعد ان أقرها العباس في علي وكان أول من بايع له وأول من عارض خلافة أبي بكر . وكان عبدالله إبنه من أول الناس إيمانا بامامة علي عليه السلام :

اتفق المؤلفون في الملل والنحل على أن الغلو نشأ في الفـــرق الكيسانية الثلاثة – البيانية – الحارثية – العباسية – التي تفرعت عن الهاشمية ، فالاولى نسبت إلى بيان بن سهيل النهدي تلميذ حمزة بن عمارة ، والثانية – نسبت إلى عبد الله بن الحارث، والثالثة – نسبت إلى عبد الله الراوندي ، وتفرعت من هذه الفرق الثلاثة فرق متعددة .

يقول النوبختي في كتابه فرق الشيعة – ص ٤١ – من هذه الفرق الثلاثة بدأ الغلو في القول ، وقالوا : ان الأئمة آلهة وأنهم أنبياء وأنهم رسل وأنهم ملائكة .

البيانية :

تقدم ان النوبختي ذكر في كتابه فرق الشيعة في معرض الكلام عن الفرقــة

الكربية ـ التي ظهرت بعد وفاة محمد بن الحنفية تقول بأن محمد بن الحنفية هو المهدي ، وكان من اتباع هذه الفرقة حمزة بن عمارة الزبيري واليزيدي البربرى وانه فارق أصحابه وأدعى بأن محمد بن الحنفية هو الله إلى آخر ما تقدم ذكره وتبعه على قوله شخصان بيان وصائد ، وقال : في كتابه فرق الشيعة ص ٣٩ . في تعداد الفرق التي ظهرت بعد وفـــاة أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، وفرقة قالت ان الامام المهدي هو أبو هاشم ، وانه يرجع ويقوم بأمر الناس ويملك الأرض ولا وصي بعده وغلوا فيه وهم ـ البيانية ـ أصحاب بيان النهدي ، وقالوا ان أبا هاشم نبأ بيانا عن الله عز وجل ، فبيان نبي وتأولوا قوله تعـــالى « هذا بيان للناس وهدى » وأدعى بيان بعـد وفاة أبي هاشم النبوة وكتب إلى محمد بن علي بن الحسين يدعوه إلى نفسه والاقرار بنبوته ويقول له «أسلم وتـ تق في السلم وتنج وتغنم فانك لا تدري اين يجعل الله النبوة والرسالة وما على الرسول إلا البلاغ المبين وقد أعذر من أنذر »، فأمر أبو جعفر محمد بن على رسول بيان ان يأكل القرطاس فأكل قرطاسه الذي جاء به ، وقتل بيان على ذلك وصلب وكان اسم رسوله ابن أبي عفيف الأزدي .

ويقول : عن هذه الفرقة – البيانية ـ الشهرستاني في الملل والنحل ـ الجزء الأول ـ ص ١٥٧ ـ البيانية ـ اتباع بيان[1] بن سمعان النهدي ، قالوا بانتقال الامامة من أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية اليه وهو من الغـــلاة القائلين بالوهية أمير المؤمنين علي عليه السلام ، قال حل في علي جزء إلهي واتحد بجسده فيه كان يعلم الغيب إذا أخبر عن الملاحم وصح الخبر ، وبه كان يحارب الكفار وله النصرة والظفر وبه قلع باب خيبر ، وعن هذا قال والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن قلعته بقوة ملكوتية ، وان القـــوة الملكوتية في نفسه كالمصباح في المشكاة .

(١) كثيرون غلطوا في ضبط اسمه واسم أبيه – مؤرخ العراق ابن الفوطي

وقال : في تفسير قوله تعالى : « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام » أراد علياً ، فهو الذي يأتي في ظلل ، والرعد صوته والبرق تبسمه ، ثم ادعى بيان قد انتقل إليه الجزء الإلهي بنوع التناسخ ولذلك استحق أن يكون إماماً وخليفة ، وذلك الجـزء هو الذي استحق آدم سجود الملائكة ، وزعم بيان ان معبوده على صورة انسان ، عضواً عضواً ، جزءً جزءً ، وقال : يهلك كله إلا وجهه – كل شيء هالك إلا وجهه –

ومع هذا الخزى الفاحش كتب بيان إلى محمد بن علي بن الحسين الباقر، ودعاه إلى نفسه ، وفي كتابه « اسلمْ ترتقى من سلم ، فإنك لا تدري حيث يجعل الله النبوة » فأمر الباقر ان يأكل الرسول قرطاسه الذي جاء به ، فأكله فمات من ساعته ، وقد اجتمع على بيان بن سمعان طائفة ودانوا بمذهبه ، فقتله خالد ابن عبد الله .

ويقول الشيبي : في كتابه الصلة بين التشيع والتصوف ص ١٢٨ – في بيان ما أحدثه موت أبي هاشم من الخلاف الذي وقع بين محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وبين عبد الله بن الحارث وهو من أهل المدائن في وصية أبي هاشم .

« فأدعى محمد بن علي أن الامامة انتقلت إليه ، وان أبا هاشم أوصى إليه بنفسه وادعى عبد الله بن الحـارث ، ان الامامة انتقلت من أبي هاشم إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، أما بيان فقد أنكر كلتا الدعوتين وزعم أن أبا هاشم مهدى كأبيه وأنه لم يوص إلى أحد ولكنه من ناحية اخرى نصب نفسه وصياً على امامة أبي هاشم بنص الهي وهو « هذا بيان للناس »[1] فبدأت

---

(١) آية ١٣٨ من سورة آل عمران .

بذلك أول الحركات الغـــالية لأن كلتا الحركتين المستندتين إلى وصية أبي هاشم متأخرة عن حركة بيان .

وقال : في ص ١٢٩ « وقد استند بيان إلى آراء أبي هاشم حـــول انقضاء النبوة بعد قرن من الزمان ، وورد عنه أنه نسخ بعض شريعة محمد ﷺ »[١].

اختلف المؤرخون في تاريخ قتل بيان أو حرقه كما اختلفوا فيما نسب إليـه من القول ، قال ابن الأثـــير في حوادث سنة ١١٩ والنوبختي في فرق الشيعة ، والأشعري صاحب – مقـــالات الاسلاميين – أن خالد بن عبد الله القسري أخذه وقتله في الكوفة .

وقال الشبيبي في كتابه مؤرخ العراق ابن الفوطي – ص ٨٨ نقلاً عن منهج المقال ص ٧٢ – ٧٣ ان بيان عاش إلى زمن المأمون وقتله ابراهيم بن المهدي الذي خرج على المأمون وبويع له في العراق .

أما الحمزة بن عمارة أو عمارة بن الحمزة فقد ذهب النوبختي – ان عبدالله بن خالد القسري أخذه وأصحابه وشدهم بالأطناب وصب عليهم النفط فأحرقهم كما تقدم ، ويقول الشيبي – في كتابه – الصلة بين التشيع والتصوف – استكتبه عبد الله بن معاوية الذي خرج على مروان سنة ١٢٧ كما يقول بذلك أبو الفرج

---

(١) يناقض الشيبي في هاتين الصفحتين ١٢٨ – ١٢٩ ما زعمه في ص ١٢٧ من أن بداية الغلو كان من السبئية أنصار حجر بن عدي الذي قتل وأصحابه سنة ٥١ هـ وزعم في صحيفـــة ١٢٨ ان حركة بيان كانت أول الحركات الغالية ، فان صح ما يقوله عن آراء بيـــان من انها مستندة الى آراء أبي هاشم في انقضاء النبوة بعد قرن من الزمان تكون حركة محمـــد بن علي أسبق من حركة بيان ـــ لأن رأي أبي هاشم هذا ان صح على فرض الجدل ورد في وصية أبي هاشم لمحمد بن علي ، ولم يذكر له مثل هذا الرأي قبل الوصية المزعومة هذا وان بيان لم يعرف له حركة ، وكلما كان من أمره انه كانت له مقالة مستندة الى الوصية .

الأصفهاني في كتابه مقاتل الطالبيين ـ وهو أصح الروايتين كما يبدو لنـــا من علامات وجوده بعد مقتل عبد الله بن معاوية فسواءً أصح ما نسب إلى بيان من الأقول المتضاربة والمتناقضة على فرض الجـدل أم لم يصح ، وسـواء أقتل أو أحرق في عهد المأمون أو في عهد حكومة القسري على الكوفة فالذي يهمنا بحثه هو ان ـ البيانية ـ فرقة ابتدعت بعد وفاة أبي هاشم مستندة إلى وصيته المزعومة ، وان بيان مثل دور استاذه الحمزة بن عمارة تمثيلاً كاملاً في الغلو وفاق عليه هذياناً وسخافة ، وانه واستاذه كانا مسخرين في دعوة مضادة لدعوة العباسيين الوصية عن أبي هاشم وابطال الإمامة التي انتقلت إلى محمد بن علي عن طريق الوصية التي لابد وان تســربت نصوصها كلا أو بعضاً إلى الحاكمين ، هذا من جهة ومن جهة اخرى قصد المناوئون تشويه عقيدة الشيعة بادخال الكفر في تعاليمهم ، والقضاء على دعوة الإمامة من أي مصدر بعثت يؤيد ذلك .

أولاً ـ ادعاء بيان واستاذه بمهدوية محمد بن الحنفية وان لا إمام بعده حتى يظهر ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً .

ثانياً ـ كلاهما ادعى النبوة وقال بالوهية الأشخاص .

ثالثاً ـ كلاهما كتب إلى الإمام الباقر محمد بن علي بن الحسين يدعوه إلى نفســه .

رابعاً ـ كلاهما ظهرا في عهد هشام .

الحارثية :

الفرقة الثانية من أمهات الفرق الثلاثة الضالة إذا صح لها وجود ـ الحـارثية نسبة إلى عبد الله بن الحارث الزنديق من أهل المدائن كما يقول عنه النوبختي أو اسحاق بن زيد الانصاري كما يقول الشهرستاني، لا يعلم بالضبط مبدأ ظهورها إلا أنها كما يفهم من أخبارها والروايات عنها أنها ظهرت بعد قتل عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ونجـــاح ثورة أبي مسلم الخراساني في خراسان بعد حدوث الفتنة بين اليمانية والنزارية .

يقول النوبختي : في كتابه ـ فرق الشيعة ص ٣٧ ـ ٣٨ « تقول هذه الفرقة أوصى أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب الخارج من الكوفة، وكان يومئذ صغيراً فدفع الوصية إلى صالح بن مدرك وأمره أن يحفظها حتى يبلغ عبد الله فيدفعها إليـــه، فلما بلغ عبد الله دفعها إليه ابن الحارث من أهل المدائن و كلهم غلاة يقولون من عرف الإمام فليصنع ما يشاء، وعبد الله هو صاحب أصفهان » .

ويقول : في ص ٤٠ « واختصم أصحاب عبد الله بن معاوية وأصحاب محمد ابن علي بن عبد الله بن العباس في وصية أبي هاشم، فارتضوا رجـــلا من رؤسائهم وعلمائهم يقال له أبو رباح[1] فشهد أن أبا هاشم أوصى إلى محمد بن علي فرجع أصحاب عبد الله إلى القول بامامة محمد بن علي، وقوت بهم الراوندية » .

---

(١) الظاهر أن ـ أبا رباح ـ هو ميسرة أحد كبار العباسيين وكان محمد بن علي في بداء الدعوة أرسله الى الكوفة ـ تاريخ اليعقوبي ـ ج ـ ٣ .

ويقول في ص ٤٠ « لما قتل عبد الله بن معاوية في حبسه افترقت أصحابه إلى ثلاث فرق ، وكان أصحاب عبد الله قد مالوا إلى رجل من شذاذ صنوف الشيعة يقال له عبد الله بن الحارث وكان أبوه زنديقاً من أهل المدائن ، فادخل أصحاب عبد الله بن معاوية في الغلو والقول بالتناسخ وخدعهم حتى ردهم عن جميع الفرائض والشرائع والسنن .

وقالت فرقة ان عبد الله بن معاوية هو القائم المهدي الذي بشر النبي ﷺ أن يملك الأرض ويملأها قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً ، ثم يسلم عند وفاته إلى رجل من بني هاشم من ولد علي بن أبي طالب فيموت حينئذ .

وقالت فرقة : إن عبد الله بن معاوية مات ولم يوص أحد وليس بعده امام ، فتاهوا وصاروا مذبذبين بين صفوف الشيعة » .

وبعد أن يحصر النوبختي الغلاة في الفرق الثلاثة ـ الكيسانية البيانية ـ والعباسية ـ والحارثية يقول : ومنهم تفرقت فرق الخرمدينية ومنهم كان بدأ الغلو في القول حتى قالوا أن الأئمة آلهة وأنهم أنبياء، وأنهم رسل، وأنهم ملائكة وهم الذين تكلموا بالأظلة والتناسخ في الأرواح وقالوا بالدور وابطال القيامة والبعث والحساب ، وزعموا أن لا دار إلا الدنيا وان القيامة إنما هي خروج الروح من البدن ودخوله في بدن آخر غيره ان خيراً فخيراً وان شراً فشراً ، وانهم مسرورون في هذه الأبدان أو معذبون فيها ، والأبدان هي الجنات وهي النار، وبعد أن يشرح المقالات الثلاثة يقول : في ص ٤٤ « فهؤلاء أصناف الغالية وغيرهم غير أن أصحاب عبد الله بن معاوية يزعمون أنهم يتعارفون في انتقالهم في كل

جسد صاروا فيه على ما كانوا عليه مع نوح عليه السلام في السفينة ومع النبي صلى الله عليه وسلم ويزعمون أنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن أرواحهم فيهم ويتأولون في ذلك قول الامام علي بن أبي طالب عليه السلام وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها أئتلف وما تناكر منها اختلف .

وقال بعضهم : أن للتناسخ وتنقل الأرواح مدة ووقت وهو أن كل دور في الأبدان الإنسية فذلك للمؤمنين خاصـــة فتتحول إلى دواب للنزهة مثل الأفراس وفي غيرها يكون لمواكب الملوك والخلفاء على قدر أديانهم وطاعتهم فيحسن إليها في علفها وإمساكها وتجليلها بالديباج والسروج المحلات فتمكث في ذلك الانتقال ألف سنة ثم تحول إلى الأبدان الإنسية عشرة آلاف سنة ، وأما المشركون والكفار والمنافقون والعصاة فينقلون إلى الأبدان المشوهة الوحشية عشرة آلاف سنة إلى آخر هذا الهذيان[1] .

ويقول الشهرستاني : كان من مذهب عبد الله بن معاوية أن الأرواح تتناسخ من شخص إلى شخص ، وروح عبد الله تناسخت حتى وصلت فيـــه وأدعى الالوهية والنبوة معاً . فعبده الحمقى من شيعته ، وكفروا بالقيـــامة لاعتقادهم بأن التناسخ يكون في الدنيا ، والثواب والعقاب في هذه الأشخاص ، وان من وصل إلى الإمام ارتفع عنه الحرج في جميع ما يطعم . ووصـــل إلى الكمال والبلوغ ، وعنه نشأت الخرمدينية ـ والمزدكية في العراق ، وهلك عبد الله في خراسان وافترقت شيعته منهم من قال : أنه لم يمت ويرجع ، ومنهم من قال : إنه مات وتحولت روحه إلى اسحاق بن زيد بن الحارث الانصـــاري ، وهم

---

(١) نقلنا بعض ما ذكره النوبختي عن المقالة المنسوبة إلى الفرق الغالية ومنها فرقة الحارثية ليعلم القارىء أن مثل هذه المزاعم لا يمكن أن يصدر من انسان في رأسه عقل .

الحارثية ـ الذين يبيحون المحرمات ويعيشون عيش من لا تكليف عليه ـ وبين أصحاب عبد الله بن معاوية وأصحاب محمد بن علي خلاف شديد في الامامة ، فان كل واحد منهما يدعى الوصية عن أبي هاشم[1] .

ويقول ابن أبي الحديد : كما تقدم في شرح النهج ـ ان معاوية بن عبد الله بن جعفر كان قد حضر وفاة أبي هاشم وادعى أنه قد أوصى إليه ، وان ولده عبد الله خرج يدعي الوصية عن أبي هاشم لأبيه .

أما الشيبي فقد قال عن هذه الفرقة أنها الفرقة التي أدعت أن أبا هاشم أوصى إلى عبد الله بن معاوية[2] .

وقبل مناقشة هذه الفرقة واثبات أنهـــا كانت من الفرق الموهومة التي أخرجتها دائرة الزندقة في عهد المنصور واتهمت بها المعارضون لدولة بني العباس من اتباع عبد الله بن معاوية ليسهل أخذهم بتهمة الكفر والزندقة يجدر بنا ان نذكر ترجمة عبد الله بن معـــاوية ، وخروجه من الكوفة على الخليفة الناقص الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة ١٢٦ ـ ١٢٩ .

---

(١) الملل والنحل ـ ج ـ ١ ـ ص ١٥٦ .

(٢) الصلة بين التصوف والتشيع ـ ص ١٢٨ .

عبد الله بن معــــاوية

لايضاح موقف المؤرخين من عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، والأسباب التي دعته إلى الخروج على الحكم الأموي في الأيام الأخيرة والتشهير به من قبل بعض المؤرخين ونسبته الفساد إلى عقيدته نذكر مجمل سيرته.

لا خلاف بين المؤرخين من أن ابن معاوية هذا كان فارساً جواداً شاعراً نسبت اليه الجيد من الشعر، وكان سبب تسمية أبيه بمعاوية هو أن جده عبد الله بن جعفر وفد على معاوية وكان قد ولد له مولود أو أنه كان عند معاوية وولد له مولود فطلب منه معاوية أن يسميه بإسمه ففعل فدفع اليه مائة الف درهم وقيل مائة الف دينار ومما نسب اليه من الشعر قوله :

ألا نزع القلــب عــن جهــله وعمــا يؤنب مــن أجــله
فيبــدل بعــد الصبــا حكمة ويقصر ذو العــذل عن عــذله

إلى قوله :

فــلا تركــبن الشنيع الذي تــلوم أخــاك على فعــله
ولا يعجبنــك قــول امــرىء يخالف مــا قــال في فعــله
ولا تتبع الطرف مــا لا ينــال ولكن ســل الله من فضــله

وكم من مقل يبين الغنى ويحمد في رزقه كله[1]

يقول ابن الأثير في الكامل في حوادث سنة ١٢٧ هـ ما ملخصه « ان عبد الله ابن معاوية وفد على عبد الله بن عمر بن عبد العزيز في الكوفة وكان والياً عليهامن قبل يزيد بن الوليد ، ولما هلك يزيد بايع الناس أخاه ابراهيم وبعده عبد العزيز ابن الحجاج بن عبد الملك ، ثم راح ابن الأثير يسرد ما وقع بين ابراهيم بن الوليد ومروان بن محمد الحمار والعصبية التي وقعت في قبائل الكوفة على النزاع بينهما .

قال : « فلما رأت الشيعة ضعف عبد الله بن عمر بن عبد العزيز طمعوا فيه ، ودعوا إلى بيعة عبد الله بن معاوية ، واجتمعوا في المسجد وثاروا وأتوا إلى عبد الله فأخرجوه من داره وأدخلوه القصر ومنعوا عاصم بن عمر بن عبدالعزيز الذي كان قد أرسله أخوه عبد الله بن عمر إلى الكوفة وكان هو في الحيرة - فلحق عاصم بأخيه في الحيرة وبايع الكوفيون ابن معاوية وكان ممن بايعه عمر بن الغضبان ومنصور بن جمهور واسماعيل بن عبد الله القسرى وهم من الزعماء البارزين في الكوفة فأقام ابن معاوية في الكوفة وأتته بيعة أهل المدائن وفم النيل واجتمع اليه الناس وخرج يريد قتال ابن عمر في الحيرة فخرج ابن عمر للقاءه فاذا الارض بيضاء من أصحاب ابن معاوية ففرق المال بين قواده وصاح مناديه من جاء برأس من أصحاب ابن معاوية فله خمسمائة ، فأتى الناس برءوس كثيرة ، وكان يعطي ما ضمن ، وفيما الحرب مستمرة خان منصور بن جمهور واسماعيل بن عبد الله القسرى ، ولحقوا بابن عمر ودارت الحرب على أصحاب ابن معاوية فانهزموا ومعهم بن معاوية إلى الكوفة ، ولما دخلوها قال : عبد الله ابن معاوية يامعشر ربيعة قد رأيتم ما صنع الناس بنا وقد علقنا دمائنا في رقابكم

---

(١) ذكر البيتان الأولى والثانية ابن الأثير في حوادث سنة ١٢٧ وذكر الأبيات كلها إبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين ترجمة عبد الله بن معاوية .

فان قاتلتم قاتلنا وأن كنتم ترون الناس يخذلوننا فخذوا لنا ولكم إماماً .
وبقت الزيدية تقاتل أصحاب ابن عمر على أفواه السلك فأخذوا إماناً لهم ولابن معاوية وخرج ابن معاوية من الكوفة إلى المدائن فاجتمع من حوله جماعة من أهل الكوفة ، فخرج بهم فغلب على حلوان والجبال وهمدان وأصفهان والري وقومس وخرج اليه عبيد أهل الكوفة وأقام بأصفهان ، وكان محارب بن موسى مولى بني يشكر عظيم القدر بفارس فجاء الى دار الامارة باصطخر فطرد عامل ابن عمر عنها وبايع الناس لابن معاوية ، وخرج محارب إلى كرمان فأغار عليها ، وانضم الى محارب قواد من أهل الشام ، فسار إلى مسلم بن المسيب وهو عامل ابن عمر بشيراز فقتله ، ثم جاء محارب الى عبد الله بن معاوية فحوله إلى اصطخر فأقام بها فقصده بنو هاشم منهم المنصور أبو جعفر وعبد الله وعيسى أولاد علي بن عبد الله بن العباس واجتمع عليه الهاشميون والأمويون ومنهم سليمان بن هشام بن عبد الملك والزيديون والخوارج ومنهم شيبان بن عبد العزيز الخارجي » .

يقول الدكتور الشيبي تبعه في خروجه الهاشميون وبعض الامراء من بني امية والزيدية والخوارج وكان يدعو إلى الرضا من آل البيت .

ويقول الاصفهاني ـ في مقاتل الطالبيين في رواية أنه كان يدعو إلى الرضا من آل البيت وفي رواية كان يدعو الى نفسه وهذا ما رواه ابن الأثير ويضيف الاصفهاني فيمن تبعه من العباسيين أبا العباس السفاح .

أسس ابن معاوية ملكاً عريضاً دام حتى تولى الخلافة مروان الحمار فوجه اليه مروان جيشاً كثيفاً بقيادة عامر بن ضبارة فخذل عبد الله أصحابه فانهزم عبد الله ومن معه من إخوته وبني عمومته قاصداً أبا مسلم الخراساني طمعاً في نصرته لأنه كان يدعو إلى الرضا من آل محمد وكان أبو مسلم قد استولى على خراسان ونواحيها ، ولما وصل عبد الله إلى نواحي هراة وكان عليها أبو نصر

مالك بن الهيثم من قبل أبي مسلم ، أرسل أبو نصر إلى عبد الله يسأل عن قدومه فقال : بلغني انكم تدعون إلى الرضا من آل البيت فآتيتكم ، فأرسل اليه مالك انتسب الينا فانتسب لهم فقال : مالك أما عبد الله وجعفر من أسماء آل الرسول وأما معاوية فلا نعرفه في آل الرسول فقال عبد الله : كان جدي عند معاوية لما ولد له أبي فسأله معاوية أن يسميه باسمه ودفع له ماءة الف درهم ، فأرسل اليه مالك ، اشتريتم الاسم الخبيث بالمبلغ اليسير فلا نرى لك حقاً فيما تدعو اليه ، وكتب بذلك إلى أبي مسلم فكتب اليه أبو مسلم أن يقبض عليه وعلى من معه ويحبسهم عنده ، ثم كتب اليه ان يطلق سراح من مع عبد الله من اخوته ويقتل عبد الله فأطلق مالك سراح اخوته وبني عمومته وقتله ويقول ابن الأثير في ختام حديثه ودفن عبد الله في هراة وله قبر معروف يزار وكان قتله سنة ١٣٠ أو سنة ١٣١ هـ .

ويروي أبو الفرج في قتله : رواية اخرى ونقل الاستاذ الشبيبي في كتابه ـ مؤرخ العراق ابن الفوطي ص ١٦٤ نقلاً عن صاحب عمدة الطالب أن صاحب العمدة بعد أن مدحه قال : وقد زرت قبره في هراة سنة ٧٧٦ وقد عثر في عصرنا هذا على نقود مضروبة باسم عبد الله بن معاوية وله ترجمة في مقاتل الطالبيين والأغاني ص ٧٣ ج ـ ١١ والكامل لابن الأثير كما تقـــدم والطبري ج ـ ٩ ـ ص ٩٨ وتاريخ اصفهان ص ٤٣ ج ـ ٢ .

مما تقدم نستخلص اموراً تثبت وضع هذه الفرقة واختلافها بعد قتل عبد الله ابن معاوية وتبطل كلما نسب إلى ابن معاوية من الانحراف في العقيدة وترد عنه الادعاءات الضالة وتلك الامور هي :

أولا ـ

ان كلما نسب من المقالات لهذه الفرقة نسبت إلى أصحاب عبد الله كما جاء

عن النوبختي ، وأن ما ذكره الشهرستاني من المقالات الفاسدة ونسبه إلى ابن معاوية لا أساس لها من الصحة من جهات ـ أولاً ـ للتناقض الصريح في الادعاآت التي نسبها اليه كقوله أنه أدعى الألوهية ـ والنبوة ـ معاً وأن شيعته الحمقى عبدته . وقوله أن أصحابه لما هلك في خراسان قال بعضهم : انه ما مات وانه يرجع وقال الآخرون تحولت روحه في اسحاق بن زيد بن الحارث مؤسس ـ الحارثية ـ والجمع بين ادعاء الالوهية وادعاء النبوة ـ وبين القول بأن شيعته الحمقى عبدته وبين تفرقهم بعد موته جمع بين المتناقضات ـ ثانياً ـ لو كان ابن معاوية يدعي الالوهية والنبوة لما تبعه عند خروجه مختلف الطبقات من المسلمين على اختلاف مذاهبهم ـ كالزيدية ـ والخوارج ـ والأمويون ـ والهاشميون والفقهاء وأرباب الحديث ـ منهم ـ منصور بن المعتمر الذي كان من دعاة زيد بن علي بن الحسين وان زيد كان قد وجهه يدعو اليه فأبطأ عنه فقتل زيد ومنصور غائب عنه ، ولما رجع وعرف قتل زيد صام سنة يرجو أن يكفّر ذلك عن تأخره ، ثم خرج مع عبد الله بن معاوية [1] ولا خلاف بين المؤرخين فيمن تبع عبد الله وتقدم أن ابن ضبارة أسر من أصحابه أربعون الف وأن الزيدية حاربت معه في الكوفة محاربة المستميت . فلو كان عبد الله منحرف العقيدة لما تبعه أحد من الزيدية ـ والخوارج لتصلب عقيدتهم في الدين وبالعكس لو كان منحرفاً عن التعاليم الاسلامية أو أنه كان يدعي الالوهية أو النبـــوة لخرجوا عليه وقاتلوه لأنه يكون أشد فتكا في الاسلام من الذين ثاروا عليهم من آل مروان !! ـ ثالثا ـ لو كان عبد الله بن معاوية يدعي الامامة لنفسه لما تبعه الزيدية ـ لأنها ترى الامامة خاصة في الثائر من ولد الامام الحسن والحسين وأن عبد الله لم يكن ولداً من صلب أحدهما وانما كان يدعو إلى الرضا من آل البيت فتبعوه كما تقدم .

ثانياً ـ

من الامور التي تثبت وضع هذه الفرقة واختلاقها هو ان المؤرخين وأصحاب

---

(١) مقاتل الطالبيين في باب من خرج من الفقهاء مع زيد بن علي بن الحسين .

الملل والنحل اختلفوا في من نسبت اليه مقالة هذه الفرقة – الحارثية – فذكر النوبختي – أنها مقالة أصحاب عبد الله بن معاوية وقال الشهرستاني : انها مقالة عبد الله بالذات ، وبالوقت الذي اتفق النوبختي والشهرستاني على ما جاء في مقالة هذه الفرقة ، وانها كانت تقول بتناسخ الأرواح والحلول ورفع التكليف واباحة المحرمات ومن وصل إلى الامام أو من عرف الامام فليصنع مـــا يشاء لأنه بلغ درجة الكمال اختلفا في الشخص الذي نسبت اليه هذه الفرقة ، فقال النوبختي : انه عبد الله بن الحارث . وقال الشهرستاني : انه اسحاق بن زيد بن الحارث الانصاري .

ثالثا –

ان الأمر الذي يدلنا على ابتداع هذه الفرقة في عهد المنصور وانها صدرت من دار ـ الزندقة ـ التي تأسست في عهده هـــو ان مقالتها والضلالة التي نسبت اليها تحكي مقالة الفرق التي ظهرت في عهد المنصور كالراوندية وما تفرقت عنها – والابا مسلمية وما انبعثت منها من المذاهب الضالة على الرغم من أنها تفرعت بالأصل كما يقول أصحاب الملل والنحل عن الفرقة ـ العباسية التي ساقت الامامة من الإمام علي إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس عن طريق أبي هاشم كما سيأتي ـ والخطابية ـ والمعمرية ـ والبزيغية ـ وهذه الأخيرة وان لم تكن في عداد فرق الكيسانية إلا أنهـــا من الفرق التي ابتدعت لنفس الغرض الذي ابتدعت ـ الحارثية ـ والراوندية ـ والأبا مسلمية ـ وما تفرع منها كما سيأتي تفصيل ذلك في بيان الفرق التي تفرعت عن ـ العباسية .

رابعا –

ان الاسباب الكيدية والابتداع في هذه الفرقة يكشفها الصراع بين أصحاب محمد بن علي وأصحاب عبد الله بن معاوية بعد مقتله وذلك أن أصحاب محمد بن علي بعد أن تمكنوا بواسطة النقيب العباسي ميسرة المكنى بأبي رباح امالة بعض أصحاب عبد الله إلى صفوفهم وحملهم على القول بامامة محمـــد بن علي

وأنه الذي أوصى اليه أبو هاشم صعب عليهم امالة الباقين من أصحاب ابن معاوية ووجدوا في معارضتهم لإمامة محمد بن علي ما يقلقهم فاتهموهم بهـــذه المقالة ليسهل أخذهم بتهمة الزندقة والكفر ونسبوهم إلى شخص موهوم ، يدل على موهوميته اختلاف المؤرخين في من أسس الحارثية ،فزعم النوبختي أنه عبد الله بن الحارث وزعم الشهرستاني أنه اسحاق بن يزيد الانصاري ، وسيأتي ما يؤكد رأينا في البحث عن المذهب الكيساني الثالث ـ العباسية ـ أحد المذاهب الثلاثة التي صدرت عنها الغلو كما تقدم .

العبـــاسية

الفرقة الثالثة من الفرق التي يقول النوبختي عنها انها كانت مصدر الغلو ـ العباسية ـ أو الراوندية ـ التي ظهرت بعد وفاة أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية كما يقول ذلك في ص ٤١ من كتابه ـ فرق الشيعة . تقول هذه الفرقة التي انحدرت من الهاشمية ـ كما تقدم أن أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية كان وصى أبيه وهو الذي يزعم الشيعة من أهل خراسان أوصى الى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، وأوصى محمد الى ولده ابراهـــيم فصارت الوصية في بني العباس من تلك الجهة كما يقول ـ الاصفهاني ـ في مقاتل الطالبيين في ترجمة عبد الله ابن محمد بن علي ، وقد تقدم في المرحـــلة الثانية من الكيسانية ما يكفي من الروايات التي نظمت الوصية عنه الى محمد بن علي ، وكيف أنه أوصى بالإمامة من بعـــد محمدبن الحنفية الى ولده ابراهيم ثم الى ابن الحارثية عبد الله بن محمد المعروف بالسفاح ثم الى أخيه المنصور من بعده .

ان هذه الفرقة كما يقول النوبختي تفرقت إلى عدة فرق وهي العباسية الأولى ـ العباسية الثانية [1] ـ الراوندية ، العباسية الثالثة ـ وتفرقت عن الراوندية العباسية الفرق الآتية :ـ

---

(١) لم يذكر النوبختي إسماً خاصاً لهاتين الفرقتين التى عبرنا عنهما ـ بالعباسية الاولى والثانية .

١ – الأبا مسلمية .

٢ – الأبا هريرية .

٣ – الرزامية

٤ – الهاشمية الاولى .

٥ – الهاشمية الثانية [1].

العباسية الأولى :

يقول النوبختي عن هذه الفرقة في ص–٥٢–من كتابه - فرق الشيعة - «وفرقة قالت ان محمد بن الحنفية كان الامام بعد أبيه علي بن أبي طالب فلما مات أوصى إلى ولده عبد الله المكنى بأبي هاشم ، فأوصى أبو هاشم إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، لأنه مات بالشام بأرض الشراة ، فأوصى محمد بن علي إلى ابنه ابراهيم المسمى بالإمام ، وهو من عقدت له الإمام من ولد العباس واليه دعى أبو مسلم الخراساني ، ثم أوصى ابراهيم إلى أخيه أبي العباس عبد الله بن محمد ، وهو أول من قلد الخلافة من ولد العباس، وأوصى أبو العباس إلى أخيه أبي جعفر عبد الله بن محمد فسمي بالمنصور ، وأوصى أبو جعفر لما مضى إلى ولده المهدي محمد بن عبد الله ، فردهم المهدي عن اثبات الخلافة لمحمد ابن الحنفية وابنه عبد الله، وأثبت الإمامة بعد النبي ﷺ للعباس بن عبد المطلب، وقال : كان العباس عمه ، ووارثه ، وأولى الناس به ، وان أبا بكر وعمر وعثماناً وعلياً (ع) وكل من دخل الخلافة بعد النبي كانوا غاصبين متوثبين ، فأجابوه ، فعقد الامامة للعباس بعد النبي ، ثم لعبد الله بن العباس من بعده ، ثم لعلي بن عبد الله بن العباس ، ثم عقدها من بعده لابراهيم بن محمد بن

---

(١) ذكر النوبختي فرقتين تفرقتا عن الهاشمية ص ٥٧ .

علي[1] ، ثم عقدها لاخيه عبد الله أبي العباس من بعده ، ثم إلى المنصور عبدالله أبي جعفر[2] .

وكان أبو العباس قد جعل ولاية العهد من بعده لأخيه أبي جعفر المنصور ومن بعده لعيسى بن موسي بن محمد بن علي ، فخـالفه عبد الله بن علي ، فأدعى الامامة ووصية أبي العباس ، فقاتله أبو مسلم فهزمه ، فهرب وتوارى في البصرة فأخذه بعد ذلك بامان وهو صـاحب عبد الله بن المقنع الزنديق ، فقتل ، قتله المنصور[3] فلما إطمأنت الخلافة للمنصور واستوى أمره وقوي ، وقتل أبا مسلم،

---

١ ـ لم يذكر النوبختي في ترتيب الامامة التـي رتبها المهدي ، ان المهدي عقد الامامة لمحمد بن علي بعد ابيه علي بن عبد الله .

٢ ـ الظاهر ا نالمهدي لما وجد ان الخلافة قد استقرت في الـه ، لم يجد هناك حاجة للاستدلال على ان الامامة جاءت اليهم عن طريـق شرعي كما سيأتي .

٣ ـ ان قصة غدر المنصور بعمه بعد ان اعطاه الامان ، لم يكن اول غدر منه ، فقد سبق ان اعطى ابن هبيرة ـ عامل واسط ـ امانا وايمانا مغلظة ، ثم غدر به ، ومن يقرأ صورة الامان والعهد الذي قطعه المنصور لكلا الشخصين يعتريه الذهول والدهشة لنقض المنصور الايمان المغلظـة والعهد المشدود بأمتن المواثيق !!

ذكر ابن قتيبة في كتابه ـ الامامة والسياسة ـ الجزء الثانـي ص١٦٣ طبعة ١٩٣٧ بمصر صورة الامان التي اعطا هاالمنصور لابن هبيرة في ثلاث صحائف بعد ان استهل كتاب الامان بـ « بسم الله الرحمـن الرحيم » قال : « هذا كتاب من عبد الله بن محمد بن علي ابي جعفر ولي امر المسلمين ليزيد بن هبيرة ومن معه من اهل الشام والعراق وغيرهـم في مدينة واسط وارضها من المسلمين والمعاهدين ومـن معهم مـن وزرائهم ، اني امنتكم بأمان الله الذي لا اله الا هو ، الذي يعلم سرائـر العباد ، وضمائر قلوبهم ، ويعلم خائنة الاعين وما تخفي الصـدور ، واليه الامر كله ، امانا صادقا لا يشوبه غش ، ولا يخالطه باطل على انفسكـم وذراريكم واموالكم ، واعطيت يزيد بن عمر بن هبيرة ، ومن امنته فـي =

وكبر ابنه محمد بن عبد الله سمـــاه المهدي[1] ، وبايع له وقدمه على عيسى بن

=

اعلى كتابي هذا الوفاء ، كما جعلت لهم من عهد الله وميثاقه الذي وثـق به الامم الماضية من خلقه ، واخذ عليهم به امره ، عهد خالصا مؤكـدا ، وذمة الله وذمة محمد ومن مضى مـن خلفاءه الصالحين ، واسلافـه الطيبين التي لا يسع العباد نقضها ، ولا تعطيل شيء منها ، ولا احتـقار بها ، وبها قامت السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقـن منها تعظيما بها ، وبها حقنت الدماء ، وذمة روح الله وكلمته عيسى بـن مريم ، وذمة ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط ،وذمـة جبرائيل ، وميكائيل واسرافيل ، وبعد كلام طويل من هذا النوع ختم عهده بقوله : ـ وان عبد الله بن محمد يعني نفسه ان نقض ما جعل لكم فـي امانكم هذا ، فنكث او غدر بكم ، او خالف امرا تكرهه ، فلا قبل الله منه صرفا ولا عدلا ، وهو بريء من محمد بن علي ، وهو يخلع امير المؤمنـين ويتبرأ من طاعته وعليه ثلاثون حجة يمشيها من موضعه الذي هو فيـه من مدينة واسط الى بيت الله الحرام بمكة حافيا ، وكل مملوك يملكـه من اليوم الى ثلاثين حجة بشراء او هبة احرار لوجه الله تعالى ، وكـل امراة له طالق ثلاثا ، وكل ما يملك من ذهب وفضة ومتاع ودابة وعقـار فهو صدقـة ... الخ .

وكان من امر يزيد بن هبيرة الذي اعطاه المنصور هذا الامان ان قتله المنصور ، ولما هم اصحاب المنصور بقتله كان في حضنه ولد صغـير ، فطلب ان ينحو عنه الولد ، فضرب حتى مات ساجدا بعد ان قتلـوا اصحابه وولده داود ، وجاءوا براسه ورؤوس اصحابه الى ابي جعفر .

ومثل هذا الامان اعطى المنصور عمه عبد الله بن علي ، وقـد وضع صيغة الامان عبد الله بن المقفع ، يقول اليعقوبي في تاريخه ـ ج٣ ـ ص ١٨٠ : وضع ابن المقفع صيغة الامان باغلظ العهود والمواثيق الا ينالـه بمكروه ، وان لا يحتال عليه في ذلك بحيلة ، وكان في الامان « فـان الايمان والعهود التي اخذتها عليهم » ... الخ . وسيأتي كيفية قتله فـي ذكر ما جرى لعيسى بن موسى ولي عهد ابي العباس . اما ابن المقفـع عبد الله فكان جزاء ما كتبه في الامان ان اخذه المنصور بتهمة الزندقـة وقتلـه .

١ ـ املا منه ان يكون المهدي المنتظر الذي بشر به النبي ـ ص ـ .

موسى ، وجعل عيسى من بعده ، وأعطى المنصور عيسى بن موسى على ما رواه النوبختي عشرين ألف درهم[1] وانكر بعض المؤرخين ذلك .

---

٢ ـ يقول المؤرخون ان ابا العباس جعل ولاية العهد بعد المنصور لابن اخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي ، وكان عيسى من ابرز رجالات العباسيين له في سبيل تأسيس الدولة العباسية وتركيزها خدمات لا تنكر ، وكان ابو العباس قد ولاه الكوفة ، وبعد ابي العباس اسدى للمنصور خدمات كبيرة فهو الذي اخذ البيعة للمنصور بعد وفاة ابي العباس ، واقنع ابا مسلم ان يتوجه الى ابي جعفر بعد معركة نصيبين التي قضى فيها على جيش عبد الله بن علي كما سيأتي ، ولولا ان عيسى كان قد تكفل ابا مسلم لما امن ابو مسلم ان يدخل على المنصور، لانه كان يتوجس منه الغدر على الرغم من انه كان قد قطع عهدا بالامان له في الرسالة التي حملها عيسى من المنصور الى ابي مسلم كما سيأتي.

كانت من خدمات عيسى للمنصور انه خرج لحرب محمد بن عبد الله بن الحسن لما خرج على المنصور ، فقتله وقتل اصحابه ، ولما خرج اخوه ابراهيم على المنصور في البصرة تولى عيسى محاربته بطلب المنصور ، والامر الذي لا خلاف فيه هو ان عيسى ساند المنصور مساندة عظيمة طوال عشرة سنوات ، من خلافة المنصور الذي كابد خلالها محنا وحروبا لولا مساندة عيسى له لكان له شأن اخر .

كان جزاء هذا الأمير العباسي ان المنصور ، بعد ان بلغ ولده المهدي ، عزم على خلع عيسى من ولاية العهد ، واسناد ولاية العهد الى ولده ، حتى قيل انه لما وجهه لحرب محمد بن عبد الله كا نيقول : لا ابالي ايهما ظفر بالثاني .

لما استقر الامر للمنصور ، وباتت خلافته في مأمن من شر الخارجين عليه ، راح يضايق عيسى ويقلل من منزلته بين رجال الحاشية والامراء من بني العباس ويحاول الايقاع به والتخلص منه، وكان من ذلك انه لما اعطى الامان لعمه عبد الله بن علي ، ولما خلي عيسى بكاتبه وطلب من عيسى ان يقتله ، فأجابه عيسى ، ولما خلي عيسى بكاتبه يونس بن فروة قال له : لا تفعل ذلك لان المنصور طلب منك قتله سرا ، وسيطالبك به جهرا ، وهو يريد بذلك الفتك بك ، فكان ما تنبأ =

العباسية الثانية :

افترقت شيعة المنصور وانكرت ما كان منه ، وأبوا قبول بيعة المهدي ، وقالوا لأصحابهم : من أين جاز لكم مبايعة المهدي وتقديمه ، وتأخير عيسى وقد عقد له أبو العباس العهد بعد المنصور ؟ فقالوا : من قبل أمير المؤمنين المنصور ، وقد أمرنا بذلك وهو الإمام الذي قد فرض الله طاعته ، قالوا : فإن أبا العباس كان مفترض الطاعة من الله قبله وهو أمر ببيعة أبي جعفر وبيعة عيسى بعده ، فكيف جاز له لكم تأخيره وتقديم المهدي ؟ قالوا : الطاعة للامام الحي ، فاذا مات وقام غيره كان الأمر أمر القائم ما دام حياً ، قالوا : أفرأيتم ان مات أمير المؤمنين المنصور والمهدي حي وعيسى بن موسى حي فأنكر الناس أمر أمير المؤمنين في بيعة المهدي كما أنكرتم انتم أمر أبي العباس

به كاتب عيسى ، وذلك ان المنصور حرك بعض اعمامه ليشفع عنده لعمه عبد الله بن علي ، فجاءوا اليه شافعين فشفعهم ، وامر عيسى باطلاق سراح عمه عبد الله ، فقال عيسى للمنصور : انك امرتني بقتله فقتلته ، فانكر المنصور ذلك ، وقال : اني امرتك بحبسه ، ثم التفت المنصور الى عمومته وقال : ان هذا اقر لكم بقتل اخيكم ، قالوا فادفعه الينا نقتله به ، فسلمه اليهم ، وجاءوا به الى الرحبة ، واجتمع الناس وشهر الامر وقام احدهم ليقتله ، فقال له عيسى : افاعل انت ؟ قال : اي والله ، قال : ارجعوني الى امير المؤمنين فردوه اليه فقال له : انما اردت بقتله ان تقتلني هذا عمك حي سوي . قال : ائتنا به ، فجاءه به ، وادخله على المنصور ثم انصرفوا ، فأخذه المنصور عنده، ثم امر فبني له بيت جعل في اساسه الملح ، فأدخله فيه واجرى الماء في اساسه فانهدم البيت عليه فمات .

هكذا كان المنصور يغدر بالناس وينكث العهود ولا يقيم للمواثيق اية قيمة ، ولما مات المنصور واستخلف المهدي خلع المهدي عيسى من ولاية العهد ، واسندها الى ولده موسى الهادي وهارون الرشيد ـ ابن الاثير في حوادث سنة ١٤٧ هـ وسنة ١٦٠ هـ .

في بيعة عيسى بن موسى هل يجوز ذلك ؟ قالوا : لا ، قالوا : فكيف جاز لكم أن تؤخروا عيسى وتقدموا المهدي ، ألم يكن قد بايعتم له ؟ فثبتوا على امامة عيسى ، وسيأتي اثبات انتحال هذه الفرقة في – الفرقة الرزامية –

الراوندية – العباسية الثالثة :

يقول النوبختي في ص ٣٨ من كتابه – فرق الشيعة – بعد ذكر – الحارثية – التي تقول بوصية أبي هاشم لعبد الله بن معاوية :

« قالت فرقة أوصى عبد الله بن محمد بن الحنفية إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب لأنه مات عنده بأرض الشراة بالشام ، وأنه دفع الوصية إلى ابيه علي بن عبد الله ، لان محمد كان صغيراً عند وفاة أبي هاشم ، وأمره أن يدفعها إليه إذا بلغ . فلما بلغ دفعها إليه ، فهو الإمام وهو الله عز وجل ، وهو العالم بكل شيء فمن عرفه فليصنع ما يشـــاء ، هؤلاء هم غلاة الراوندية ، واختصم أصحاب محمد بن علي في وصيـــة أبي هاشم ، فرجعوا إلى رجل منهم يكنى – أبا رباح –[1] وكان من رؤسائهم وعلمائهم ، فشهد أن أبا هاشم أوصى إلى محمد بن علي وقويت بذلك الراوندية » .

ان بطلان صحة وجود هذه الفرقة لا يحتاج إلى كثير أو قليل من النقاش لأن محمد بن علي بن عبد الله كان عمره عند وفاة أبي هاشم سنة ٩٧ هـ (٣٩) تسعاً وثلاثين سنة لأنه ولد في عام ٥٨ هـ وتوفى سنة ١٢٥ هـ وعمره ٦٧ سنة[2] .

والذي لا شك فيه أن مقالة هذه الفرقة من المقـــالات الموضوعة وهي لا لا تختلف عن مقالة – الحارثية – المنبعثة من مقالة عمارة بن حمزة مؤسس الغلو

---

(١) ان هذا الحكم هو من كبار نقباء العباسيين واسمه ميسرة كما تقدم .

(٢) اليعقوبي ص ٧٥ – ج – ٣ –

وناشره ، وضعت هذه المقالة ونسبت إلى ـ الراوندية ـ وهم الذين خرجوا على المنصور ، وقصتهم من القصص المدونة في التاريخ يقول ابن الأثير في حوادث سنة ١٤١ هـ « في هذه السنة كان خروج الراوندية على المنصور وهم قوم من أهل خراسان على رأي أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة يقولون بتناسخ الأرواح ، ويزعمون ان روح آدم في عثمان بن نهيك[1] ، وان ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور ، وان جبرائيل الهيثم بن معاوية [2] ، فلما ظهروا أتوا إلى قصر المنصور فقالوا : هذا قصر ربنا ، فأخذ المنصور رؤساءهم فحبس منهم مائتين ، فغضب أصحابهم وأخذوا نعشاً ، وحملوا السرير ليس في النعش أحد ، فمروا به حتى صاروا على باب السجن ، فرموا النعش وحملوا على الناس ، وأخرجوا أصحابهم وقصدوا المنصور ، وهم يومئذ ستمائة رجل ، فتنادوا في الناس ، وغلقت أبواب المدينة فلم يدخل أحد فخرج المنصور ماشياً ولم يكن في القصر دابة ، ولما خرج أتى له بدابة فركبها وهو يريدهم وتكاثروا عليه حتى كادوا يقتلونه ، فجاء معن بن زائدة الشيباني ، وكان مستتراً من المنصور لقتاله مع ابن هبيرة ، وكان المنصور شديد الطلب له ، وكان أبو الخصيب حاجب المنصور قد أخفاه عنده على أن يطلب له الأمان ، ولما خرجت الراوندية جاء معن ووقف بباب المنصور ، فسأل المنصور أبا الخصيب من بالباب ؟ قال : معن بن زائدة ، فقال المنصور رجل من العرب شديد النفس ، عالم بالحرب ، كريم الحسب ، أدخله . فدخل ، قال المنصور له : إيه معن ما الرأي ؟ قال : الرأي أن تنادى بالناس فتأمر لهم بالأموال ، فقال : وأين الناس والأموال ؟ ومن يتقدم ويعرض نفسه لهؤلاء العلوج ؟ لم تصنع شيئاً يا معن ، الرأي أن أخرج اليهم بنفسي فأقف للناس ، فاذا رأوني قاتلوا وتراجعوا اليّ ، وان اقمت تهاونوا وتخاذلوا ، فأخذ معن بيد المنصور وقال : لا تفعل يا أمير المؤمنين ذلك ، إذاً والله تقتل الساعة

---

(١) ابن الاثير حوادث سنة ١٤١

(٢) ابن الاثير حوادث سنة ١٤١

فأنشدك الله في نفسك وقال له أبو الخصيب مثل ذلك ، فجذب المنصور يديه من يديها وركب دابته ، وأخذ معن بلجامها وراح يقاتل كلما دنى اليه رجل حتى اجتمع الناس فلم يكن إلا ساعة حتى أفنوهم ، وتغيب معن بن زائدة ، فسأل المنصور عنه أبا الخصيب ، فقال : لا أعلم ، فقال المنصور : أيظن معن أني لا أغفر له ذنبه بعد بلاءه هذا ؟ اعطه الأمان وأدخله علي ، فلما دخل عليه أعطاه عشرة آلاف درهم ، وولاه على اليمن ، وكان ممن قاتل مع المنصور عثمان بن نهيك فاصيب بسهم ومرض ومات بعد أيام فصلى عليه المنصور .

ان حكاية الراوندية هذه التي يرويها معظم المؤرخين ، وثورتهم على المنصور على النحو الذي تقدم لا يمكن أن يكون بسبب كونهم كانوا يقولون بالوهية المنصور ، وأنه ربهم وهو الذي يطعمهم ويسقيهم ، كما لا يمكن أن تنسب إلى الراوندية الذين كانوا يوالون أبا مسلم المقالة التي رواها النوبختي ، وابن الأثير في سرد حكايتهم وخروجهم على المنصور ، الذي يزعم الرواة أنهم كانوا يقولون بربوبيته .

فالذي يدل على ثورتهم ويكشف السبب عن خروجهم أنهم كانوا من جماعة الخراسانيين الذين كانوا جند أبي مسلم الخراساني لما وجهه المنصور إلى إخماد حركة عمه عبد الله بن علي ، ولما انتصر أبا مسلم على عبد الله وفتك بجيشه ، هم بالرجوع إلى خراسان ، عزم المنصور على الغدر به وبعد أن أقنع المنصور أبا مسلم أن يشخص إليه قبل الرجوع إلى خراسان . وكان من أمره أن قتله المنصور ، ألقى القبض على عدد من رؤساء جيشه الخراسانيين، فعزم الباقون من جماعتهم على اطلاق سراحهم ، فاحتالوا بموضوع النعش ، وهجموا على سجن المنصور ، وأطلقوا سراح جماعتهم المحبوسين ، فكان كما تقدم أن قضى المنصور عليهم وأفناهم عن آخرهم . ولما كان لهؤلاء القتلى من يطالب بثأرهم ، ويسرع للانتقام من قتلهم ، خاف المنصور مغبة الأمر ، ولتبرير قتلهم وإبادتهم تصدت دائرة الأمن – الزندقية – فنشرت المقالة التي اتهم بها المعارضون من أصحاب عبد الله

ابن معاوية ، واتهمت بها الخراسانيين الذين خرجوا على المنصور ، ولا يستبعد أن يكون قائد الخراسانيين في هذه الثورة عبد الله الراوندي كما سماه النوبختي .

إن مقالة هذه الفرقة لا يختلف عن المقالة التي نسبت إلى الحارثية من أصحاب عبد الله كما تقدم إلا في تغير الاسماء . قالت الحارثية : - إن أبا هاشم أوصى إلى عبد الله بن معاوية وكان صغيراً ، ودفع الوصية إلى صالح بن مدرك ، وقالت - العباسية الراوندية - أن أبا هاشم أوصى إلى محمد بن علي وكان صغيراً ودفع الوصية إلى أبيه علي بن عبد الله - قالت الحارثية - ان عبد الله هو الامام وهو العالم بكل شيء ، وأن الله عز وجـــل نور وهو في عبد الله ، ومن عرف الامام فليصنع ما يشاء . وقالت العباسية - الراوندية - إن محمد بن علي هو الامام ، وهو الله عز وجل ، وهو العالم بكل شيء فمن عرفه فليصنع ما يشاء ، وقالت فرقة منهم ، كما سيأتي ، المنصور هو الله ، وهو الذي يعلم بسرهم ونجواهم. فخلقت السياسة العباسية للفتك بالمعارضين لدولتهم والخارجين عليهـــا مذهباً جديداً ، تولت دائرة - الزندقة - إلصاقها بالخارجين على حكم المنصور والمعارضين له .

يظهر أن الذين استخرجوا هذا المذهب ونسبوا اليه هذه المقالة لم يكتفوا بهذا القدر من الاتهام ، يقول النوبختي في ص ٥١ من كتابه فرق الشيعة : « ان الشيعة الراوندية افترقت ثلاث فرق - الابا مسلمية الخرميـــة - الرزامية - الابا هريرية .

الابا مسلمية :

يقول النوبختي : الابا مسلمية - هم أصحاب أبي مسلم الخراساني ، قالوا بامامته وادعوا أنـــه حي لم يمت ، وقالوا بالاباحات وترك جميع الفرائض ،

وجعلوا الإيمان المعرفة لإمامهم فقط فسموا ـ الخرمدينية ـ وإلى أصلهم رجعت فرقة ـ الخرمية ـ

ان تسمية هذه الفرقة بـ – الأبامسلمية – تكفي للدلالة على اختلاقها وابتداعها لأخذ الموالين لأبي مسلم والتابعين له من النبلاء والقواد ، بعد أن قتل المنصور أبا مسلم الذي كان يخشاه القريب والبعيد حتى المنصور نفسه .

لم يكن أبو مسلم شخصاً عادياً لا يحسب له ولاتباعه حساب ، بعد أن استولى على زمام الحكم في منطقة خراسان وبلاد ما وراء النهر وفارس ، وراح جنوده الخراسانيون يخلصون في الجهاد تحت لواءه في مختلف الميادين، في فارس، وفي العراق ، وفي الشام. فبعد أن أخضع أبو مسلم لسلطانه بلاداً شاسعة وانقاد له معظم رؤساء الاقطاع – الدهاقين – وتبعه كل أصحاب المقاطعات الكبيرة في بلاد فارس وما وراء النهر ، من دون تمييز بين من أسلم منهم ومن بقى على مجوسيته ، بات يخشاه ويخافه كل أحد حتى المنصور نفسه لما شاهد بنفسه مبلغ نفوذه وتصرفه في تلك البلاد التي وجدها المنصور لا تعرف خليفة ، ولا تأتمر لسوى أبي مسلم الخراساني . وقد أسر بذلك إلى أخيه أبي العباس الذي كان قد أشخصه إلى خراسان على رأس وفد ، وعاد وقلبه يقطر ألماً وغيضاً وحقداً على أبي مسلم الذي لم يأبه به كرئيس وفد موفد من قبل الخليفة ، ولم يحتفل به كولي عهد للدولة . وشاهد بنفسه مبلغ حب الناس لأبي مسلم هناك ، وكيف أصبح مطاعاً في قومه ، وله على جنوده سلطة منقطعة النظير ، أضف إلى ذلك أنه كان محترماً عند عدد كبير من امراء العباسيين ، وفي طليعتهم عيسى بن موسى ولي عهد المنصور[1].

الحقيقة أن المنصور لم يقضي على وساوسه قتل أبي مسلم ، ولم يبدد مخاوفه

---

(١) ان من كتب وأرخ عن ابي مسلم لم يخرج عن هذه الحقيقة .

إلهاء جماعته الخراسانيين بالمال ، بل بالعكس سبب قتـــل أبي مسلم للمنصور متاعب كثيرة ومشاكل جمة ، ضاعفت من خوفه ووساوسه لا سيا بعد أن أمن أعداء الدولة جانب ابي مسلم ، ورفع قتله عن صدورهم الكابوس الذي كان قد أخذ يضايقهم ، لا سيا الخوارج الذين قضى على زعماءهم في خراســـان . فراح المعارضون للدولة يتململون في الخروج عليها ، وفعلاً خرج عدد من الخوارج ، وعدد آخر يطالبون بدم أبي مسلم كسنباد في خراسان والراوندية في بغداد كما تقدم ، وعن خروج ـ سنباد ـ يحدثنا أبن الأثير في حوادث سنة ١٣٧ هـ. السنة التي قتل فيها المنصور أبا مسلم ، يقول : « وفي هـــذه السنة خرج ـ سنباد ـ بخراسان يطالب بدم أبى مسلم لأنه كان من صنائعه ، فكثر اتباعه وكان مجوسياً من قرية من قرى نيسابور ، وكان خروجه غضباً لقتل أبي مسلم لأنه من صنائعه ، وكان عامة من خرج معه من أهل الجبال ، فغلب على نيسابور ـ وقومس ـ والري ـ وتسمى اسبهبذ ـ فلما صار بالري أخذ خزائن أبي مسلم وكان أبو مسلم قد خلفها بالري حين شخص إلى أبي العباس ، وسبي الحرم ونهب الأموال إلى آخر الحادث وقد تقدم حكاية خروج الراوندية .

لم يكن من السهل القضاء على اتباع أبي مسلم الذين كانوا كجند قوام الدولة العباسية ، وكعمال بيدهم ادارة شئون معظم البلاد كما لا يمكن أخذهم عن طريق الاعتقال، أو الأخذ بالظنة وبمجرد الشك كما كانت سياسة الدولة عند تشكيلها وابان دعوتها ، لأن ذلك كان يثير بدون شك ضجة ورد فعل في صفوف اولئك الذين جاهدوا وبذلوا الغالي والرخيص في سبيل إحداث الدولة العباسية والقضاء على دولة الأمويين ، كما لم يكن بالامكان البطش بالذين أبادوا دولة ، وأسسوا اخرى أن يجازوا بالقتل والتنكيل من قبل الدولة التي أخرجوها من حيز العدم إلى حيز الوجود دون أن يكلفوا القائمين على رأسها بقليل أو كثير من الجهد أو المال

أو التضحية[1] وحيث صعب عليه هذا وذلك عزم المنصور على تطبق الوسيلة التي اتخذها في سبيل القضاء على المعارضين لها من اتباع عبد الله بن معاوية ، فطبق نفس الاسلوب الذي اخذ بها اتباع ابن معاوية على من لا يرغب فيه من اتباع أبي مسلم ، فجاءت الفرقة – الابامسلمية – لا تختلف عن الفرقة – الحارثية – في مقالتها المستوحات من مقالة عمارة بن حمزة المأجور مؤسس الغلو ، وناشر الضلال .

تقول – الحارثية – بترك الفرائض ، واباحة المحرمات ، وتقول – الابامسلمية – مثل ذلك . تقول الحارثية : عبد الله بن معاوية هو الامام ، ومن عرف الامام فليصنع ما يشاء ، وتقول الابامسلمية : أن أبا مسلم هو الامام ، والايمان معرفة الامام ، واباحوا المحرمات ، وقالوا بترك الفرائض ، وهكذا أخذ المنصور أتباع أبي مسلم بهذه التهمة وقضى عليهم بتهمة الزندقة !!

الاباهريرية :

هذه الفرقة هي الفرقة الثانية التي تفرقت عن الراوندية العباسية . يقول النوبختي ص ٥٢ : « وفرقة منهم – أي من الراوندية – يقال لها – الاباهريرية – أصحاب أبي هريرة الراوندي ، وهم العباسية الخلص الذين قالوا الامامة لعم النبي (ص) العباس بن عبد المطلب ، وثبتت على ولايته اسلافها الاولى سراً ، وكرهوا أن يشهدوا على اسلافهم بالكفر وهم الذين يتولون ابا مسلم ، ويعظمونه ، وهم الذين غلوا في القول في العباس وولده » .

---

(١) لم يحدثنا التاريخ أن أحداً من العباسيين اشترك بقيادة الدعوة العباسية أو ساهم فيمن ساهم منهم بالحرب ، وكان جهاد الامام منهم كما في التاريخ قبض ما يرد عليه من الاموال بواسطة دعاتهم هنا وهناك !!

الرزامية :

هذه الفرقة هي الفرقة الثالثة التي قيل أنها تفرقت عن الراوندية ، وهم أصحاب – رزام – واصلهم كيسانية ، أقامت على ولاية أسلافها الاولى سراً ، وكرهوا أن يشهدوا عليهم ، هذا ما يقوله النوبختي ص ٥١ . أما ما يقوله الشهرستاني في الملل والنحل ص ١٥٨ و ص ١٥٩ – ج – ٣ : الرزامية اتباع رزام ، ساقوا الامامة من علي عليه السلام الى ابنه محمد بن الحنفية ثم إلى ابنه أبي هاشم ، ثم منه الى علي بن عبد الله بن عباس بالوصية ، ثم ساقوها الى محمد بن علي ، وأوصى محمد إلى ولده ابراهيم ، وهو صاحب أبى مسلم الذي دعاه إليه وقال بإمامته. وهؤلاء ظهروا في أيام أبي مسلم بخراسان حتى قيل أن أبا مسلم على هذا المذهب ، لأنهم ساقوا الامامة الى أبي مسلم ، فقالوا له حظ في الامامة وادعوا حلول روح الإله فيه ، ولهذا أيده على بني امية حتى قتلهم عن بكرة أبيهم ، وقالوا بتناسخ الأرواح ، وكان على هذا المذهب ـ المقنع – الذي ادعى الالوهية ، وتبعه مبيضة ما وراء النهر ، وهو صنيعة الخرميين قالوا بترك الفرائض وقالوا الدين معرفة الامام فقط ، ومنهم من قال الدين امران معرفة الامام ، وأداء الامانة ، ومن حصل له الامران فقد وصل إلى حال الكمال وارتفع عنه التكليف ... الخ .

ان الفرقتين ـ الاباهريرية ـ و ـ الرزامية ـ فرقة واحدة ، وإن اختلفت بينهما التسمية ، ونسبتا الى شخص مجهول لا يعرف إلا باسمه ، إلا أن الشهرستاني فصل فيما ذكره عن ـ الرزامية – بينهما بفارق لا يعرف عن ـ الابي هريرية ـ التي لم يتعرض لها في الملل والنحل ـ والخلاصة كما يفهم من المقالة المنسوبة إليهما كما يقول النوبختي ، هي ان الفريقين قد خالفا قرار ـ المهدي ـ فلم يشهدا على السلف بالكفر ، وبالعكس كانوا يوالون السلف ، كما يظهر أن الفريقين أو الاباهريرية بالذات ما كانت ترضى بعزل عيسى بن

موسى من ولاية العهد ، بدلالة انهما كانا يواليان أبا مسلم ، ويعظمانه ، فقد كان أبو مسلم من دعاة ولاية العهد لعيسى ومن المخلصين[4] له .

كان من أهم أسباب قتل المنصور أبا مسلم الخراساني بالاضافة إلى ما كان يخشاه منه ، ويحقد عليه ، هو أنه كان سنداً لعيسى بن موسى ولي عهد المنصور من قبل أبي العباس الذي جعل ولاية العهد لأخيه أبي جعفر ثم لابن أخيه عيسى ابن موسى الذي كان له الفضل في دعم الخلافة العباسية والعمل في سبيل استقرارها .

كان وجود عيسى بن موسى وحزبه وعلى رأسهم أبو مسلم الخراساني يحول دون تنفيذ ما كان يريده المنصور من إسناد ولاية العهد إلى ولده - المهدي - فاذا عرفنا هـذا وعرفنا مكانة أبي مسلم في جيشه وفي قومه ، ومبلغ تمسك الخراسانيين به ، والمحل الذي احتله في نفوس أتباعه والموالين له بلا تمييز بين المسلم منهم والمجوسي ، وجدنا أن أخذ المنصور الموالين له من أتباعه عن طريق البطش والقـوة يسبب له ارتباكاً كبيراً في جهاز الدولة التي كانت على وشك الاستقرار ومن هـذا وذاك عرفنـا السبب الذي حمـل المنصور على انتحال هاتين الفرقتين اللتين هما في الواقع فرقة واحدة منتحـلة صيغت مقالتها في دائرة - الزندقة - كما صيغت المقالات المتشابهة لها لإتهام المعارضين لدولة المنصور .

العباسية الهاشمية الأولى

يظهر أن دائرة الزندقة فطنت إلى أن أسلوبها في توحيـــد نوعيـة الاتهام يجلب الانتباه إلى ما يحاك فيها في الخفاء ضد المعارضين ومن لا يرغب فيهم أو يخشى منهم ، فقررت أن تنوع الاتهام وتغير من مقالاتها الموجبة للتهمة فافتعلت مذاهب متعددة ، ونسبت كل واحدة منها إلى فرقة زعمت انها تدين بها .

يحدثنا النوبختي ، في كتابه – فرق الشيعة – عن فرقتين ، قـــال : انها تفرقت عن العباسية وسماها – الهاشمية ، قال في ص ٥٦ – ٥٧ : « ومن العباسية فرقتان قالت بالغلو في ولد العباس ، فرقة تسمى – الهاشمية – وهم أصحاب أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، قالت فرقة منها أن الإمام عالم يعلم كل شيء وهو بمنزلة النبي ﷺ في جميع اموره ، ومن لم يعرفه لا يعـــرف الله ، وليس بمؤمن بل هو كافر مشرك ، وقادوا الإمامة من أبي هاشم إلى ولد العباس .

العباسية الهاشمية الثانية

وقالت الفرقة الاخرى : الإمام عالم بكل شيء وهو الله عز وجل ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، وهو يحيي ويميت ، وأبو مسلم نبي مرسل يعلم الغيب، أرسله جعفر المنصور . وهم من الراوندية أصحاب عبد الله الراوندي ، وشهدوا أن المنصور هو الله ، جل الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، وهو يعلم سرهم ونجواهم . وأعلنوا القول بذلك وأدعوا عليه ، فبلغ المنصور قولهم ، فأخذ منهم جماعة فأقرهم بذلك فاستتابهم وأمرهم بالرجوع عن قولهم ، فقالوا : المنصور ربنا وهو يقتلنا شهداء ، كما قتل أنبياؤه ورسله على يد من شاء ، وقبض أرواح بعضهم فجأة بالعلل وكيف شاء ، وأمات بعضهم بالهدم والغرق ، وسلط على بعضهم السباع ، يفعل ما يشاء في خلقه ولا يسأل عما يفعل ... الخ »

ان مقالة هاتين الفرقتين لا يمكن أن تنسب إلى جماعة المجانين لا سيا مقالة الفرقة الثانية التي نسبت إلى جماعة الراوندية التي خرجت على المنصور تطالب بدم أبي مسلم الخراساني ، ولا تختلف عنها إلا في توسيع مقالتها ، وقد تقدم ما كان من أمر – الراوندية – وأمر المنصور ، وكيف أن المنصور قتل منهم ستمائة نفر .

والظاهر من سياق مقالة الفرقتين ، ان المنصور وقد أباد ستمائة شخص من

خيرة أتباع أبي مسلم الخراساني الذي اختارهم من بين أتباعه لما شخص إلى العراق ، وكيف أنهم أبلوا مع أبي مسلم بلاء حسناً في قتالهم عبد الله بن علي عم المنصور الذي كان قد خرج عليه في الشام يطلب الخلافة لنفسه ، فزع المنصور من نكاله وقتله هذا العدد من رجال خراسان الذين اليهم يرجع الفضل في حكم بني العباس ، ولولاهم لما استخلف ، ولا استخلف أخوه أبو العباس من قبله ، فخاف عاقبة ما أرتكبه ، وما سيثيره قتلهم من الضجة والإثارة في خراسان الذي كان يدين بالولاء لأبي مسلم ، فوجد الحيلة في التخلص من مسؤلية قتلهم ان يتهمهم بالكفر والإلحاد ، فنشرت عنهم دائرة الزندقة هذه المقالات ليكون قتلهم من الامور المشروعة في الاسلام كما تقدم .

لقد نجح المنصور في اشهار سلاح الزندقة في وجه المعارضين له ، والخارجين على حكمه ، كما نجح معاوية في قتل المعارضين له والناقمين على حكمه – بالعسل– وقوله – ان لله جنوداً من عسل – من أشهر الأقوال المنسوبة اليه .

والحقيقة التي لا يختلف فيها اثنان أن سياسة أخذ الحاكمين خصومهم ، واغتيال المعارضين لهم سياسة واحدة كما قرأنا الكثير عنها في التاريخ القديم ، وشاهدناها في التاريخ الحديث ونشاهدها اليوم ، ولا تختلف اسلوبها إلا في الشكل والتنفيذ . فعندما كان الحاكمون يحكمون باسم الدين ، كان من أسهل الوسائل لازاحة المعارضين لهم ، والمنافسين لدولتهم تهمة الكفر والالحاد ، ولما أصبحوا يحكمون باسم القانون ، راحوا يأخذون من لا يرغب فيه أو يخاف منه بتهمة الخيانة ، وللخيانة أسباب كثيرة ومسميات عديدة،–خيانة الوطن– خيانة الامة – خيانة الشعب– العمالة – التجسس – ايقاع أمن الدولة في خطر، وهكذا أسماء لا يجهل معظمها أبسط الناس، ولكثرة الأخذ بهذه التهمة وتلك ، ولشيوعها في عالمنا اليوم لم يترك مجالاً للشك في أن المنصور لم يبتدع – دائرة الزندقة – لأخذ الزنادقة والكافرين والمنحرفين عن الدين في الحقيقة والواقع ،

وانما كانت ـ الزندقة ـ وسيلة لإزاحـــة المعارضين له ، والمنافسين لدولته ، والخارجين عليه ، فان المنصور قد ارتكب نفسه من الامور مـــا لا يقل خطرها عن الكفر والزندقة !! فاذا كانت الشريعة الاسلامية جعلت الكافرين والفاسقين والملحدين في أسفل دركات الجحيم ، فانهـــا أي الشريعة الاسلامية جعلت في مصافهم وفي درجتهم من الجحيم كل من قتل مؤمناً متعمداً ، ولنا الف دليل ودليل على ارتكاب المنصور المعاصي والمآثم وقتل الأبرياء معا ، جعل أئمة الفقه يفتون بخلعه ، وقتاله كما تقدم .

هذه هي ـ الفرقة العباسية ـ أو الفرقة الأم التي انحدرت منها ـ الكيسانية ـ في دار عميد العباسيين في أرض الشراة ، وخرجت تسعى إلى بلاد خراسان ، وما وراء النهر بين الأتراك والأعاجم تحمل وصية أبي هاشم ، وتنقل بها الامامة إلى ولد العباس عن أبي هاشم عن أبيه عن جده أمير المؤمنين .

هذه هي ـ الكيسانية ـ التي صاغتها السياسة العباسية دليـــلاً للاعاجم والبسطاء من الناس على مشروعية امامتهم وأن الخلافة جاءت اليهم عن طريق النص ، ولما استقر بهم الحال ، وتربع الخليفة العباسي الثالث المهـدي أنكرها وأنكر كل امامة وخلافة تمت بعد النبي ﷺ ، وزعم أن من تولى الخلافة بعد النبي ﷺ كان غاصباً لحق العباس .

هذه هي العباسية التي لم يستقر لها حال بعد أن تولى الخلافة المنصور ، واستيقض الخراسانيون من سكرة النصر ليشاهدوا الغدر والخيانة ، متجسمة في دولة العدل التي قامت على أشلائهم بالأمس ، وعرف المسلمون أن ما كانوا يأملونه في دولة آل العباس عم النبي ﷺ قد ضاع ، فراحوا يترحمون على دولة امية .

ثورات في خراسان ، وبلاد فارس ، وما وراء النهر ، وفي الشام ، وفي الجزيرة وفي الحجاز . وأخيراً في بغداد عاصمة المنصور ، ثار الخراسانيون والفارسيون والاتراك في ما وراء النهر والشاميون والحجازيون في وجه المنصور وظهرت الأهواء والأضاليل ، وتعددت حتى المذاهب المفتعلة ، وأصبح لكل فريق مقالة ، ولكل طائفة عقيدة ، ولم يسلم من التمزيق والتفرقة المذهب الرسمي المختلق لدولة بني العباس .

الفهرست

الموضوع	الصفحة

مصادر البحث

اسم الكتاب	المؤلف
القرآن الكريم	
أبو طالب مؤمن قريش	الخنيزي
الإمام زيد	أبو زهرة
الإمامة	الطبري
الإمامة والسياسة	ابن قتيبة الدينوري
الاحتجاج	الشيخ الطبرسي
الاستيعاب	ابن عبد ربه
الاصابة في معرفة الصحابة	ابن حجر
أضواء على السنة المحمدية	محمود أبو رية
أعلام الورى	الشيخ الطبرسي
أعيان الشيعة	السيد محسن الأمين
الأغاني	أبو الفرج الأصبهاني
أبو هريرة	شرف الدين
البحار	المجلسي
البخاري	الحافظ اسماعيل
البداية والنهاية	ابن كثير
التاج في أخلاق الملوك	الجاحظ
تاريخ ابن الجوزي	ابن الجوزي
تاريخ بغداد	الخطيب البغدادي

اسم الكتاب	المؤلف
تاريخ الشيعة	المظفر
تاريخ الطبري	ابن جرير
تاريخ اليعقوبي	اليعقوبي
تاريخ الكامل	ابن الأثير
تهذيب التهذيب	إبن حجر
حيوة الحيوان	الدميري
حيوة الشرق	محمود جمعة
خلاصة الكلام في امراء البيت الحرام	دحلان
الخراج	الراوندي
الدعوة الاسلامية	الشيخ الخنيزي
شرح نهج البلاغة	ابن أبي الحديد
الشيعة والحاكمون	محمد جواد مغنية
الصلة بين التشيع والتصوف	الشيبي
طبقات الكبرى	ابن سعد
عبد الله بن سبأ	مرتضى العسكري
العقد الفريد	ابن عبد ربه
علي وبنوه	الدكتور طه حسين
العيون والمحاسن	الشيخ المفيد
عيون أخبار الرضا	الشيخ الصدوق
عيون المعجزات	السيد المرتضى
الفصل	ابن حزم الأندلسي
فرق الشيعة	النوبختي
الفهرست	ابن النديم
لسان الميزان	ابن حجر

اسم الكتاب	المؤلف
محمد بن الحنفية	السيد علي الهاشمي
مدينة المعاجز	السيد هاشم البحراني
مروج الذهب	المسعودي
مقاتل الطالبيين	أبو الفرج الاصبهاني
مقدمة ابن خلدون	ابن خلدون
مقالات الاسلاميين	الأشعري
ملامح المجتمع العربي	من سلسلة اقرأ
الملل والنحل	الشهرستاني
مؤرخ العراق ابن الفوطي	محمد رضا الشبيبي
ميزان الاعتدال	الذهبي
النبذة المختارة	المرزباني
نهج البلاغة	للشريف الرضي
نثر اللئالي على نظم الدراري	الآلوسي
الوحي المحمدي	

الخطــأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطـأ	الصواب
١٠	١	نجمل	نجمل
١١	١	مفرفة	معرفة
١٥	٥	اعتصاب	اغتصاب
٢٠	١٩	بثبتوا	يثبتوا
٢٢	١٣	في	من
٣٠	٣	ابا	ابو
٣٢	٢٥	صحيح	صحح
٣٧	٣	ألوان	لو أن
٤٠	٨	اختلافها	اختلاقها
٤٧	٥	الاختلاف	الاختلاق
٤٧	٧	موهوباً	موهوما
٤٨	١	تيس	كيس
٤٨	١٨	عدميس	عديس
٥٧	١٩	زراريهم	ذراريهم
٨٥	٨	مذهبا ثابتا	مذهب ثابت
٨٦	١٥	كما تقدمت	كما تأتي
١٠٢	٤	يطالب	يطلب
١١١	١١	اختلافه	اختلاقه
١١٢	٢	ولا أشار	لأشار
١١٧	١٠	بمــلأ	يمــلأ
١٢٢	١١	ولانه	ولان مروان
١٤١	٧	يوثق	يتوثق
١٦٠	١٠	المغيباب	المغَيبات
١٦٠	٢٠	يسلبها	يسليها